الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد 252 - جمادى الآخرة 1418 هـ - أكتوبر 1997 م
ALFAISAL MAGAZINE - ISSUE 252 - Oct. 1997

عن اليوم الوطني:

- تاريخ من مراسلات
- الملك عبد العزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية
- الهجر ودورها في الإصلاح الاجتماعي
- الملك عبد العزيز في شعر الملاحم

المكتبات في سويسرا

د. غازي بن عبد الرحمن القصيبي في منتدى الفيصل

الغزو الثقافي ينقض هابطًا من السماء، بينما دفاعاتنا لاتزال تنتمي إلى الأمس

الوعظ المباشر وسيلة ناجحة في المسجد، لكنه لن يجد آذانًا مصغية في الغرب

بعد أن خدعني معد برنامج «بانوراما» لا أتحدث إلا على الهواء مباشرة

القرن القادم قرن احتكاك حضاري، ويتوقف على حكمة البشر أن يكون حوارًا أو صراعًا

لو لم توجد المرأة لما وجد الشاعر ولا الشعر

مصحف شريف

نسخة تامة كتبها بخط النسخ المجود عثمان العاصم، وفرغ منها سنة 1274هـ/1857م.

الصفحتان الأوليان مذهبتان ومزينتان برسوم نباتية وزخارف هندسية متنوعة وبألوان متعددة.

كُتبت الآيات القرآنية بالمداد الأسود على سطور ذهبية عريضة ومتعرجة في وسط عنقود مزين بجدول مجدول وعريض ملون بماء الذهب واللون الأخضر والزهري، وأحيط بهذا الشكل عنقود آخر أعرض من السابق وأرضيته مزينة بدوائر ذهبية منقوطة بالحبر الأحمر ومتداخلة مع زهور بيضاء اللون ومحلاة باللون الأزرق. وفي الزوايا الأربع للعنقودين رسوم نباتية وزهرية كبيرة وجميلة مزينة باللون الأخضر والأزرق والزهري. وكلا العنقودين في الصفحة الأولى والصفحة الثانية من المصحف داخل جدول مزين بألوان جميلة متناسقة. وفي أعلى الجدول وأسفله مستطيل يتوسطه شكل بيضي ذو أرضية ذهبية كُتب في وسطه بالمداد الأبيض اسم السورة وعدد آياتها، وأحيطت الأشكال البيضية بحزام مزخرف ومزين بألوان متعددة. وأحيطت الجداول بأشكال هندسية رائعة بشكل قبب متقابلة ومتداخلة بعضها في بعض، وزينت أرضية القبب المتجه طرفها إلى الحواشي بزهور مذهبة في وسطها نقط حمراء على أرضية مذهبة. والشكل الهندسي السابق متعرج الأطراف، وتفرعت من أطرافه النباتات الملونة بالمداد الأزرق والأحمر. ويمثل الشكل السابق قمة الإبداع العربي والإسلامي في استخدام الزخرفة الهندسية والنباتية ودمجها بعضها في بعض بطريقة فنية رائعة، وألوان متناسقة جميلة. وفي نهاية المصحف أيضاً زخارف هندسية ونباتية رائعة. كما أحيطت بعض الآيات بالزهور والنباتات وبينها فواصل من دوائر ذهبية.

وقد زُيّنت حواشي بعض الصفحات بأشكال هندسية مزينة بألوان متعددة وبماء الذهب.

أما الجلد فقد زُيّن من خارجه بجداول وأطر ذهبية متعددة، في وسطه غصن نباتي مذهب.

يقع المصحف في 307 ورقات، ومقاسه 19,1× 12,2سم.

والمصحف المخطوط من مقتنيات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية برقم 2820.

إعداد: فراج عطا سالم

في العدد القادم:
- التلفاز وتنشئة الأطفال
- علم الكحالة عند العرب والمسلمين
- مجنون ليلى بين أحمد شوقي وعاتكة الخزرجي

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



عن العدد الماضي

لن أكتب مشيدًا بهذه المجلة مع استحقاقها لذلك، فقد كفاني من سبقني هنا هذه المهمة، حيث أسهبوا في إبراز ما رأوه إيجابيًا. وسأتناول هنا الجانب الآخر على أمل أن تجد فيه المجلة مدخلاً لاستكمال جوانب تميُّزها.

استوقفتني ملاحظتان إحداهما موضوعية والأخرى فنية:

إن كثيرًا من مطبوعاتنا لا تزال تعيش حالة انبهار بكل ما يرد من خارج الحدود وتحتفي به على حساب المنتج الفكري المحلي، ولو كان ذلك القادم متوسطًا أو أقرب إلى التواضع، لكن للجغرافيا سحرها!! وهذا ما أخشى أن تكون الفيصل قد وقعت فيه، ذلك أن نسبة الفكر المحلي تقل «وبكثير» عما يُنشر للآخرين، وهذا ليس تعصبًا ولا دعوة للانغلاق، لكنه إشارة إلى أهمية استمرار وسائلنا ومطبوعاتنا في التعريف بنا، وإعطاء أوليَّة مستحقة للمثقفين السعوديين، ولاسيما أننا نشكو من إغلاق المطبوعات الأخرى أمامهم!

فنيًا: لم أسترح إلى نمط الحرف المستخدم في المجلة، فهو يفتقر إلى الجاذبية والوضوح، كما أن تعدد نوعية خطوط العناوين، حتى في الصفحة الأولى، يؤثر سلبًا في الشخصية الفنية للمجلة.

لن أستطيع الاسترسال أكثر بحكم محدودية هذه المساحة.

إنني أرى «الفيصل» وجبة شهية، لكنني أريد لها طبقًا فاخرًا يليق بمكوناتها التي آمل أن يغلب عليها مألوفنا من الوجبات.

محمد العجيان - صحفي
الرياض.

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

1 - أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدَّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

2 - ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

3 - حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

4 - أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

5 - الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (3) الرياض 11411 - المملكة العربية السعودية

هاتف 4653026 - 4653027 - 4647884 - فاكسملي: 4647851

ردمد 1140 - 0258 رقم الإيداع 14/0542

الاشتراكات السنوية :

للأفراد 150ريال سعودي، للمؤسسات 250 ريال سعودي.

الإعلانات :

يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

الأسعار

السعودية 8 ريالات - الكويت 650 فلس - الإمارات 7 دراهم - قطر 7 ريالات - البحرين 750 فلس - عُمان 750 بيسة - الأردن 500 فلس - اليمن 40 ريالاً - مصر جنيهان - السودان 150 جنيه - المغرب 8 دراهم - تونس 600 مليم - الجزائر 10 دنانير - العراق 400 فلس - سورية 30 ليرة - ليبيا 800 درهم - موريتانيا100أوقية - الصومال 2000 شلن - جيبوتي 150 فرنك - لبنان مايعادل 4 ريالات سعودية - الباكستان 20 روبية - المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

البريد

الحاضر وتفهمه بموضوعية

لا أملك إلا أن أقول: هنيئًا لقراء «الفيصل» بهذا الكنز الثقافي. إن هذه المجلة الغراء لا تدع أمرًا ذا بال إلا وتخوض في أصوله وفروعه. هذا ما نلمسه حقيقة في جميع موضوعاتها عمومًا، وفي مقالات الدكتور زيد الحسين في إطلالته خصوصًا؛ لذا فإني أبارك جهودكم وأحيّي إخلاصكم للإسلام والمسلمين.

ونحن في هذا الزمان بحاجة ـ والله ـ إلى مثل هذا الإخلاص من كل مفكر إسلامي، ومن كل كاتب يؤمن أن الحق لابد ظاهر وأن الباطل لا شك زاهق، وأن يشهر قلمه ليدفع عن هذه الأمة المكلومة أنيابًا ومخالب همّها الأوحد تشويه جسد الأمة الإسلامية الطاهر.

فالواجب على مفكرينا وكاتبينا امتثال قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كلٌ منكم على ثغر فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبله». هذه دعوة لكم يا قلب الأمة النابض لكي تزيدوا من جهودكم وتخلصوا في أعمالكم، وما أحسبكم إلا كذلك، فإن الإسلام يُهاجَم من الخارج ومن الداخل. فجدير بنا ـ نحن المسلمين ـ أن نتفهم حاضرنا وننظر إليه بمنظور إسلامي موضوعي واقعي، لا أن نظل ننظر إلى الغرب على أنه الأب الذي يرجو لابنه التفوق، ونحن الابن الذي لا يملك إلا أن يقلد أباه، فصرنا نقلدهم في سفاسف الأمور وطرحنا الدين جانبًا باسم التطور هذا الصنم الجامد. فأنّى لنا من تقدم وأنّى لنا من تطور وصدق من قال:

ولما غاب منهجنا

رأينا الذل ألوانا

بلال رزق أبونبوت
درعا، سورية.

شمولية المحتوى وأمنيات أخرى

لن أقول لكم إنني من قراء المجلة لأني اشتريت أول عدد منها بالمصادفة في هذا الشهر (ربيع الآخر 1418هـ)، وعندما اطلعت على ما بداخلها تمنيت لو أني متابعها منذ مدة طويلة، حيث وجدتها مجلة ثقافية أدبية تاريخية اجتماعية. وجدت فيها كل ما أريد: من علوم بيئة في موضوع «مأساة تدهور الغابات»، إلى دراسات اجتماعية في موضوع «العائلة والمرأة في اليابان»، إلى ثقافية في كثير من موضوعاتها؛ فهاهي تتكلم عن الصحافة، وهاهي تتكلم عن ابن خلدون، وهاهي تتكلم عن التطرف الإسرائيلي، وغير ذلك من الموضوعات الثقافية. كما وجدتها دينية إسلامية تتكلم عن المسلمين والإسلام كما في موضوع «الطريق إلى الله» حيث تخبرنا عن رجل آمن بالإسلام في إيطاليا واعتنقه في الصومال.

ومن أكثر الأشياء التي أعجبتني الاهتمام بالقراء؛ حيث وجدت أكثر من باب مخصص للقراء مثل البريد، وردود خاصة، وعناوين، وبين القارئ والقارئ.

على أني أتمنى أن أرى في الأعداد القادمة موضوعًا عن بلاد الأندلس، والكتابة عن الخلفاء المسلمين وانتصاراتهم، وعن القواد أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما. والله ولي التوفيق. مع تمنياتي القلبية بالتقدم والانتشار الواسع.

محمود ماهر علي محمد
(طالب بالثانوية الأزهرية)
شارع طريق مير بجوار مصنع المكرونة
القوصية، أسيوط، جمهورية مصر العربية

كلمة حق

اسمحوا لي أن أهنئكم وأشد على أيديكم، وأشكر لكم سعيكم الحثيث وحرصكم على اختيار موضوعات المجلة حتى تخرج إلى القارئ العربي بهذه الصورة الرائعة. ومع أن المدح والثناء قد يعدّه بعض الناس من النفاق الاجتماعي، إلاّ أن العدل والإنصاف يوجبان إعطاء كل ذي حقٍ حقه، ولا ننسى حديث نبينا الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ عن الثناء في وجه المؤمنين ـ: «تلك عاجل بشرى المؤمن». فمجلة «الفيصل» ـ أدامها الله ـ قد سدت فراغًا كبيرًا في مكتبتنا العربية؛ فهي حافلة بالموضوعات المفيدة والتحقيقات الشائقة. ولعل أهم سمة» تميز مجلة الفيصل من سائر المجلات العربية، هي أنّها تستقطب كل يوم عددًا كبيرًا من القراء والكُتّاب المجيدين، وتلك خاصةٌ فريدة أكسبت المجلة بهاءً ورونقًا وزادتها حسنًا إلى حسنها.

على أن هناك ملاحظة سبقني إليها كثير من القراء الكرام، وأنا أذكرها لأهميتها، وهي قلة الموضوعات العلمية بالنسبة للأدبية. وعلى حسب علمي فإنَّ حواء العرب لم تعقم أن تلد جهابذة العلماء في كل من العلوم التطبيقية والأدبية، وبالمملكة العربية السعودية عددٌ منهم ليس بالقليل. فعلى المجلة أن تبتكر الوسائل المناسبة لاستقطابهم؛ حتى يستفيد القارئ العربي من المعلومات العلمية المختلفة التي تعينه على فهم الحياة في هذا العصر الذي تطورت فيه التقنية تطورًا لم يسبق له مثيل.

علي محيى الدين بابكر أحمد
جامعة الجزيرة، كلية الصيدلة
بوساطة: د. ميرغني عبدالرحمن يوسف
واد مدني، السودان.

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

المبادرة للقراء لا للكتاب

أعجبت كثيراً بالباب الجديد «البريد الثقافي» لأنه لا يترك المبادرة للكتاب لطرح الموضوعات التي تروق لهم، وإنما يجعل المبادرة بيد القارئ الذي يبادر إلى طرح ما يراه في حاجة إلى النقاش. وهذا الأسلوب في الطرح نحتاج إليه كثيراً حتى تتقارب وجهات النظر، ولأنه يتيح طرح قضايا قد يراها بعض المثقفين غير جديرة بالتناول، في حين أن العكس هو الصحيح في رأي القراء. كما أن قيام أكثر من كاتب بالإجابة عن السؤال المطروح في الباب يضيء جوانب عديدة في الموضوع، حتى لو كانت وجهات النظر متقاربة، لأن التجربة الخاصة لها أثرها في فكر الفرد ووجهات نظره، وهو ما يبدو واضحاً حتى الآن في أفكار أولئك الذين تصدوا للإجابة عن أسئلة القراء في هذا الباب.

محمد الإدريسي
طنجة، المغرب.

«الفيصل» في أمريكا

منذ أمد بعيد لم تتح لي فرصة قراءة مجلتكم «الفيصل» نظراً لوجودي في الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنوات. وقد وجدت عدداً منها مصادفة في المركز الإسلامي بلوس أنجليس، فلاحظت ما أجريتم على المجلة من تطوير. ولكن أليس هناك سبيل حتى تتوافر هذه المجلة، على الأقل، في المراكز الإسلامية المنتشرة هنا في أكثر من ولاية، وفي الجامعات والمراكز العلمية، حتى يظل المغتربون العرب والمسلمون على صلة بأفكار مجتمعاتهم وطروحاتها من خلال قناة من قنوات الاتصال؟ لأن مشاهدة القنوات الفضائية لا تغني عن القراءة، ولاسيما لمن تعوّدها، فليتكم تفكرون في هذا الأمر.

يوسف أنور
لوس أنجليس، ريفرسايد
الولايات المتحدة الأمريكية.

الاستعداد للقرن القادم

يبدو أن الزمن يعدو بسرعة، فها نحن على بعد خطوات من القرن الحادي والعشرين. وأعتقد أن «الفيصل» ينبغي أن يكون لها دور في رصد أحداث القرن العشرين، ولاسيما في جوانب الفكر والثقافة والعلوم، لأن مواجهة تحديات القرن القادم تحتاج إلى استقراء تجارب الماضي بكل حلوها ومرها، لنأخذ منها العظة والعبرة والدرس، ولنستبين خطى المستقبل. إننا على ثقة بأنكم تفكرون في هذا الأمر؛ وما رسالتي هذا إلا للتحفيز والشد من أزركم، لكي تأتي أعدادكم الراصدة لتفاعلات هذا القرن متميزة، ومعبرة عن هموم الأمة وقضاياها. وفق الله الجميع لما فيه الخير.

مجدي عبدالرحيم عثمان
الأحمدي، الكويت.

هؤلاء استضيفوهم في «المنتدى»

إنه لمما يبعث على السعادة وجود «الفيصل» بوصفها مجلة لها مكانتها السامقة في الأوساط العلمية والثقافية ولها الانتشار المتميز بين القراء؛ منتهجة في طرحها النهج الإسلامي المستنير. حقًا كم كنت سعيداً محتفياً بها، أتابع أعدادها بشغف وتوق، وأقرأ محتواها باغتباط. ولقد ابتهجت أكثر «بمنتدى الفيصل»؛ هذا التجديد المبدع الذي غدا حلقة وصل بين القراء وكثير من علمائنا ومفكرينا ومثقفينا وأدبائنا الذين نتطلع إلى آرائهم المنبثقة من مشكاة «الكتاب والسنة». فجزاكم المولى خير الجزاء على هذا المجهود المبارك، وإلى مزيد من العطاء والتميز.

وكنت أطمح وأتطلع إلى أن يستضيف المنتدى أسماء أخرى ممن سخروا قدراتهم الفكرية والأدبية في نصرة الأمة، ومعايشة قضاياها، والسعي لرفع مستواها، ودفع عجلتها إلى الأمام، للوقوف في وجه التيارات التغريبية والتخريبية، وكبح جماحها، وتعريتها أمام الأمة، كي لا يغتر بها بعض أبنائها، وينساق وراءها. وكون هؤلاء يكافحون التغريب لا يعني أنهم ضد الإفادة من حسنات الغرب وحضارة العصر.

محمد أحمد الغريب
الرس الثانوية، السعودية.

تحية وإكبار

أحـيّي ذرى إرثنا الأول	فريق الكتابة في «الفيصل»
أشد عليها أيادي الرجال	تصوغ الروائع بالأنمل
وتسرقنا في فضاء «الجراح»	إلى الأُفُقِ الأجمل الأجمل
فيا وارثين كواثر زمز	م إنّا عطاش إلى المنهل
فهلاّ غرفتم من السّلسَبيل	ومن فيضنا الشافي الأول
وأرسلتُمُ في هجير بلادي	سحاباً من الحب والقُبَل
فقد أرهقَتنا بقايا «المطارق»	والزيف ينسلّ في «منجل»
فيا حاملين ضياء العصور	إلى الجيل تقبس في «مشعل»
حملتم أماناتكم من زمان	وسرتم على نهجنا الأمثل
فدمتم على العهد نهر عطاء	يساقي الأحبة في المقبل
ودامت نوابغنا الهاديات	معالم في ليلنا الأليل

مصطفى بلقاسمي
عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية
الجزائر.

ـ بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحباً بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.

عبدالعزيز



في فيلم شاهدته ـ مؤخرًا ـ عند أحد الأصدقاء يقوم عربي بقتل عربي آخر؛ فيسأله لورنس عن أسباب قتله لرفيقه، الذي كان يقف معه عند البئر بعد أن ارتويا، فيجيبه القاتل: إنه شرب من هذا المورد التابع لي ولقومي. فيقول له لورنس: لقد شربت منه أنا أيضًا؟ فيرد القاتل بعدم الممانعة لأنه ليس عربيًا. ثم يذهب العربي ممتطيًا جواده، بعد أن يرفض لورنس عرضًا منه بمساعدته قائلاً له: لا أريد مساعدتك بعد أن قتلت صديقي. ثم يقول له بعد أن ناداه باسمه: ستظلون أيها العرب في منتهى التخلف، وستكونون موضع الاحتقار والإصغار ما دامت بقيت كل قبيلة تقاتل الأخرى، وكل فرد يقتل الآخر.

تذكرت، وأنا أشاهد هذا الفيلم، تلك القصة المشهورة التي جرت أحداثها في زمن جاهلية العرب حين قطع عمرو بن كلثوم رأس عمرو بن هند لما لحقَ بأمه من إهانة من أم الأخير، وأنشد في ذلك معلقة طويلة مطلعها: ألا هبي بصحنك فاصبحينا، ومما جاء فيها:

ونشرب إن وردنا الماء صفوا

ويشرب غيرنا كدرًا وطينا

فهذا البيت يلخص الأخلاق التي كانت سائدة في الجاهلية؛ إذ يتحكم القوي ويبطش بغيره كما شاء له البطش من غير أن يمنعه وازع من خلق أو دين. بل كانت السيادة التي تُفرض بالقوة من أسباب التفاخر، ومن علامات العزة والكرامة، وكانت موارد المياه ومراعي الإبل ومواقع الزراعة من دوافع النزاع والصراع، وكان المبدأ السائد أن تستحوذ القبائل القوية على خيرات الأرض جميعها، وأن تترك لغيرها الفتات، هذا إن لم تطمع في ذلك الفتات أيضًا.

ولـمّا أعز الله العرب بالإسلام زالت أشكال الفوارق التي كانت سائدة في زمن الجاهلية، وأصبح الجميع سواسية، لا فرق بينهم إلا بالتقوى؛ وفي ظل هذا المبدأ الإنساني امتد الإسلام وانتشر في أجزاء المعمورة المختلفة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، ونعموا جميعًا بالأمن والطمأنينة، فكان أن توطدت حضارة الإسلام، وأصبحت بلاد المسلمين ملاذًا للباحثين عن الأمن والحياة الكريمة. ولكن؛ حين تخلى كثير من المسلمين عن مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه، وتخلقوا بأخلاق غيرهم ممن هم دونهم مبادئ وقيمًا، بدأت هذه الحضارة الزاهرة في الاضمحلال؛ وضعفت قوة المسلمين وذهبت هيبتهم، فأصبحوا غرضًا سهلاً لسهام أعداء الإسلام الذين أدركوا أن قوة المسلمين تتجسد في قيم هذا الدين ومبادئه؛ ومن ثم كان تخطيطهم وعملهم لإضعاف هذه المبادئ والقيم في النفوس. وقد نجح هذا المخطط إلى حد بعيد، حيث سادت الخرافات والبدع والأساطير في العالم الإسلامي، وتحكمت العادات والتقاليد والأعراف البعيدة من روح الدين الإسلامي، حتى اكتسبت قداسةً ترسخت في الأذهان إلى حد أن عادت الجزيرة العربية ـ مهد الإسلام ـ إلى ما يشبه حالها في أيام الجاهلية الأولى، وأصبح الغزو والسلب والنهب من مفاخر قبائلها، التي عادت إلى الاقتتال على موارد المياه والمراعي والماشية؛ فانتشرت الفوضى وعمّ الفساد، واضطربت أحوال البلاد، فتدهورت بذلك ظروفها الاقتصادية، وتدنى مستواها الحضاري، وانقطعت عن ركب الحياة العصرية في خارج حدودها، كما أنها كانت تتأثر سلبًا بما كان بين القوى الدولية في العالم من صراع محموم على مناطق النفوذ والموارد الطبيعية، التي تحاول كل منها أن تستأثر بها دون غيرها.

في ظل هذه الظروف برزت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي قصدت إلى تخليص عقيدة التوحيد من كل تشويه وتحريف لحق بها، وإعادتها إلى صفائها الأول، وتطبيق مفهومات العقيدة الصحيحة وفق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. وقُدِّر لهذه الدعوة أن وجدت مناصرة الإمام محمد بن سعود؛ فانتشرت في أرجاء شبه الجزيرة، لتبدل أحوال كثيرين من أهلها الذين شعروا بصدق توجهها، ونُبل مقاصدها. ولكن لم يكن سهلاً على أصحاب المطامع ـ من الذين يستغلون جهل الناس وسذاجتهم لتحقيق مآربهم ومصالحهم الذاتية ـ أن يتقبلوا هذا الواقع الجديد الذي بدأت تفرضه الدعوة، فعملوا جهدهم لتشويه مبادئها، وتأليب الناس عليها، بدعوى مخالفتها لتعاليم الدين الصحيح. وكانت المفارقة أن يكون أصحاب الدعوة إلى العقيدة الصحيحة التي لا تشوبها شائبة هم المتهمين بتشويهها؛ في حين يتخذ أصحاب الخرافات والبدع موقع المنافحين عن الدين. وذهب هؤلاء بدعاواهم وافتراءاتهم إلى أبعد مدى، إلى أن بلغت خارج حدود شبه الجزيرة العربية، وصوّروا دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب على أنها دعوة إلى مذهب جديد، ونعتوا أنصاره بالوهابيين، ورسّخ المتربصون بالإسلام هذه الدعاوى في الأذهان، خوفًا من أن تكون هذه الدعوة بداية نهضة حضارية للأمة الإسلامية. وقد انطلت هذه الدعاوى على بعض السذّج من الناس الذين ركنوا إلى البدع والخرافات، ناظرين إليها على أنها من الدين.

وقد كانت هذه الحرب الشعواء التي واجهت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من أولى الدروس التي وعاها الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ في صباه المبكر، فأدرك أن ما تعيشه الجزيرة العربية من فساد وفوضى واستبداد إنما هو نتيجة طبيعية لتحكم المصالح الذاتية الضيقة، والتكالب على السلطة، وانتشار الجهل، وذلك كله بسبب البعد من القيم الإسلامية الأصيلة، وغياب السلطة المركزية التي ترسخ هذه القيم في أرض الواقع منهجًا وعملاً.

واستنتج الملك عبدالعزيز من هذا الاستقراء للتاريخ ـ ولاسيما تاريخ الدولة السعودية في دوريها الأول والثاني ـ أن القوى الدولية المتصارعة يهمها استمرار هذه الأوضاع المضطربة في الجزيرة العربية لما لها من مركزية في العالم الإسلامي بوصفها مهد الحضارة الإسلامية، وأرض الحرمين الشريفين اللذين تتعلق بهما قلوب المسلمين، أينما كانوا، مما يجعل أثر أي تطور حضاري لهذه الجزيرة يمتد إلى بقية أرجاء العالم الإسلامي الذي كان أغلبه يعاني من وطأة الاستعمار وتسلطه.

وقد كان هذا الواقع الأليم الذي تعيشه الأمة الإسلامية حاضرًا في ذهن الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ عندما قصد ـ في مغامرة قل نظيرها في التاريخ ـ إلى فتح الرياض على رأس عدد قليل من أصحابه الذين ناصروه اقتناعًا بالغايات والمقاصد التي تسعى إلى تطبيق المنهاج الذي ناضلوا من أجله طويلاً، ألا وهو منهاج الإسلام عقيدة وشريعة وعملاً، وإيمانًا منه بأن لا عزة للإسلام ما دامت شبه الجزيرة العربية تعيش في جاهلية ما قبل الإسلام، بكل ما فيها من بدع وضلالات وسلب ونهب وغزو، إلى أن أصبحت الحرب قاعدة، والسلام استثناء، حتى أصبح الحج يمثل مغامرة غير محمودة العواقب، لما يتعرض له الحجيج من سلب ونهب وترويع من قطاع الطرق الذين ينتشرون على امتداد طرق قوافل الحجيج.

ولم يكن الملك عبدالعزيز يشعر أن ما هو مقدم عليه ـ مع هذا النفر من صحبه ـ مغامرة بقدر ما كان يراه واجبًا يستحق أن يُبذلَ في سبيله كل غال ونفيس، مما أكسبه الثقة بالذات والثبات على المبدأ والاستعداد النفسي لمواجهة الاحتمالات المتوقعة جميعها. وكان هذا سر إصراره على المضي قدمًا في تنفيذ ما انتواه من غير أن يُضعف من عزيمته معرفته بعدم التكافؤ بينه وبين من هو مقدم على منازلته.

ومن لا يعرف سر الإيمان، وما يحدثه في القلوب من أثر فعال لا يُوازَن به أثر أعتى الأسلحة المادية يشعر بحيرة شديدة إزاء ما قام به الملك عبدالعزيز من عمل هو أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع، وبخاصة أن من عكفوا على دراسة تاريخه خلصوا إلى أنه كان يزن الأمور بموازين دقيقة، ولم يكن يقدم على فعل إلا وهو مدرك تمامًا آثاره ونتائجه كلها.

وهذه الحيرة لا يقع فيها الذين يعرفون للرجال الأفذاذ أقدارهم، ويستنبطون ما لهم من صفات تميزهم من الآخرين، تدفعهم إلى إتيان أفعال لا يستطيع الإقدام عليها غيرهم، ولا

في ذاكرة الوطن

أدل على ذلك من قول عباس محمود العقاد في مقالة له في صحيفة الكتلة تحت عنوان «مع عاهل الجزيرة العربية»: «ابن سعود من أولئك الزعماء الذين يراهم المتفرسون المتوسمون فلا يحارون في أسباب زعامتهم، ولا يجدون أنفسهم مضطرين أن يسألوا: لماذا كان هؤلاء زعماء؟ لأن الإيمان باستحقاق هؤلاء لمنزلة الزعامة في أقوامهم أسهل كثيرًا من الشك في ذلك الاستحقاق».

وقراءة أبعاد شخصية متفردة مثل شخصية الملك عبدالعزيز تحتاج إلى ملكات عقلية وفكرية خاصة تتناسب مع ما لها من أسباب التفرد والتميز، وإن كان أثر ما قام به من أعمال معلومًا لكل منصف.

وإذا كانت أقدار عظماء الرجال تقاس بمقدار ما أحدثوه في مجتمعاتهم والمجتمع الإنساني من آثار عظيمة، فإن ما قدمه الملك عبدالعزيز لمجتمع الجزيرة العربية من جلائل الأعمال يصعب على الوصف والحصر؛ لأن ما قام به يمثل نقلة حضارية بكل المقاييس؛ قد يكون في وصفها بالطفرة ظلم لها ولصاحبها، لأن من يتصدى للموازنة بين ما كان عليه واقع الجزيرة العربية قبل حكم الملك عبدالعزيز، وما أصبح عليه حالها في ظل حكمه، يوقن تمامًا أن لا وجه للموازنة، فيكفي أن قبائلها تآلفت وانصهرت في بوتقة وطنية واحدة، بعد أن كان القتال ديدنها، والسلام هدنة مؤقتة لالتقاط الأنفاس، واستئناف الحرب. ولم يكن لهذا التحول أن يحدث بين عشية وضحاها، ما لم يكن هناك جهد دؤوب يستند إلى فكر ثاقب يعي به صاحبه أبعاد كل خطوة يخطوها، وكان الملك عبدالعزيز صاحب هذا الفكر؛ إذ عرف دقائق مجتمعه ودرس خصال قبائله وصفات أهلها، وتعمق في معرفة أحوالها، فاستطاع - بتوفيق الله له - أن يقوم بصياغة إنسان جديد فكرًا وعملاً يستطيع أن يتحمل تبعات بناء كيان موحد يستظل بظل الشريعة السمحة، ويحتكم إليها في كل أقواله وأفعاله، تاركًا حياة الفوضى والاضطراب إلى غير رجعة.

وعلى الرغم من المصاعب التي وجدها الملك عبدالعزيز في هذه السبيل؛ نتيجة لما تعوده الناس - زمنًا طويلا - من نمط حياة فيه كثير مما يخالف الشرع الحنيف؛ إلا أن النفوس كانت تنطوي على ذلك الاستعداد الفطري الدفين لتقبل ما يوافق العقل والدين، إذا لمسوا الصدق فيمن يدعو إليه. وكان هذا ما شعر به أهل الجزيرة العربية من بدو وحضر تجاه دعوة الملك عبدالعزيز إلى إقامة الشرع وتطبيق أحكام الله في كل صغيرة وكبيرة من أمور الحياة. ودلل الملك عبدالعزيز على صدق توجهه باحتكامه إلى الشرع في كل حال، وكان حريصًا في كل مناسبة على أن يذكّر بمبدأ المساواة بين الجميع، وأن يؤكد أن إقامة العدل مقصد أصيل له، ومن أقواله في هذا المقام: «إن باب العدل مفتوح للجميع على السواء، والناس كلهم، كبيرهم وصغيرهم، أمامه سواء حتى يبلغ الحق مستقره». ولمس هذا التحول العميق في أحوال الجزيرة العربية كل متابع لتطور الأحداث فيها، فيلخص السياسي البريطاني أنتوني ناتنج هذا التحول في كلمات قليلة بقوله: «جملة القول: إن الملك عبدالعزيز قد نجح في تحويل مجتمع الجزيرة العربية من قبائل مقتتلة إلى شعب يعي معنى المواطنة والاستقرار».

ومن أكثر التحولات التي استرعت انتباه المتابعين، وكانت مبعث دهشتهم، تلك الحالة الفريدة من الأمن التي أصبحت عليها البلاد في ظل حكم الملك عبدالعزيز، إلى درجة أن صارت مضرب الأمثال، بعد أن كانت مثالاً فريدًا في الفوضى والاضطراب، وعن ذلك يورد جيرالد دي غوري في كتابه ARABIA PHOENIX: «لو أن قافلة أسقطت كيسًا في الصحراء، فلا بد من العثور عليه بعد ستة أشهر، في الموضع نفسه، فالأمن في العربية السعودية مدهش، وهو أكثر شمولاً منه في أي بلد أوربي».

وكان الملك عبدالعزيز - على صغر سنه حين شرع في توطيد حكمه - عميق التجربة، مدركًا أبعاد ما يدور حوله من أحداث، قادرًا على استقراء نتائجها قبل حدوثها، وقد أهّلته هذه الصفات للتعامل بواقعية مع القوى الدولية التي كانت تطمع في ولائه، فاحتفظ بعلاقات متوازنة معها من غير أن يتنازل عن استقلال قراره. وكان عليه - يرحمه الله - أن يبني قواعد دولته وسط أمواج السياسة العاتية التي عصفت بأعظم الإمبراطوريات. ومع حرصه على أن يفتح للبلاد طريقًا إلى الرقي الحضاري، لتعيش في قلب العصر، أخذًا وعطاءً، إلا أن الحضارة الغربية بكل إنجازاتها المادية لم تُغْرِه أو تبهره كما أغرت وبهرت غيره من المثقفين والسياسيين والمفكرين الذين انساق كثير منهم وراء دعاوى التقدم على النمط الغربي. فقد تيقن من استقرائه العميق للتاريخ أن البعد الأخلاقي للحضارة هو الذي يحفظ لها إنسانيتها، ويعطيها طابع الاستمرارية والرقي، ولا يتمثل هذا البعد الأخلاقي الحضاري إلا في مبادئ الإسلام وقيمه، وفي إطار هذا المنظور الحضاري كان اهتمامه - يرحمه الله - بالتحديث والتطوير، فمن أقواله التي تدعم هذا المنظور: «أما الأمور العصرية التي تعيننا وتفيدنا ويبيحها دين الإسلام فنحن نأخذها، ونعمل بها، ونسعى في تعميمها، وأما المنافي للإسلام، فإننا ننبذه ونسعى جهدنا في مقاومته، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا مدنية أفضل وأحسن من مدنية الإسلام، ولا عزّ لنا إلا بالتمسك به».

وهذا الاستناد إلى المنظور الإسلامي في التفاعل مع الآخرين جنّب الملك عبدالعزيز تلك الثنائيات المتناقضة التي طبعت عصره، والتي كان العالم الإسلامي مسرحًا لها، ومن مثل هذه الثنائيات: الأصالة والمعاصرة، والعروبة والإسلام، فقد زاوج - يرحمه الله - بينها من دون أن يرى أي تناقض بينها، لأن ميزانه في ذلك كان ميزان الشرع. فلا تناقض، في نظره، بين النهل من تراث الأجداد والسلف الصالح وتوظيفه بما يناسب العصر، وبين الأخذ من منجزات العصر التي لا تعارض بينها وبين قيم الإسلام ومبادئه، وكذلك فلا تناقض بين العروبة والإسلام، لأن في عزة العرب عزة للمسلمين، وأن على الجميع العمل لما فيه خير الإسلام الذي هو منهاج الأمة، فيقول الملك عبدالعزيز: «أتمنى من سائر إخواننا العرب أن يبذل كل منهم جهده فيما ينفع جميع المسلمين وجميع العرب، لأنه لابد من الاتفاق لما يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين».

وقد استطاع الملك عبدالعزيز، على مدى نصف قرن من الزمان، أن يؤسس دولة ثابتة الأركان، عزيزة الجانب، لها منهجها الواضح الذي لا يعرف التبدل أو التغير مهما كانت الظروف والأحوال، فأثبت لكل من يخالجه شك أن الإسلام دين ودولة، وأنه بإنسانيته وعظمة مبادئه يكفل لكل مجتمع يأخذ به أسباب الرقي والتحضر، وأسباب الانعتاق من الجمود الفكري والتقليد الأعمى.

وهذا المنهاج الواضح الذي رسخ به الملك عبدالعزيز أسس المملكة العربية السعودية لايزال هو الأساس الذي تقوم عليه كل لبنة حضارية يضيفها ولاة الأمر إلى بناء هذا الكيان الكبير.

ولعل ذكرى اليوم الوطني مناسبة طيبة لتمثل هذا الإنجاز الحضاري الذي حققه الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، والذي لايزال يبهر الدارسين والباحثين بما انطوى عليه من دلائل العظمة وعلو الهمة. وهذا ما يؤكده جاك بنوا ميشان بقوله: «إن تاريخ هذا الأمير الشاب الذي تنحني أمامه اليوم كل الجزيرة العربية سيُذكر على أنه من أكثر أحداث قرننا إثارة للدهشة».

ذهب عبدالعزيز - رحمه الله - وبقي نهجه يسير عليه - من بعده - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من أجل أن يظل هذا الكيان شامخًا بمبادئه، مفتخرًا بقيمه، معتدًا برسالته.

من أكثر التحولات التي استرعت انتباه المتابعين، وكانت مبعث دهشتهم، تلك الحالة الفريدة من الأمن التي أصبحت عليها البلاد في ظل حكم الملك عبدالعزيز، إلى درجة أن صارت مضرب الأمثال

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

الفيصل
العدد 252 ـ السنة 21 ـ جمادى الآخرة 1418هـ ـ أكتوبر 1997م



بمناسبة اليوم الوطني: الملك عبدالعزيز وعظمة الإنجاز الحضاري

عندما تقاس عظمة الرجال تتفاوت زوايا النظر إلى جوانب هذه العظمة، فتختلف بذلك الآراء، وقد تتناقض تمامًا. ولكن هناك من أفذاذ الرجال من لا يستطيع أحد ـ منصفًا كان أم مجحفًا ـ إنكار ما له من فضل وأثر في مجرى التاريخ، ومن هؤلاء العظماء القلائل في هذا العصر: الملك عبدالعزيز ـ يرحمه الله ـ الذي خلّف من المآثر والإنجازات ما لا تخطئه عين، ولا يتغافل عنه قلم مؤرخ، لأن ما حققه من إنجاز حضاري غير مسبوق ـ حين أرسى قواعد المملكة العربية السعودية ـ فيه ما يغري كل باحث ومؤرخ لاكتناه أسرار هذه العظمة التي هيأت له بناء هذه القاعدة الحضارية الراسخة على أرض كانت الحرب ـ قبل مجيئه ـ من مألوف أهلها، وأهم مفردات حياتهم.

«الفيصل» خصصت في هذا العدد صفحات عن هذا الإنجاز الحضاري بمناسبة ذكرى اليوم الوطني

طالع ص (19ـ 34) إلى جانب إطلالة العدد.

د. غازي القصيبي في «منتدى الفيصل»: لن أرسو في ميناء واحد!!

«المرافئ كثيرة، والموانئ متعددة، والآفاق مفتوحة، والتحديات مثيرة، فلماذا تتوقع مني أن أرسو في ميناء واحد؟»، إجابة للأديب الدكتور غازي القصيبي تكشف عن بعض ملامح شخصيته التي لا ترضى بالرتابة أسلوبًا للحياة. وسيكتشف القارئ، الذي يطالع إجاباته عن أسئلة قراء المجلة في «منتدى الفيصل»، جوانب متعددة من شخصيته؛ لأن هذه الإجابات حوت كثيرًا من آرائه في الأدب والفكر والثقافة ورموزها بأسلوب يجمع بين الدبلوماسية والصراحة، وفات القراء أن يسألوا معاليه عما إذا كان بينهما أي تناقض!!

طالع ص42



المكتبات في سويسرا تاريخ ممتد وتجدد دائم

المكتبات مستودع ثقافة الأمة التي لا ازدهار للعلم من دونها. وقد اهتمت بها ـ على مدى العصور ـ كل الأمم المتحضرة، أو تلك التي ترمي إلى امتلاك مقومات الحضارة، حتى غدت العلاقة بين الحضارة وعدد المكتبات طردية، فكلما زاد عددها كان ذلك دليلاً على الرقي الحضاري لأصحابها. ولم تفقد المكتبات أهميتها على تعدد وسائل الاتصال وتنوع أشكال حفظ المعلومات، لأنها أصبحت مستودعًا لكل مادة معرفية مهما كان أسلوب حفظها أو شكله.
في سويسرا اليوم أكثر من ستة آلاف مكتبة منتشرة في أنحاء البلاد. هذه معلومة واحدة من المعلومات التي أوردها ـ عن المكتبات في سويسرا ـ ثابت عيد، الذي قام باستطلاع مصور عنها.

طالع ص84

عن اليوم الوطني

أدب وفكر

لغة

طب وعلوم

شخصيات

من كتاب العدد



د. محمد بن صالح بن عبدالله الجاسر

- من مواليد مدينة شقراء، المملكة العربية السعودية 1356هـ.
- حاصل على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر 1397هـ.
- عمل مدرسًا بالكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)، ثم نُقلت خدماته إلى الحرس الوطني، فعُين مديرًا للعلاقات العامة، ثم عمل مديرًا عامًا للتحرير والنشر بهيئة الخبراء بمجلس الوزراء.
- عمل مدير تحرير «غير متفرغ» لجريدة الدعوة منذ تاريخ صدورها عام 1385هـ مدة سبع سنوات، وله كثير من الأحاديث الإذاعية، والمقالات والدراسات في عدد من الصحف المحلية.
- شارك في بعض الندوات الفكرية والمؤتمرات الداخلية والخارجية.
- من مؤلفاته:

المقاييس البلاغية بين ابن الأثير والخطيب القزويني «رسالة دكتوراه»، النظرية البلاغية في كتاب الطراز «أطروحة الماجستير»، أبوالطيب المتنبي شاعر العربية العملاق، من حديث النفس «مجموعة مقالات وأحاديث»، خارج المصيدة «مجموعة قصصية»، صور بلاغية «موضوعات محللة لطلبة الثانوية العامة - أدبي»، البلاغة والنقد «مقرر مدرسي للمرحلة الثانوية».



د. أحمد محمود الخليل

- من مواليد سورية 1945م.
- حاصل على الدكتوراه في الأدب الجاهلي والإسلامي، تخصص أدب ونقد.
- يعمل محاضرًا للغة العربية في وحدة المتطلبات الجامعية العامة، جامعة الإمارات العربية المتحدة.
- من مؤلفاته:

ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، في النقد الجمالي، ومجموعة مقالات في الدوريات العربية حول الأدب والنقد والتربية والتاريخ الإسلامي.



محمد حامد حسنين

- من مواليد وادي حلفا، السودان.
- حاصل على بكالوريوس تجارة من جامعة القاهرة، وماجستير إدارة عامة من الجامعة الأردنية.
- تقلد عددًا من الوظائف في المنظمة العربية للعلوم الإدارية 1971-1987م، وعمل محاضرًا بأكاديمية السودان للعلوم الإدارية 1988-1993م، ثم عمل مديرًا للتدريب بالبنك الأهلي السوداني 1993-1996م.
- عضو الجمعية السودانية للإدارة، وشارك في عدد من الندوات والمؤتمرات المحلية والإقليمية والدولية ذات العلاقة بمجال الاختصاص.
- له عدد من الترجمات والبحوث المنشورة.



إليان بن نايف شكور

- من مواليد حماة، سورية 1960م.
- حاصل على إجازة في العلوم الزراعية، جامعة تشرين.
- يعمل متخصصًا بالتصوير العلمي والمجهري، وإعداد شرائح السلايد للمؤتمرات العلمية والطبية.
- عضو جمعية العاديات باللاذقية، وحاصل على شهادة تقدير من مجلة «فن التصوير» اللبنانية عن الأعمال الفوتوغرافية المتميزة للعام 1987م.



علامات تهتدي بها السلاحف في أعماق البحار

من المعروف أن السلاحف البحرية تقوم برحلات طويلة عبر المحيطات، ولكن حتى وقت قريب، لم يُعرَف إلا القليل عن مدى دقة تنقلها، وخلال السنوات الخمس الماضية قام ستيفن موريل عالم الأحياء في جامعة كورنل وثلاثة من زملائه باستخدام أجهزة بث راديوية، واستخدام الأقمار الصناعية لتتبع جلدية الظهر كبرى السلاحف البحرية، المهددة بالأخطار في المحيط الهادي، عندما شرعت في رحلتها من موطنها في شواطئ كوستاريكا متجهة نحو الجنوب، ومما يثير الاستغراب أن الباحثين وجدوا أنه سنة بعد أخرى كانت تلك السلاحف تسلك مسالك متماثلة في



البحار المفتوحة لمسافات تزيد على ألف ميل. كما اكتشف الباحثون أيضًا طرقًا لهجرة السلاحف واضحة المعالم في البحر الكاريبي والمحيط الأطلسي.

والواقع أنه لا أحد يعرف ما الذي يرشد هذه السلاحف على امتداد تلك المسالك، مع أن العلماء يخمِّنون أن تكون التيارات السطحية ودرجات الحرارة وحدود أرضيات المحيطات هي العلامات التي تسترشد بها تلك السلاحف. وقد تكون هذه المسالك غنيه بمصادر الغذاء، وقد وُجد هذا النوع من السلاحف في تلك البيئة منذ ما يزيد على 50 مليون سنة مما يعني أنه أصبح لديها خبرة طويلة لتتعرف أفضل أماكن غذائها. هذا ما لاحظه موريل.

يقول موريل: إن جهود الحفاظ على هذه السلاحف ينبغي أن تركز على حماية هذه المسالك التي اكتشفت حديثًا بجانب الحفاظ على أماكن استيطانها المعروفة، ويضيف: إن تجمع السلاحف بهذه الطريقة يجعلها معرضة للهلاك. ومن جانب آخر فمادام بوسعنا أن نقلص المجال الذي نركز حرصنا عليه، وأن نقلص الزمن إلى أشهر معينة في السنة فإننا قد نتمكن من اتباع أساليب أكثر سهولة لحماية هذه الحيوانات.

سر بيضة بقشرتين!



أعدت جيني فروست بيضًا مسلوقًا لزوجها، وأحضرت سكينًا مشرشرًا لتقطيعه؛ إلا أنها صادفت صعوبة كبيرة مع إحدى البيضات لم تعهدها من قبل، وبعد عدة محاولات أخذت تدقق في الأمر وكانت المفاجأة: وجدت بيضة بقشرتها كاملة داخل البيضة المسلوقة.

وفي الوقت الذي كان زوجها ينتظر الطعام وضعت فروست تلك البيضة - بل البيضتين - في الثلاجة، وراحت تلتمس تفسير الخبراء. وكان لون البيضة الثانية كالأولى، وتشبه بيضة طائر بري بقطر بوصة واحدة. تقول السيدة فروست: إن ذلك بالتأكيد صفقة رابحة فقد حصلت على سبع بيضات بثمن ست فقط!

اشترت السيدة فروست البيضة المفاجأة من بقالة بوسط يوركشير. وعندما اتصلت بالمزرعة التي أنتجت تلك البيضة كان جواب العاملين بها: إنهم لم يسمعوا قط بمثل تلك الحالة. ولما أجرت صحيفة الديلي ميل اللندنية اتصالاً بخبير بريطاني لرعاية الطيور قال: إن ذلك أمر غير عادي ولكنه حدث من قبل.

وفسّر الأمر بأن البيضة ربما خضعت مرتين لدورة تشكيل أو خلق، مكونة قشرتين. فبياض بيضة الدجاجة وقشرتها يتشكلان بينما تمر البيضة في قناة المبيض التي تشبه قناة مبيض المرأة. ويقول ذلك الخبير: إنه حدث شيء ما فانكفأت البيضة حيث نزلت في قناة المبيض ثم عادت مرة ثانية. ويجب أن تكون قد تشكلت قشرة في أثناء نزولها في القناة أول مرة، وبعد أن ارتفعت ثانية، ثم عادت ونزلت في القناة، تشكلت قشرة ثانية.

صبغة دوار الشمس لاكتشاف الأغذية الفاسدة

تُعَدّ البكتيريا المعروفة باسم عصيات القولون التي تستوطن القناة المعوية بكتيريا غير ضارة، إلا أن إحدى سلالات هذه البكتيريا التي تُعرف باسم O157: H7 تشذ عن مثيلاتها وتشكل خطورة كبيرة. لقد سببت هذه السلالة أمراضًا خطيرة في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى. وحدثت بسببها عشر حالات وفاة في اسكتلندا وحدها، كما حدثت تسعة آلاف واربعمئة حالة تسمم غذائي في اليابان خلال صيف عام 1995م. وقد شملت معظم الحالات عصير الفواكه غير المبستر ووجبات الهامبرجر السريعة التي لم تُطبخ كما ينبغي، ومعظم ضحاياها من الأطفال وكبار السن. هذا الوباء قد يسبب حالات إسهال ونزف داخلي وتلف بالكبد؛ بل قد يسبب الوفاة في الحالات الشديدة جدًا.

حتى الآن لا توجد وسيلة سريعة في متناول مفتشي الصحة والمستهلكين يتعرفون بها طعامًا أو شرابًا معينًا تلوث بهذه السلالة السامة جدًا، وكانت الوسيلة الوحيدة للكشف عنها - بعد تفشي المرض بها - زراعة المادة المشتبه بها لمدة 24 ساعة، ومن ثم استخدام أساليب تشخيص متنوعة لتعرف هذه البكتيريا.

وقام الصيادلة في مخبر لورنس بيركلي الوطني - مؤخرًا - بتطوير أسلوب رخيص وسريع باستخدام صبغة دوار الشمس لاكتشاف الإصابة ببكتيريا O157: H7 في موقعها. يقول ريموند ستيفنز رئيس فريق بيركلي: بوجود هذا المجس (صبغة دوار الشمس) فإن سلالة عصيات القولون تغير لونها من الأزرق إلى الأحمر، وكلما ازداد تركيز البكتيريا ازداد اللون حمرةً. ويقول ستيفنز: بوسعنا أن نصنع مجسًا رخيصًا يمكن وضعه على عدد من المواد المختلفة مثل البلاستيك، والورق، والزجاج. والواقع أن تكلفة هذا المجس ضئيلة بحيث تكون جزءًا من غطاء قارورة أو أي وعاء آخر، وإذا ما فُتح الوعاء وتبين أن لون المجس قد تحول من الأزرق إلى الأحمر فهذا يعني أن المادة ملوثة. وهناك أسلوب كشف جديد طُوِّر في جامعة كورنيل يدعى الاختبار الفلوري للتحري عن البكتيريا. ومع أن هذا الاختبار أسرع من الأساليب القديمة إلا أنه لا يزال يستغرق سبع ساعات.



نظام إرشادي ذكي لتجنب الاختناقات المرورية في المدن الكبرى

الخسائر المترتبة على ازدحام الطرق بالسيارات، في المدن الكبرى، والاختناقات المرورية الناشئة من ذلك، والوقت الذي يُهدر، والطاقة التي تُصرف، وحالات الشد العصبي التي تنتاب السائقين ومستخدمي الطرق، إضافة إلى الضغوط التي تقع على الطرق نفسها مما يقلل من العمر الافتراضي للطريق، كل ذلك يجعل البحث عن حل عاجل من الضرورة بمكان.

ولعل ماسبق يجسد مشكلة الاختناقات المرورية ويوضح أبعادها؛ مما يدعو إلى البحث عن حلول متعددة الأبعاد، وليست - كما هو معتاد في كثير من المدن - ترتيبات إسعافية لاجتياز عنق الزجاجة والذروة المرورية في ساعات الصباح وما بعد الظهيرة وفي المساء.

وتشير إحصاءات إلى أن الاختناقات المرورية تكلف اليابان يوميًا قرابة 40 مليون جنيه استرليني، بحساب الضرر الذي يلحق بالسيارات وإهدار الوقود فقط، ولا تأخذ هذه التقديرات في الحسبان تكلفة الأضرار التي تصيب القطاعات الصناعية نتيجة توقف مسؤوليها في مواقع الاختناقات المرورية وهم في طريقهم إلى اجتماعات أو إبرام صفقات.

هذه الأموال المهدرة كانت دافعًا لليابانيين للبحث عن وسائل علمية للحد من الاختناقات المرورية. وتوصلوا بالفعل إلى أسلوب عملي يعرف بـ «نظام السير الإرشادي الذكي» يزود السائقين بمعلومات عن أماكن الازدحام المروري، وينبههم قبل وقت كاف ومسافة معقولة ليسلكوا طرقًا أخرى. وحسبما أوردت نيوسينتست، New Scientist، فإن التجربة التي سترى النور قريبًا في طوكيو، هي أول تطبيق عملي على مستوى كبير لهذا النظام، إذ إن هناك بضع تجارب منعزلة، بما في ذلك تجربتان في كل من لندن وبرلين. وسيقوم بتشغيل نظام السير الإرشادي الذكي في اليابان اتحاد من ست شركات تشمل مرسيدس - بنز فرع اليابان، وبنون للبرق والهاتف، إضافة إلى شرطة العاصمة اليابانية.

والواقع أن أنظمة إرشاد السير متوافرة، على المستوى التجاري، منذ مدة، وكلها تعمل على توجيه السائقين إلى الطرق الأكثر سرعة، بصرف النظر عن وجود ازدحام أو اختناق قد يكون ناجمًا عن انفجار أنبوب مياه رئيسي، أو انقلاب شاحنة، أو وقوع اصطدام بين عدد من السيارات، وبخاصة في موسم الأمطار.



تقوم فكرة نظام طوكيو على الجمع بين المعلومات التي تأتي من الآلات الحاسبة المستخدمة لتنظيم حركة السير في المدينة، ومن ثمّ يتم دفع هذه المعلومات في النظام الإرشادي الموجود في بعض السيارات.

وتمتلك طوكيو أفضل نظام مراقبة سير متطور في العالم يستخدم أربعة عشر ألف جهاز استشعار ميكروويفي بالإضافة إلى مئتي آلة تصوير. وأجهزة الاستشعار هذه مثبتة على إشارات مرور الجسور، وتقوم بقياس الزمن الذي تستغرقه السيارات بالعبور تحت هذه الجسور، وبهذا تتمكن من حساب سرعة حركة المرور. كما أن آلات التصوير تراقب حركة المرور، ولكن بدلاً من تسجيل سرعة السيارات التي تعبر من تحت أجهزة الاستشعار؛ فإنها تسجل السرعة على امتداد مسافات أطول تصل إلى نصف كيلو متر أو نحو ذلك بما في ذلك التوقف عند إشارات المرور. وتعمل آلات التصوير على رصد أرقام لوحات السيارات العابرة، وبمقابلة أرقام لوحات السيارات التي تمر بآلتي تصوير متعاقبتين تعمل الحواسيب على حساب مدى سرعة السيارات، وتلك دلالة أفضل على الزمن الذي تستغرقه السيارات في رحلتها من القياس البسيط لسرعة كل سيارة على حدة. لقد أصبح رجال المرور في طوكيو يستخدمون المعطيات المستخلصة من أجهزة الاستشعار لتوضيح الاختناقات المرورية على خرائط إلكترونية يستطيع السائقون في شبكة طرق المدينة مشاهدتها. وبمساعدة النظام الجديد يعمل ما يزيد على مئة حاسوب منتشرة في أنحاء المدينة على معالجة تلك المعطيات وبثها بالراديو إلى السيارات الداخلة ضمن النظام.

إن أنظمة المرور الإرشادية تُسقط من حسابها الطرق المعتادة داخل المدينة في حال اختناق هذا الطريق مروريًا وتعذر أن تسلكه السيارات بانسيابية ومرونة. أما المعلومات التي تُعطى للسائقين عن أفضل طريق يسلكونه فتظهر على الشاشات المركبة في سياراتهم، إضافة إلى ذلك يتم إبلاغ السائقين بتعليمات مسموعة.

دروس من سلوك الطيور المهاجرة

كيف تواجه الطيور المتطلبات المتضاربة للهجرة؟ إن طيرانها الماراثوني إلى مسافات بعيدة يجعل توقفها لالتقاط غذائها أمراً جوهريًا، كما يتطلب الأمر في كل مرة تهبط فيها أن تتجنب الحيوانات المفترسة. وقد أوضحت دراسة أجريت في السويد أن الخوف من الضواري يجعل بعض الطيور المهاجرة تلتهم الطعام بسرعة وبذلك لا تسمن.

قام ثورد فرانسون من المتحف السويدي للتاريخ الطبيعي وتوماس ويبر من جامعة ستكهولم بدراسة سلوك الطائر ذي القلنسوة (الطائر المغرد) وطائر Sylvia atricapella في أثناء ارتحالهما، وقد أوضحت الدراسة أن الطيور التي تسافر إلى شرق إفريقيا في فصل الشتاء تتوقف على امتداد الطريق عدة أيام في المرة الواحدة. يقول فرانسون: إن الطيور لا تملك معرفة سابقة بالمواقع أو بأماكن غذائها أو الحيوانات المفترسة التي قد تصادفها.

ولاكتشاف رد فعل الطيور إزاء الأخطار التي تواجهها من الضواري في محطات توقفها اصطاد الباحثون مجموعة من ذكور الطيور ذوات القلنسوة في أثناء هجرتها أول مرة، وقد قسموها ثلاث مجموعات عُزلت عن بعضها، ثم قاموا بتمرير باشق (طير جارح) غير حقيقي أمام قفص المجموعة الأولى عشوائيًا مرات عديدة، كما قاموا بقذف قارورة من البلاستيك أمام قفص المجموعة الثانية. أما المجموعة الثالثة فقد تُركت للعيش في سلام دون أي إزعاج.



يقول فرانسون: إن رد فعل الطيور نحو الباشق المزيف كان مماثلاً تمامًا لرد فعلها إزاء ضواري البرية الحقيقية. ويضيف: إن الطيور تجمدت في أماكنها هلعًا مدة تتراوح من 20 - 30 ثانية ولم تحدث إلا بضع نداءات. أما الطيور التي رأت القارورة البلاستيكية فقد اهتاجت أكثر من الطيور التي تُركت في سلام، لكنها لم تتجمد في مكانها، وهذا مما يؤكد أن الطيور التي تعرضت للباشق المزيف حسبته باشقًا حقيقيًا.

خلصت الدراسة - كما ذكرت مجلة BUSINESS WEEK - إلى أن المجموعة التي تعرضت للباشق المزيف التهمت طعامًا أكثر وازداد وزنها ضعف وزن الطيور الأخرى تقريبًا. ويرى فرانسون أن تلك المجموعة كانت تحاول بذلك أن تحصل على مستوى ملائم من الطاقة بسرعة لكي تستطيع مغادرة المكان بأقصى سرعة ممكنة. ويضيف: إنه على ازدياد وزن هذه الطيور بسرعة؛ إلا أنه كان أقل من المعتاد قبل محاولة مغادرة المكان لكي تتمكن من الطيران بشكل أكثر سهولة، وهذا مما يؤمن لها فرصة أفضل لتجنب هجمات الضواري عليها في أثناء الطيران.

ويعلق نيل متكالفي الخبير بعلم الحيوان من جامعة جلاسجو على نتائج الدراسة قائلاً: إنه لأمر يثير الاهتمام. ويضيف: إن التغذية تجعل من الطائر أكثر وضوحًا للضواري، وبذلك فإن الحيوان، تحت ظروف تعرضه للحيوانات المفترسة يقلل عادة من تناوله للغذاء. ولكن من الواضح أنه تحت ضغوط الهجرة تغير الطيور من أنماط سلوكها؛ فهي تختار الأخطار المتزايدة على المدى القصير لتزيد إلى الحد الأعلى من إمكان عودتها على المدى الطويل.

التلوث الضوضائي يسلب الصغار المهارات اللغوية

الأطفال الذين يقطنون في مناطق تعج بالضجيج تقل مهاراتهم اللغوية عن أولئك الذين يعيشون في مناطق أكثر هدوءًا. يرى الباحثون في جامعة كورنيل في إيثاكا بنيويورك أن ذلك ناجم عن أن من يقطنون مناطق الضجيج يواجهون صعوبة أكبر من أولئك الذين يقطنون المناطق الهادئة في تعرف ما يتحدث به الناس وفهمه.

وقام جاري إيفانز ولورين ماكسويل، في دراستهم الأولى لتوضيح الصلة بين الضجيج ومهارات القراءة، بعقد موازنة بين ثمانية وخمسين طفلاً ممن تتراوح أعمارهم بين السابعة



والثامنة من مدرسة تقع في مجال ممر طيران بالقرب من مطار نيويورك، وخمسين طفلاً، في السن نفسها، من أحد الأحياء التي يسودها الهدوء. وقد أُخضع الأطفال جميعهم إلى مجموعة متنوعة من اختبارات الإصغاء والقراءة. فعلى سبيل المثال كان على الطلاب أن يتعرفوا كلمات معينة من بين مجموعة من الكلمات، وأن يقرؤوا كلمات لا معنى لها من أجل أن يعرفوا مدى إدراكهم للأحرف الصحيحة وأحرف العلة، عندما وجدوها مجتمعة، ومدى تعرفهم أو تمييزهم بين كلمات أُخفيت أجزاء منها بالتشويش. وجميع تلك الاختبارات أجريت في مكان هادئ.

وكما كان منتظرًا تبيّن أن الأطفال الذين جاؤوا من أحياء تسودها الضوضاء كانت مهاراتهم في القراءة ضعيفة. كما وجد الباحثان أيضًا أن تمييز هؤلاء الأطفال للكلمات المنطوقة وفهمهم لها كان أكثر صعوبة، وخلصوا إلى أنه إذا ما أراد أولئك الأطفال أن يتغلبوا على مشكلة الجلبة والضجيج فينبغي تخفيف عبء الضجيج الذي تعرضوا له بتصفية بعض الأصوات التي تشمل أصوات البشر. وحيث إن مهارات القراءة تُكتسب جزئيًا بالإصغاء للآخرين فإن تجاهل الكلام يشوش تطور تلك المهارات ونموها.

يعتقد الباحثون أنه من خلال إصغاء الأطفال للكلام فإنهم يتعلمون التمييز بين المقاطع اللفظية (الفونيمات) وهي وحدات الكلام الصغرى التي تساعد على تمييز نطق لفظة ما من نطق لفظة أخرى. وحالما يكتسب الأطفال هذه المقدرة من الإصغاء للكلام يصبح بوسعهم أن يطبقوها على النصوص.

تقول أرلاين برونزافت المتخصصة بعلم الضجيج في جامعة سيتي بنيويورك: إن نتائج هذه البحوث قد تُطبَّق على المدارس القريبة من أي مطارات كبيرة. وتضيف: إن الأمر لا يتعلق بالموقع، فهو مهم سواء كان في لندن أو هولندا أو لوس إنجليس بسبب الصلة بين التعرض للضجيج واكتساب اللغة.

هذا البحث قد يوفر حجة جديدة للجماعات التي تريد تعزيز القيود على الجلبة والضوضاء الصادرَيْن من المطارات والمواقع الأخرى. وتقول برونزافت: يواجه أنصار المطالبة بوضع مزيد من القيود الصارمة على مصادر الضجيج صعوبة في إثبات أن الضجيج مؤذ فعلاً، لكن أبحاث جامعة كورنيل ستمدهم بتعزيز كبير لما يطالبون به.

وكانت دراسات عديدة سابقة أجراها إيفانز وآخرون قد توصلت إلى أدلة على وجود ضغط دم عال ومستويات عالية من هورمون الأدرينالين الذي له صلة بالإجهاد لدى الناس الذين يتعرضون للضجيج مددًا طويلة من الزمن.

دراجة تُدار بالطاقة الشمسية



لما كان تبديل دواسات الدراجة مصدر ألم؛ فقد برقت فكرة ذكية تريح المتنزهين على متن الدراجات. إنها دراجة تدار بالطاقة الشمسية. فعند نقر مفتاح مثبت على مقود الدراجة تنشط بطارية تُشحن باستمرار بألواح شمسية مثبتة على أحد جوانب الجزء الخلفي من الدراجة، وهذه البطارية تزود محركًا كهربائيًا بالطاقة، وهذا المحرك يتيح بدوره للراكب المتعب أن يأخذ قسطًا من الراحة في الوقت الذي تسير فيه الدراجة دون جهد من الراكب.

قام المبتكر طوني كيس Tony Case ـ حسبما ذكرت الديلي ميل البريطانية ـ بتصميم نموذج أولي لتوضيح إمكان تسخير الطاقة الشمسية. وجاءت الاستجابة لهذا الابتكار ملهبة للحماسة إلى حد أنه أخذ يتفاوض مع الصانعين على تسويق نموذج إنتاج يكلف زهاء ألف جنيه استرليني.

يبلغ مدى البطارية الشمسية للدراجة ـ التي يستغرق شحنها خمس عشرة ساعة ـ 250 ميلاً، أو قرابة 500 ميلاً إذا ما استخدم الراكب رجليه في التبديل في أثناء عمل المحرك. أما السرعة القصوى لهذا المحرك فهي 15 ميلاً في الساعة، وربما أكثر.

الحليب الطبيعي أو الصناعي: أيهما الخيار الصحيح؟

د. منيرة البياتي

تصبح الأم بعد ولادة طفلها البكر، في أيامنا هذه، في حيرة من أمرها لدى الاختيار بين الرضاعة الطبيعية والرضاعة الاصطناعية. وعلى الرغم من المعلومات المتوافرة حول فائدة الرضاعة الطبيعية، إلاّ أن كثيراً من الأمهات يلجأن إلى الحليب المُصنَّع لتوافقه مع متطلبات الحياة الحديثة وتعقيداتها. فتضطر الأم الموظفة على سبيل المثال لاستخدامه بعد انتهاء إجازة الأمومة، إذ إن متطلبات العمل تفرض عليها الغياب عن طفلها عدة ساعات خلال اليوم. وتؤدي الإعلانات المغرية عن أنواع الحليب المصنع التي تبثها وسائل الإعلام من تلفاز، وإذاعة، وصحافة يومياً، دوراً مهماً في جعل مزيد من الأمهات يقبلن هذا الخيار.

وهكذا أصبح من الصعب إقناع الأم باختيار الرضاعة الطبيعية من غير تغيير الظروف المحيطة بها، وتعاون الأسرة، والأصدقاء، والطبيب، على مساعدتها.

الأيام الأولى بعد الولادة

يتهيأ ثدي الأم للرضاعة منذ فترة الحمل، فتفرز المبايض والغدة النخامية والمشيمة هرمونات تساعد على التغيرات الحاصلة في الثدي، ومن ثم في تكوين الحليب. وما إن تضم الأم وليدها إلى ثديها بعد ولادته مباشرة، ومن خلال التماس الجسدي بينهما، يبدأ الطفل بالرَّضْع البدائي الغريزي sucking reflex، لكن الحليب لا يُفرز بعد في هذه المرحلة المبكرة. ويحفز الرضع الغريزي الغدة النخامية للأم فتفرز هرمون الأوكسيتوسينoxytocin، الذي يحث بدوره غدة الثدي على تدفق الحليب، وذلك في اليوم الثاني أو الثالث بعد الولادة. وهكذا يتهيأ الجو الطبيعي الصحي لإطعام الطفل ونموه، كما تقوى الروابط العاطفية بين الأم وطفلها. ويسهم هرمون الأوكسيتوسين في تقليص حجم الرحم مسترجعًا تدريجيًا وضعه الطبيعي، كما تذوب الشحوم الفائضة التي تكونت في أثناء الحمل لكي يعود الجسم إلى وزنه السابق. وتنخفض خصوبة الأم في أثناء فترة الرضاعة، لكن هذا لا يمنع حصول الحمل كما يحدث في بعض الحالات.

مراحل تكوين الحليب

تتغير مكونات الحليب عادة في الأيام الأولى بعد الولادة، فينطلق



حليب اللّبَأ في اليوم الأول أو الثاني، ويكون لونه أصفر ليمونيًا، ثخينًا، قلوي التركيب، ويحتوي على مستوى عالٍ من الزلال (البروتين)، ومستوى منخفض من النشويات والسكريات (الكاربوهيدرات) والدهون قياسًا بالحليب الناضج. كما يحتوي على نسبة عالية جدًا من مواد المناعة وبعض الفيتامينات والمعادن، أما كميته فلا تتعدى الـ 40 مليلترًا في اليوم الواحد (قدح الشاي 60 مليلترًا). ويُفرز الحليب الانتقالي في اليوم الثالث، ويتصف باللون الأبيض، وهو خفيف تقترب مكوناته من الحليب الناضج، ولهذا سمي بالانتقالي. أما الحليب الناضج فيُفرز في اليوم السابع، ويكون لونه أزرق مائيًا، يتحول عند نهاية الرضاعة إلى اللون الأبيض، وذلك للزيادة الحاصلة في كمية الدهون.

ويحتوي حليب الأم على سكر الأكتوز الثنائي، والحوامض الدهنية، والبروتين، ويتميز الأخير بسهولة هضمه في الأمعاء مقابلة ببروتين الحليب المُصنَّع. ولا يسبب حليب الأم أعراض الحساسية، فنادرًا ما يصاب الطفل بها. ويتميز بتركيزه المستقر ونسبته الثابتة مقابلة بالحليب المصنع الذي يُخلط بالماء عادة حسب مقادير قابلة للخطأ، فيصبح عالي التركيز أو مخففًا مما يضر بالطفل. ومن أهم المميزات العملية لحليب الأم عدم حاجته للتهيئة المسبقة والتعقيم، فهو خالٍ من الميكروبات جاهز دائمًا عند الطلب. ومن الناحية الاقتصادية، فإن حليب الأم أرخص من الحليب المصنع حتى في حالة إضافة ثمن الطعام الاستثنائي الذي تحتاج إليه الأم المرضع.

المناعة ضد الأمراض

يمنع حليب الأم الإصابة بالأمراض لاحتوائه على مولدات المناعة antibodies، والخلايا الكبيرة الماكروفاكmacrophages ، والخلايا البيضاء ليمفوسيت lymphocyt، الخاصة بمقاومة الأمراض التي تسببها الميكروبات والفيروسات.

كمية الحليب ونمو الطفل

يحتاج الطفل الحديث الولادة إلى 110 سعرات حرارية لكل كيلو غرام من وزنه في اليوم الواحد. وينبغي أن تتوافر في غذائه لتأمين الطاقة الضرورية لنموه ونشاطه البدني. ويوفر حليب الأم للطفل السعرات الحرارية الضرورية. ويحتاج الطفل في الأيام الأولى إلى 30- 40 مليلترًا من الحليب في الرضعة الواحدة، ثم تصل حاجته إلى 90 مليلترًا عند نهاية الأسبوع الأول، و130 مليلترًا عند نهاية الشهر الأول، و240 مليلترًا عند نهاية العام الأول. وتتباين احتياجات الأطفال إلى كمية الحليب حسب الحجم، فتختلف حاجة الأطفال ذوي العمر الواحد إلى الحليب بحسب أحجامهم، فالطفل الكبير الحجم يحتاج إلى كمية أكبر. وينمو الطفل في سنته الأولى على شكل دفعات مفاجئة وفي أوقات مختلفة، فيزداد احتياجه إلى

الحليب الطبيعي أو الصناعي: أيهما الخيار الصحيح ؟

الحليب بشكل ملحوظ. ويحبَّذ إرضاع الطفل كل ساعتين أو ثلاث ساعات في الأسابيع الأولى، على ألاّ تستغرق الرضاعة أكثر من عدة دقائق لكل ثدي، إذ يساعد هذا على امتلائه مرة أخرى بالحليب. وتستقر الرضاعة بالكامل بعد ثلاثة إلى ستة أسابيع، فيحتاج الطفل في هذا الوقت إلى الرضاعة كل ثلاث أو أربع ساعات، ثم يمكن فيما بعد أن تُبعّد الفترات من غير أن يؤثر ذلك في إمداد الحليب وامتلاء الثدي. وعلى خلاف الحليب المصنع الذي يمكن بسهولة معرفة كميته المضبوطة المتناولة من خلال أرقام القّنينة الزجاجية، لا يمكن معرفة كَمية حليب الأم التي تناولها الرضيع، إلا إذا تم قياس وزن الطفل قبل الرضاعة وبعدها. وينبغي تجنب النظام الصارم في الرضاعة وترك الأمر للطفل نفسه ينظم وقته وحاجته من الحليب، وسيكون نموه المستمر دليلاً جيّداً على صحة تقدير كمية الحليب المطلوبة.

يزن الطفل الطبيعي عند الولادة 2500 - 3000 غرام، وينخفض الوزن في الأيام الأولى عادة بنسبة عشرة في المئة، ويستعيده في اليوم السابع أو اليوم العاشر. ثم يأخذ الوزن بالازدياد بمعدل 200 غرام في الأسبوع الواحد في الأشهر الثلاثة الأولى، ويصبح المعدل 150 غرامًا في الأسبوع الواحد في الأشهر الثلاثة التالية. وبانتهاء الشهر السادس يتعيَّن أن يتضاعف وزن الطفل عن وزنه عند الولادة، ويصبح ثلاثة أضعاف عند نهاية السنة الأولى. أما فيما يخص طول الطفل فيكون طوله 50 سنتيمترًا عند الولادة، ويصبح 75 سنتيمترًا بعد نهاية السنة الأولى.

إخفاقات الطفل في الرضاعة

تواجه بعض الأمهات في الأيام الأولى بعد الولادة مشكلات تتعلق بالرضاعة تتلخص أهم أسبابها في شح حليب الأم، وانكماش الحلمة، أو ضعف عملية الرضع الغريزي. وترجع حالات شح الحليب بشكل عام إلى حالات التعب والتوتر العصبي. ولا ينبغي للأم أن تستعيض تمامًا عن حليبها الطبيعي بالحليب المصنع، إلا في الحالات القصوى، حيث يمكن إضافة رضعات منه، وللأسف يهجر الطفل عادة ثدي أمه إذا ما تعود تناول الحليب المصنع. وتخفق الرضاعة في حالة انكماش الحلمة، ولعلاج هذه الحالة تُستعمل آلة خاصة لكي تسترجع الحلمة وضعها الطبيعي.

وإذا استمر الحال بعد الولادة يصبح تفريغ الثدي من الحليب مهمًا، ويتم ذلك بالتدليك والضغط براحة اليدين أو استعمال آلة يدوية أو كهربائية، ومن ثم يضخ الحليب في قنينة الرضاعة، ويطعم الطفل إلى أن يتم العلاج. وتشقق حلمة الثدي يسبب آلامًا شديدة عند الرضاعة، وتعالج بتعريضها إلى الهواء مع استعمال مرهم مناسب، ولتفادي الاحتقان يجب تفريغ الثدي من الحليب، ولكن ينبغي عدم التوقف عن الإرضاع.

وتتعطل الرضاعة بسبب ضعف عملية الرضع الغريزي التي تحدث عند الأطفال ممن هم دون الوزن الطبيعي عند الولادة low birthweight baby أو الأطفال الخُدَّج الذين يولدون قبل تمام التسعة الأشهر premature baby. ويسحب الحليب من الثدي في هذه الحالة، ويُغَذّى به الطفل بوساطة أنبوب يُمدّ إلى المعدة، ويتم هذا عادة في المستشفى.

ويكفي أحيانًا أن يحتقن أنف الطفل على إثر نزلة برد أو رشح لتصبح الرضاعة صعبة، أو أن تكون الجلسة التي اتخذتها الأم والطفل في أثناء الرضاعة غير صحيحة، كأن تضغط الأم بثديها على أنف الطفل دون علمها، فالرضيع لا يعرف بعد التنفس من طريق الفم. وفي أحيان أخرى يكفي أن يعاني الطفل قدرًا من النعاس أو اللامبالاة لتصبح الرضاعة صعبة. كما تصعب الرضاعة عندما يتدفق الحليب من ثدي الأم بغزارة، فغالبًا ما يعبّر الطفل عن ذلك بالبكاء،



الحليب الطبيعي أو الصناعي: أيهما الخيار الصحيح؟

وفي مثل هذه الحالة تترك الأم الحليب ينهمر في الدقائق الأولى إلى أن يضعف التيار، ثم تبدأ بإرضاعه.

وتقوم التقاليد الاجتماعية المرتبطة بالرضاعة بدور في وضع العراقيل، إذ لا تستطيع الأم إرضاع طفلها في الأماكن العامة، وغالبًا ما يتغلب الحياء على الأم عند إرضاع وليدها بحضور الغرباء، وحتى الأقرباء أحيانًا، وهكذا يصبح تركها البيت لزيارة الأهل أو الأصدقاء من الأمور الصعبة. وعلى صعيد آخر تثير رضاعة الطفل الجديد غيرة إخوته الصغار، ويُحبَّذ، من أجل تقوية الروابط العاطفية داخل الأسرة، مشاركة جميع أفرادها بما فيهم الصغار في رعاية المولود الجديد. وتواجه الأم العاملة بعد انتهاء عطلة الأمومة مشكلات جمة تمنعها من القيام بإرضاع وليدها بالشكل الذي كانت تقوم به قبل العودة إلى العمل، وينبغي تشجيعها على الاستمرار في إرضاع طفلها صباحًا قبل المغادرة إلى العمل، ثم مساءً حين العودة. ويمكن أن يقوم أحد أفراد الأسرة بإطعام الطفل في أثناء غيابها عن البيت، إذ بالإمكان حفظ حليب الأم في الثلاجة مدة أربع وعشرين ساعة، أو في المجمدة مدة ثلاثة أشهر.

بكاء الطفل في الأشهر الثلاثة الأولى

يعاني الطفل من حالة تُعرف بمغص الأشهر الثلاثة الأولى three month colic وتحدث له يوميًا عند المساء. وفي أثناء نوبة الألم يثني الطفل ساقيه ويسحبهما إلى بطنه، وتعجز الأم أحيانًا عن التخفيف عن وليدها. ولا تُعرف أسباب هذه الحالة تمامًا، فيعزوها بعضهم إلى عدم تساوي الضغط داخل الأمعاء لعدم نموها الكامل. وتشير دراسات جرت مؤخرًا إلى وجود علاقة بين بعض أنواع الأطعمة التي تتناولها الأم وآلام المغص عند الطفل. وهكذا تُمنع الأم في فترة الرضاعة من تناول بعض أنواع الأطعمة كالبصل، والطماطم، والخضروات الخضراء اللون، والحليب ومشتقاته، كالأجبان، واللبن، والشوكولاتة. فكل ما تتناوله الأم في هذه الفترة تصل آثاره للطفل بشكل غير مباشر. فقد تنفذ إلى الطفل مع الحليب مواد ضارة وسامّة كالنيكوتين الموجودة في اللفافات، والكحول في المشروبات الروحية، والكافيين في القهوة والشاي، وكذلك العقاقير بكل أنواعها ومن ضمنها مواد حبوب منع الحمل. وهكذا ينبغي الامتناع عن التدخين وتجنب هذه المشروبات والأدوية في فترة الرضاعة. وعلى صعيد آخر يبلع الطفل الهواء مع الحليب خلال الرضاعة مما يسبب له آلامًا في المعدة. ولطرد الريح يُحمل الطفل على صدر أمه بشكل عمودي ورأسه على كتفها، ويُدلَّك ظهره بلمسات خفيفة وحنون تساعده على التجشؤ. ويرجّع بعض الأطفال أحيانًا كمية صغيرة من الحليب بعد الرضعة، وتبقى هذه الحالة ضمن الوضع الطبيعي. أما القيء المستمر الذي يؤدي إلى انخفاض وزن الطفل فهو دليل على حالة مرضية. ونادرًا ما يصاب الطفل بالإسهال أو الإمساك مقابلة بالطفل الذي يتغذى على الحليب المصنع. ويتبرز الطفل عادة عدة مرات في اليوم الواحد، ويكون برازه أصفر فاتحًا ليّن القوام، وربما لا يتبرز لأربعة أو خمسة أيام ولا يعني هذا بالضرورة إصابته بحالة إمساك.

الحالات التي تمنع عندها الأم من الرضاعة

تُمنع الأم من الرضاعة في حالات قليلة ونادرة كإصابتها بمرض السكري، أو الملاريا، أو السل الحاد، وفي الحالة الأخيرة تبقى ممتنعة من الرضاعة لحين تلقيح الطفل ضد السل. وينطبق هذا أيضًا على الأمراض المزمنة التي تستدعي العلاج بالأدوية. كما تُمنع الأم من الرضاعة عند إصابة طفلها بتشوه خلقي كانشطار الشفة العليا وسقف الفم، أو إصابته بحساسية سكري الحليب. ولا تُنهى الأم عن إرضاع طفلها في حالة حملها بطفل آخر لغاية الشهر الرابع من الحمل.

الطعام المتوازن والسعرات الحرارية التي تحتاج إليها الأم

تُقدَّر حاجة المرأة عمومًا إلى 35 سعرة حرارية لكل كيلوغرام من الوزن في اليوم الواحد، أي نحو 1900 سعرة للمرأة التي تزن 55 كيلو غرامًا. أما الأم فتحتاج في غذائها عند فترة الرضاعة إلى إضافة استثنائية في عدد السعرات بمقدار 540 سعرة في الشهر الأول بعد الولادة، و530 سعرة في الشهر الثاني، و570 سعرة في الشهر الثالث. ولكي تتوافر السعرات الحرارية الضرورية للأم والطفل في أثناء فترة الرضاعة ينبغي أن تتناول الأم طعامًا متوازنًا يتضمن جميع مكونات الغذاء الأساسية من الزلال (البروتين) والسكريات والدهون. وينبغي أن يُمدّ البروتين بـ 14٪ من السعرات، ويكثر هذا في اللحوم والحليب والجبن والبيض. وأن تُمدّ السكريات والنشويات بـ 55٪ من السعرات الحرارية، وتوجد في الفواكه والحليب والحبوب والعدس والفول. وأن تُمدّ الدهون بـ 30٪ من السعرات الحرارية، وتوجد في الزبد والحليب والبيض واللحوم. وبالإضافة إلى هذا فإن الطعام المتوازن يتضمن أيضًا الفواكه والخضر لاحتوائها على الفيتامينات والمعادن والألياف. ولقد أثبتت الدراسات ضرورة احتواء طعام الأم المرضع على النخالة fiber التي تساعد حركة الأمعاء، وتمنع الإمساك الذي يصيب بعض الأمهات في فترة الرضاعة. وتوجد النخالة في الحبوب وخاصة القشور، وكل الأطعمة التي تصنع منها كالخبز الأسمر والكورن فلاكس ce-real. ومن الضروري أيضًا شرب كمية وافرة من الماء والسوائل في فترة الرضاعة. وأفضل مرشد لحجم الطاقة التي تحتاج إليها الأم المرضع هو شهيتها على الأكل، ويسهم الطفل في زيادة شهية أمه أو نقصانها بقدر ما يتناوله من الحليب. وفي هذه المرحلة ينبغي عدم تقليل الطعام لغرض إنقاص الوزن أو غير ذلك، إذ يزيد ذلك من التوتر العصبي والشعور بالتعب، وهذان العاملان يؤديان إلى شح الحليب. وإضافة إلى الغذاء الصحي ينبغي أن تمارس الأم التمارين الرياضية يوميًا، وذلك لتجديد النشاط والحيوية اللذين تحتاج إليهما في رعاية طفلها.

تاريخ من مراسلات

د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

المغفور له الملك عبد العزيز (صورة أخذت في الكويت، 1910 م)

تاريخ المملكة يمكن أن يُكتب وافيا باستقائه من مراسلات الملك عبدالعزيز - رحمه الله -، أو من المراسلات التي تأتي إليه، مرتكزة على اتصال منه أو مبادرة؛ وهذه المراسلات من أصدق ما يمكن أن يُعتمد عليه، لصحة ما فيها، وتعبيره عن الواقع حينئذ، وهي تعكس بدقة روح الوقت الذي كتبت فيه، سواء في الحقائق التي ترصدها، أو الحالة النفسية التي كان عليها كاتبها؛ يزيد في صدقها أنها كانت تُكتب باللغة الدارجة بأسلوب صاحب الشأن، الذي كان يزن الموقف بميزان ذهب، لما يريد أن يجنيه من تأثير فحواها، سواء ما كان يرمي إليه لجلب نفع، أو دفع ضرر.

المتتبع لهذه الخطابات يكتشف الأهداف البعيدة للملك عبدالعزيز في بناء المملكة، والخطوات التي وضعها، ووسائل التنفيذ للوصول إلى الهدف؛ وفي ذهنه إطار عام لا يخرج عنه، وخطوات فردية يُمليها الوقت، وتقتضيها الحاجة، ترتفع فيها النغمة عندما يقتضي الأمر ذلك، وتنخفض عندما تقتضي الحاجة ذلك، فهذا من الخطوط المنتظمة عنده، وإن كان لكل حال علاجها الدقيق، المماثل لدقة الاختلاف بين أمر وأمر؛ وقد يخلط في علاجه لأمر من الأمور بين أدوية مختلفة، تتراكب، وتتعارض، ويقطع بعضها طريق بعض، ولكن كل ذلك في طريق وصول إلى الهدف؛ في بعضها يأتي هذا الاختباط لخلط أوراق الخصم، فيضل عن الحقيقة، ويتوه في صحراء التفاعل، فيُهيأ ذهنه لقبول ما يسعى الملك عبدالعزيز لإقراره فيه.

كان واضحًا أن الملك عبدالعزيز يعطي أهمية قصوى لمعرفة ما يجري أولاً بأول في بلاده، وللاطلاع على كل صغيرة وكبيرة؛ ويضطر المسؤولون الناؤون أن يقابلوا نشاطه بنشاط، لأنه لا عذر لهم في أن يتأخروا عن موافاته بما جعله لهم واجبًا، لا يجوز التهاون فيه؛ ونشاطه في المساءلة وفي المجاوبة منقطع النظير، وكان يكاد يكتب لوالده الإمام عبدالرحمن إذا غاب عنه يوميًا، حتى إذا لم يجدّ جديد، وحينئذ يقول إنه لم يجدّ جديد، ولكنه حريص على متابعة صحة والده الإمام عبدالرحمن، وطمأنته على صحته، وأن الأمور تجري في مجاريها؛ ولعل حامل الرسالة، وحامل الرسالة التالية، لا يكون بينهما إلا ساعات؛ فيكون الخبر يتلو الخبر. وكان كل شيء طوع يده، وعلى هذا فلا يجد ما يتعذر به عن المتابعة، لأنه لا يعرف الكسل، ولا التواني، ولا تأخير عمل اليوم إلى غد.

هذا فيما يخص المثابرة المتصلة تجاه الأخبار من شرق البلاد وغربها، شمالها وجنوبها، سواء ما كان منها متابعة لأمر قد بدأ منذ أمد، أو كان أمرًا مستجدًا؛ أما في الفحوى فكانت العناية مماثلة، فأقل الأمور يُعطى حقه من الاهتمام والتفصيل، لأن مستعر النار من مستصغر الشرر؛ وحرصه على ذلك يجعل ما يجد في ملحق يتبعه في آخر لحظة مع الخطاب المعدّ، والملحق له هذه الصفة، وله صفة أخرى أهم، وهي أنه يوضع فيه بعض الأخبار المهمة، أو السرية، حتى لا يطلع عليها إلا من وجهت له، ويقرأ في المجلس العام الخطاب الأصل، الذي ربما لا يكون فيه إلاّ السلام، والسؤال عن الصحة والأحوال، وبعض الأخبار الجانبية؛ ولا يشار إلى الملحق؛ والملحق عادة، إذا كان فيه أخبار سرية لا يوضع مع الخطاب الأصل في ظرف واحد، ولاسيما أيام الخوف، أو عندما كان هناك مناطق لم يسيطر عليها الملك عبدالعزيز، وهي ما سيمر عليه حامل الخطاب، وهي أمورٌ تَحَرُّز أَوْجَبَتْها حياة الناس حينئذ، وعاداتهم، وطريقة تعاملهم، نتيجة التجربة والاعتياد.

كانت خطابات الملك عبدالعزيز لوالده الإمام عبدالرحمن، عند محاصرة المدن، مثل حائل وجدة، متصلة، الواحدة منها تلحق الأخرى، حتى كانت الصورة أمام الإمام عبدالرحمن واضحة، كأنه حاضر الحصار، والخطابات مع ما تحمله من إفادة عن الحصار، تكشف العلاقة الحميمة بين الأب وابنه، وتُري مدى الاحترام الذي يبديه الابن لأبيه، والتقدير الذي يحمله له.

وهذا أحد النماذج التي دأب الكُتّاب عند الملك عبدالعزيز على وضع ديباجة لها قبل أن يبدأ إملاء الكتاب، وكأنها ديباجة مسلم بها عندهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

جناب الأجل الأمجد الأفخم بهي الشيم سيدي المكرم الوالد الإمام عبدالرحمن بن فيصل المحترم، سلمه الله تعالى، وأبقاه، آمين. بعد إهداء مزيد

خطاب من الملك عبدالعزيز لوالده الإمام يخبره فيه بقرب مغادرته إلى الرياض

ملحق للخطاب يخبر فيه الملك عبدالعزيز والده الإمام عن سير مفاوضات الحدود التي عقدت في الكويت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام، مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر، لازلتم بكمال الصحة والسرور، وعن أحوال مملوككم الحمد لله جميلة، نرجو أن الله يديم عفوه وعافيته على الجميع.

الخطوط المكرمة وصلت، تلوناها مسرورين بدوام صحتكم. وما عرف حضرتكم كان لدى مملوككم معلوم. أخبارنا صحة، ولا جدّ ما يوجب الإفادة سوى الخير والعافية.

ومن طرفنا حنا ماشين من الطعميه، إن شاء الله، نهار السبت الموافق 22 الجاري، متوجهين لخدمتكم، الله تعالى، يبلغ الجميع الصحة والسرور.

هذا ما لزم تعريفه؛ والرجا إبلاغ السلام العيال ومنا يسلمون، والله يحفظكم محروسين.

الختم: عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل

20 رمضان 1342هـ.

هذا هو الخطاب وليس فيه من غير الديباجة إلا تاريخ تحرك الملك عبدالعزيز من المكان الذي هو فيه؛ وقد حدد أنه بعد يومين من كتابة الخطاب سوف يغادر إلى الرياض حيث يقيم الوالد الإمام عبدالرحمن. ولكن مع هذا ملحق، يحمل فعلاً صفة من صفات الملاحق، فيه تفصيل عن بعض الأمور التي لا تهم الناس، ولكنها تهم الإمام عبدالرحمن، ولها صفتها الخاصة، وهي تلمس مفاوضات الحدود، التي

تاريخ من مراسلات

عُقدت في الكويت، والإنجليز طرف فيها، وتركزت على بحث الحدود بين المملكة وشرق الأردن، وهذا نص الملحق، وهو يعبر عن مراميه، ونظرة الملك عبدالعزيز إلى هذه المفاوضات، وما قد تصل إليه، وما قد تقصر عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم، لاحق خير وسرور؛ إن شاء الله

ما عرف حضرتكم كان لدى مملوككم معلوم، مخصوصًا صحة حضرتكم، وصحة العيال، الحمد لله رب العالمين، وهو تعالى المسؤول أن يديم لنا بقاكم، ويلبسكم لباس الصحة والعافية؛ أما صحة مملوككم فلله الحمد تسركم؛ والأخبار ما جدّ عندنا ما نفيد حضرتكم به، فقط وصلنا طروش من الكويت، ما زودوا بأخبار، فقط موجب جايبين أوراق مقاولة الأرض المحايدة أمضاها ابن صباح، ومروّحينها لأجل تمضيها، ومن قبل المندوبين ما صار بينهم ومندوبين الأردن شيء، وقد سافروا مندوبين الأردن راجعين، وأما مندوبين العراق فلا وصلوا؛ وموجب تعريف مندوبينا أنهم ينتظرون أسبوع، إن وصلوا مندوبين العراق، وإلا فالمجلس ينفض، ويرجعون مندوبينا، نسأل الله يقدّر ما به الخير.

من قبل الجرايد فلا جانا من توجهنا من حضرتكم شيء خلاف الجرائد الذي جت عن طريقكم، ووافق وصولها اليوم، وحنا على جناح سفر، ولا بعد تمليناها، إن شاء الله، إذا وصلنا إن كان (فيها) زوايد نعرف حضرتكم بها.

ومن قبل حنا، إن شاء الله، اليوم هذا مشورين من بريده نهار الخميس، ليلة الجمعة أمشي أنا إلى عنيزة، وخويانا بالطعمية، نستقيم في عنيزة يوم الجمعة، والسبت، إن شاء الله، سارحين حنا وخويانا من الطعمية، والظاهر، إن شاء الله، إننا نتشرف بخدمتكم حراوي يوم الأربعاء القادم. نسأل الله - تعالى - يورينا إياكم، والجميع بخير وسرور، ويديم لنا بقاكم محروسين. ا.هـ.

المفاوضات على الحدود، والإنجليز طرف مهم فيها، شاقة، ومرت بصعوبات بيّن الخطاب بعضها، وأهمها عدم وصول بعض المندوبين المفاوضين عن إحدى الجهات المشاركة، مما جعل مندوبي جهة أخرى يعودون لبلادهم، ولكن مندوبي المملكة، ووراءهم حاكم حكيم، سوف يبقون أسبوعًا، مهلة، تجعلهم، فيما بعد في عذر، إذا عادوا، وبهذا يكون فشل المفاوضات من غير المملكة، ولم تكن سببا فيه؛

ومثل هذا الجانب من ممارسة المسؤولية يتبين منه الأعباء التي كان على قائد المملكة الفتية أن يعانيها، ويتصدى لصعوباتها، ويتغلب على ما تأتي به الأيام من معوقات.

ويبرز هذا الملحق جانبًا لا يعرف قدره إلا من عرف الحالة الثقافية والاجتماعية للمملكة في ذلك الوقت؛ فالجرائد والمجلات الخارجية لم تكن من الأمور اللازمة عند الناس، بل لعل بعضها لو رئي في أماكن عامة كان سببًا لعقاب، أو على الأقل لاحتقار، وازدراء؛ فلم يكن مقبولاً في تلك الأيام إلا الكتب الدينية، التي نفعها ظاهر، ولا غنى عنها؛ أما الصحف والمجلات ففيها ما قد يجرح العقيدة، أو ما قد يؤذي الخلق، أو ما قد يسيء إلى المروءة، ويخالف العادات والتقاليد؛ ومثل هذه الأمور ليست الدولة وحدها التي تقف دونها، بل المجتمع الذي ربما لا يتساهل فيها، مما قد يكون رد فعله في هذا الأمر عنيفًا.

الملك عبدالعزيز كان يحرص على الصحف والمجلات مثل المنار وغيرها، وكان يُوافَى بها من جهات مختلفة، وأفراد عديدين، مثل إبراهيم بن معمر، المقيم في مصر في تلك الحقبة، وكانت ثقافته، مع خبرة فوزان السابق بالمجتمع المصري، وصلته ببعض الأشخاص مثل حمد الباسل، لطول إقامته هناك، تعطيه مجالاً للرد على ما كانت تنشره الصحف من تهم توجهها للمملكة الفتية، وتصحيح الصور الشوهاء التي كانت ترسمها للحكم السعودي. لقد كان الإعلام السعودي مبدعًا في تلك المرحلة على ضعف الإمكانات مادةً وبشرًا، وصعوبة الاتصال وبطء سيره، مع قوة الأعداء في وسائلهم وإمكاناتهم، وسيطرتهم على الرأي العام في مصر سيطرة مضللة تامة، حتى إن حركة ابن رفادة، على صغر حجم جيشها الفوضوي، الذي لم يزد على خمسمئة شخص، أُبيدوا في أول التحام، أظهره الإعلام منتصرًا، وأنه يزحف مكتسحًا ما أمامه.

كانت الصحف والمجلات عندما تصل يتداولها بالقراءة، حسب ما دلت عليه المكاتبات: الإمام عبدالرحمن والملك عبدالعزيز، ثم تؤول في النهاية إلى الأمير عبدالله بن جلوي؛ فإذا وصلت إلى الإمام في الرياض أرسلها إلى الملك عبدالعزيز بعد قراءتها والتعليق على ما قد يحتاج إلى تعليق، ويفعل الملك عبدالعزيز هذا الفعل نفسه إذا كان هو المتسلم لها أولاً، ولهذا ظهر الاهتمام بها في الملحق الذي أرسله

خطاب من الأمير عبدالعزيز بن مساعد للإمام عبدالرحمن يخبره فيه عن عزمه إرسال سرايا إلى الشمال

لوالده، وبيّن أنه لم يرد إليه مبدءًا جرائد، وأنه لم يجدّ حيالها شيء، وأن آخر ما رآه منها هو ما بعثه إليه الإمام عبدالرحمن.

وإذا كـان الملك عبـدالعزيز حريصًـا على البـر بوالده، وجعله دائمًا في الصورة، فقد علَّم رجاله أن يبروا به كـذلك، وأن يوافوه بالأخبار أولاً فأولاً، كـما يوافون الملك عبدالعزيز؛ لأنهم إن لم يفعلوا قام الملك عبـدالعزيز نفسه بالمهـمة، على مـا في ذلك من عناء، وتأخير.

وننتقل، بعـد هذا، إلى خطاب آخر من الأمـيـر عبـدالعزيز بن مسـاعد - رحـمـه الله - كـتبـه للإمـام عبـدالرحمن الفيـصل، عن عـزمه إرسـال سـرايا إلى الشمال، تنفيذًا لجزء من خطة توحيد المملكة، وإدخال من ندّ من القبائل إلى حظيرة الجماعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضـرة جناب الأجل الأمجـد الأفـخم سيدي الإمام المكرم عبدالرحمن الفيصل - سلمه الله تعالى - أمين.

السـلام عليكم ورحـمـة الله وبركـاته، على الدوام، أدام الله علينا وعليكم نعمة الإسـلام. مع السؤال عـن الأحوال، أحوالنا مـن فضل الله بخير وسرور.

والخط اللي صـحبـة خـادمكم ابن سـدحـان وصل، وما عرفتوا كان لدى محبكم معلوم. حمدنا البـاري على دوام صـحتكم وعـافـيتكم، لا زلتم في خير وسرور.

عن الأخبار ما جرى سـوى الخير، وعدم ضده؛ نرجو أن الله يرزقنا وإياكم شكر نعـمه، وينصر دينه، ويعلي كلمته، ويديم وجودكم لنا، وللمسلمين.

قـدمنا لكم قـبـل هذا مـكاتيب، نرجـو إنهـا وصلتكم وتلـوتوها مـسـرورين، مـعـرفـينكم بما يلزم بوقته.

كـذلك أدام الله وجـودك حنا هـا ألّيـام همـينا انطلع سرية نبيها توجـه لمّ ها الشمال، وحال التاريخ وحنا مـجـهـزينهـا ومـاشـين، أكـود الله يحـذف في أيديهم أحـد من ها الغـزوان، موجب لابد (...) من شـمـر هل الجزيرة والظفـران على أهال عربان الشمـاليين. نرجو إن الله يذلهم بعز الإسلام وأن الله - سبحانه - ينصر دينه. هذا ما لزم بيانه. أحببنا إخباركم بذلك.

والسـلام على العيـال كـافة، ومـن لدينا الولد عبـدالله يسلم وادم سـالم، والسلام.

4 ربيع 1/1344هـ .

عبدالعزيز بن مساعد

خطاب من الملك عبدالعزيز لوالده الإمام عن حصار جدة

ملحق للخطاب يخبر فيه الملك عبدالعزيز والده الإمام بالمزيد من أخبار الحصار، ويعلمه بوصول قصيدة ابن عثيمين

ومن الخطابات التي يوجـهـها الملك عبـدالعزيز، يوميـا تقريبـا، إلى والده، خطاب وجهه، وهو مـحاصر جدة، وفيـه من التفصيل مالا مـزيد عليه، ويكشف تفاؤل الملك عبـدالعزيز بنتيجة خطته، التي وضعها وئيدة بطيئـة، ولكنها موصلة. والأناة جـاءت من أن في جدة قـناصل، وتعريضـهـم للخطر يعـطي دولهـم فرصـة للتـدخل. ومع تقديره للحـصار، وأن أمده سـوف يطول، للسبب الـذي ذكرناه، ولأن «جدة» على ميناء، تأتيهـا المؤونة، وتأتيها الذخـائر؛ إلا أنه في خطابه لوالده يهـدئ روعـه، بأن الوقت لن يطـول، وأنهم في كـسب مـسـتمـر، ويصف هذا

الكسب بأنه أخذ كل ما حول «جدة»، وأن كل من أطل من «جدة» أُخذ، أناسًا كانوا، أو معدات، أو طائرات، وهذا ما كان يحدث فعلاً، فلا تحليق الطائرات أفاد، فقد أُوقعت عندما حلّقت، ولا الدبابات التي خرجت جاءت بنتيجة، فقد أُعطب ما أُعطب منها، وعاد بقيتها منهزمًا، وهذا هو الخطاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

لجناب الأجل الأمجد الأفخم بهي الشيم حضرة سيدي المكرم الإمام الوالد عبدالرحمن بن فيصل المحترم، حفظه الله تعالى، وأبقاه، آمين.

بعد إهداء مزيد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، على الدوام، مع السؤال عن شريف خاطركم العاطر، لازلتم ـ إن شاء الله ـ بكمال الصحة، وأوفر المسرات. وعن حال مملوككم ـ الحمد لله ـ جميلة تسركم من كافة الوجوه، الله ـ تعالى ـ يديم نعمه على الجميع، ولا يعدمنا بقاكم.

في أبرك وقت وصلتنا كتب حضرتكم الذي مع صاطي، والذي بعدها مع صقر بريديه، تلونا الجميع مسرورين بدوام صحتكم، وجميع ما عرف حضرتكم به كان لدى مملوككم معلوم.

مخصوصًا ـ أدام الله وجودكم ـ من قبل أخبارنا فقد تقدمت لحضرتكم بالخطوط الذي مع خادمكم جرمان، لابدّها ـ إن شاء الله ـ وصلت لحضرتكم، واطلعتوا عليها مسرورين؛ وبعدها لم يستجد عندنا ما نعرف حضرتكم به إلا دوام الخير.

المسلمين حاضبين من العدو، وزاحمينه، ومضيقين عليه حد النهاية؛ ولا يعلم الله أخبر بقي، لا قصر، ولا بيت، ولا عشه، خارجة عن زمرة الديرة، ما تولوها المسلمين، ولا يزول من الديرة للعدو زايل، من تبين من الدراويز ذبحوه المسلمين، ومن يوم الجمعة الموافق: 13الجاري (رجب) وحنا مقربين المدافع من الديرة، ومحضبينها منها، ومركبينها عليها من كل جهاتها، ومستمرين في ضربها وتخريبها، ولا تشوف ـ والعياذ بالله ـ داخلها إلا غبارات ثائرة، ونيران تشتعل. نرجو الله ـ تعالى ـ لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين.

والحقيقة ـ أدام الله وجودكم ـ إن المسلمين من نهار الجمعة المذكور حضبوا منهم، وضيقوا مناسمهم، وإن شاء الله ـ تعالى ـ قريبًا تجيكم منا البشارة السارة ـ بحول الله وقوته ـ نرجو أن الله ـ تعالى ـ ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويوفقنا لما به الخير والصلاح للإسلام والمسلمين، ويديم لنا بقاكم.

هذا ما لزم تعريفه، والرجاء مواصلة أخبار صحتكم، والسلام على الأولاد، كما منا الإخوان، والأولاد يسلمون، والله ـ تعالى ـ يحفظكم محروسين.

ختم عبدالعزيز

20رجب 1343هـ.

هذا خطاب واف، ومعه ملحق. ويلاحظ أسلوب الملك عبدالعزيز الثابت في تكرار بعض الأفكار التي تشغل ذهنه، ويريد لها أن تثبت في ذهن مخاطبه مثل عبارة:

«المسلمين حاضبين من العدو وزاحمينه، ومضيقين عليه» يقول بعدها، وقبل نهاية الخطاب:

«وحنا مقربين المدافع من الديرة، ومحضبين منها، ومركبينها». والملحق الذي صاحب هذا الخطاب فيه طبيعة الملاحق التي أصبحت متوقعة مع كل خطاب تقريبًا، وأصبح وجودها شبه قاعدة، وفي هذا الملحق طرافة أيضا لأنه يكشف جانبا من جوانب الإعلام المهمة التي تخدم المملكة الفتية، بالتعريف بها، وبمنهجها، وتكشف عن عاطفة الشعب تجاه قادته. والشعر وسيلة إعلامية معتمدة، وبخاصة إذا جاء من شخص مرموق مثل محمد بن عبدالله بن عثيمين، الذي وقف جزءًا من شعره على الملك عبدالعزيز وإنجازاته، وأبان صفاته وميزاته، وسجل خطوه وتقدمه، بشعر جزل لم يكن هناك من ينافسه فيه، إذ كان الأغلب في تلك الحقبة الشعر العامي. وفي هذا الملحق تنويه بوصول الجرايد، وخبر جديد على ما ذكرناه، وهو أن الجرايد سوف تذهب للأمير عبدالله بن جلوي، وللتاجر المعروف القصيبي، ولعل إعطاء القصيبي الجرائد، رد لمعروفه في موافاة الملك بما يرده هو منها. وهذا نص الملحق:

بسم الله الرحمن الرحيم، لاحق خير وسرور إن شاء الله

أدام الله وجودكم ـ ما عرف حضرتكم كان لدى مملوككم معلوم، مخصوصا مرسول حضرتكم المكاتيب الواردة، والجرايد وصلت، الله ـ تعالى ـ لا يعدمنا بقاكم. كذلك خطوط الدويش وصلت، واطلعنا عليها.

بشرتوا مملوككم بصحة حضرتكم، وصحة العيال، الحمد لله رب العالمين، وهو تعالى المسؤول أن يلبسكم لباس عفوه وعافيته، وأن يديم لنا وجودكم دائمًا، إن شاء الله. أخبار صحتكم متصلة لنا موجب الخاطر لايزال عندكم، نسأله ـ تعالى ـ أن يسمعنا عنكم، ومنكم، ما يسرنا، ويديم لنا بقاكم.

أدام الله وجودكم، من قبل هذولا والله ما وخرنا عنهم إلا موجب ما عرفنا جنابكم به، وإلا الحمد لله كل يوم نشوف الردى والضعف فيهم، وحنا عجلنا ها الطارش نخاف تكدر خواطركم، وإلا قريب، إن شاء الله ـ يجيكم ما يسركم، الله ـ تعالى ـ يديم وجودكم.

منظومة ابن عثيمين وصلت، وعلى ما بالخاطر.

أدام الله وجودك واصلكم ربطتين جرايد لعبدالله بن جلوي والقصيبي، إن شاء الله تروحونهن لعبدالله. ا.هـ

أما قول الملك عبدالعزيز أن منظومة ابن عثيمين جاءت على ما بالخاطر، فدليل قبولها، لصدق ما تحمله مما يريد الملك عبدالعزيز أن يستقر في أذهان الناس في زمنه.

هذه لمحة سريعة، ومختصرة، عن جانب من حياة الملك عبدالعزيز ومرحلة كفاحه، أُخذت من مراسلات، هي أصدق ما تكون الوثائق عما تتحدث عنه، وكاشف أمين عما يدور في النفوس من خطط، وما تُخبِّئُه النيات من عزم، وهي جزء من إطار العمل الجاد، الذي أدى إلى توحيد المملكة، والصور التي أخذت من هذه الكتب هي عن مدة محدودة، تؤرخ لمرحلة من الكفاح، وسوف تكون أداة للمقارنة مع ما تلاها من مراحل، وتُري التطور في الخطط والعمل، في ضوء الظروف التي تجد، والعوامل التي تفرض أحيانًا تغيير الخطط، وخطوة واحدة في تغيير الخطط تعدل سير القضية إلى ما يلائم الظروف، ولهذا فخطاب واحد يكشف أحيانًا عن أفق واسع، لا يُعرف مداه إلا بعد أن تتبين نتيجة العمل الذي شرح فيه، أو ألمح إليه فيه.



الهجر ودورها في الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز

د. محمد بن عبدالله السلمان

كان لمعيشة الملك عبدالعزيز في البادية مدة من الوقت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية عام 1309هـ/1891م(1) أثره الكبير في معرفته أهم مشكلات البدو. فحاول في إقامته مشروع الهجر القضاء على هذه المشكلات كلها وحلها، وكان في طليعة أهدافه أن يجمع شمل هذه القبائل تحت سلطة سياسية مباشرة يخضعون لها. وبعد ذلك تُحَلّ باقي مشكلاتهم الأخرى تدريجياً.

ولمّا قام الملك عبدالعزيز بجهوده الحربية لتوحيد البلاد، وتحققت له نسبة كبيرة من النجاح، بدأ يراوده تنفيذ تلك الأمنية، فكان عام 1328هـ/1910م هو بداية التفكير بهذا المشروع الحيوي المهم. وكان التنفيذ هو عام 1330هـ/1912م(2)، حيث كانت هجرة «الأرطاوية» أول هجرة تقام بهذا المشروع(3) وهي لقبيلة مطير. ثم هجرة الغطغط وهي لقبيلة عتيبة، وتعد هاتان الهجرتان أكبر الهجر التي أنشئت وأخطرها شأنًا.

ولا ريب أن فكرة إنشاء الهجر كانت فكرة جديدة لم يسبق أحد بها الملك عبدالعزيز، وإن كان تعليم البادية مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية قد وُجد منذ عهد الدولة السعودية الأولى. وقد خلط بعض الباحثين بين الأمرين، فزعم أن فكرة إنشاء الهجر كانت موجودة في عهد الدولة السعودية الأولى، بينما الموجود الحماسة في نشر الدعوة السلفية بينهم فقط.

لقد كانت حماسة الملك عبدالعزيز عظيمة لإنجاح هذا المشروع، فقد أمر بحفر الآبار وبناء المساجد بجانبها، وأعلن دعوته للقبائل المرتحلة للإقامة في هذه الهجر المعدة لهم، وترك حياة الترحال المتعبة إلى حياة الزراعة والاستقرار. وأخذ يقوّي فيهم روح بيع إبلهم، لأن الإبل رمز البداوة، وبوساطتها يمكنهم أن يعودوا إلى حياة الترحال مرة أخرى، كما حثهم على العمل بالزراعة وترك حياة الكسل، وأخذ يجذب رؤساء القبائل للتأثير في أتباعهم، وذلك بمنح العطايا والهدايا لهم؛ بل أمر بإعطائهم بيوتًا خاصة في الرياض. وشكّل من هؤلاء الرؤساء القيادة العسكرية للجيش السعودي غير النظامي. كما أخذ يوزع الأراضي المجاورة للهجر على أفراد القبائل ليزيد من ارتباطهم بتلك الهجرة أكثر. وقد ساعد على تجاوب كثير من القبائل مع دعوة الملك عبدالعزيز تلك أن هؤلاء قد ملّوا حياة الترحال والتنقل، كما أن حلول بعض سنوات الجدب والقحط في البادية جعلهم يُقبلون على دعوة الملك عبدالعزيز تلك أملاً في تحسين وضعهم الاقتصادي بعد قضاء سنوات الجدب على موارد رزقهم(4).

إن أهداف ذلك المشروع متعددة الجوانب؛ فهي دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية بالإضافة إلى الهدف العسكري(5) الذي يبدو أنه تحقق بدرجة كبيرة. ففي حروب الملك عبدالعزيز التي وقعت بين ضم الأحساء عام 1331هـ/1913م وضم الحجاز عام 1344هـ/1925م، كان للإخوان، وهم سكان الهجر، دورٌ كبير فيها لا يمكن إنكاره أو إغفاله. ولهذا يقول الملك عبدالعزيز عن سهولة الاستفادة من سكان الهجر في الحروب: «يجيئوننا البدو في السلم فنعطيهم كل ما يحتاجون إليه من كسوة ورزق ومال. ولكنهم في أيام الحرب لا يطلبون منا شيئًا. وفي أيام الحرب يتمنطق الواحد منهم ببيت الخرطوش ويبادر إلى البندقية ثم يركب الذلول إلى الحروب

اليوم الوطني

ومعه شيء من المال والتمر. القليل عندنا يقوم مقام الكثير عند غيرنا»(6).

وكما اهتم الملك عبدالعزيز بتحقيق الهدف العسكري، فقد اهتم أيضًا بتحقيق الهدفين الديني والفكري، وذلك بإرسال مجموعة من الوعّاظ والمرشدين إلى تلك الهجر ليوجهوا أهلها الوجهة الإسلامية الصحيحة، وذلك بتعليمهم مبادئ الإسلام التي لا غنى للمسلم عنها. وكان لهؤلاء المرشدين (المطاوعة) دور كبير في الحركة الثقافية والتعليمية في تلك الهجر. ولا يقتصر عمل المطوع على التعليم، بل هو واعظ القبيلة، وخطيب مسجدها، وإمامها في الصلاة، وكاتب رسائلها، والمصلح بين المتخاصمين، والمتولي لعقود الزواج. أي هو مرجعها الديني في كل شيء(7). وقد حرص الملك عبدالعزيز على أن تُؤلّف كتب إسلامية مناسبة لسكان الهجر فتطبع وتوزع عليهم ليدرسوها على يد أولئك المطاوعة. وكانت هذه الكتب تمثل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية في العقيدة، والمذهب الحنبلي في الفروع، ومنها كتب للشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه وبعض علماء الدعوة.

وكانت حماسة قبائل البادية للإقامة في الهجر أول الأمر كبيرة، حتى إنهم أخذوا يبيعون ما يملكون من إبل وغيرها في سوق الكويت، ويأتون إلى الهجر ويبنون بها بيوتًا لهم، وهو أمر يدل على نجاح الدعاية الإعلامية من الملك عبدالعزيز لهذا المشروع. ويبدو أن العامل القوي في نجاح هذا المشروع لدى هؤلاء البادية هو شعورهم بالفرق بين حالهم في هذه الهجر وحالتهم قبل ذلك من الناحيتين الاقتصادية والأمنية. وبهذا تحقق كثير من أهداف الهجر بنسبة كبيرة. فمن الناحية السياسية تم إقرار الأمن، ومن الناحية الاجتماعية تغيرت حياة هؤلاء البدو من النهب والسلب إلى الاستقرار والأمن، ومن الناحية العسكرية كان لهم دور بارز في حروب توحيد المملكة، ومن الناحية الثقافية بدؤوا في طريق تعليمهم ومحو أميتهم(8). كما أن حرص الملك عبدالعزيز على ربط البادية بالأرض بإنشاء الهجر إنما جاء وسيلة لتبديل عادات البادية السيئة بحيث لا يفكرون في الغزو والنهب والسلب ما دام قد تحقق لهم رزق من طريق الزراعة وهو أكثر اطمئنانًا من حرفة الرعي بدرجة كبيرة.

وبجانب ذلك ظهرت بعض المشكلات التي صاحبت بداية المشروع. منها زهد بعض سكان الهجر بالعمل واتجاههم للتعليم الديني في المساجد بعد بيعهم إبلهم، مما حول المملكة إلى مستورد لها بعد أن كانت مصدّرة. ومنها عدم توافر المرافق الصحية والإمكانات الفنية، إلا أن الملك عبدالعزيز استطاع أن يحل هذه المشكلات بالتدريج حسب توافر الإمكانات. كما كان لفتاوى العلماء في وجوب العمل الزراعي دور أكثر تأثيرًا من ذي قبل(9).

ومع ذلك كله فإن الدين وقوته في الهجر قد غيّر حياة البدو تمامًا من الناحية الاجتماعية؛ فبعد أن كان همهم النهب والسلب وقطع الطريق على الضعيف قائلين: «المال مال الله يوم لي ويوم لك»، وبعد أن كانت القوافل التجارية تسير تحت رحمتهم، ولا تمر منهم إلا بدفع إتاوة، أصبحوا بعد حياة الهجر هم حماة الطريق، ويرون حرمة التعدي على المسافر وابن السبيل، ويرون للجار والمسلم حرمته في دمه وماله. ومهما يكن من أمر فقد كان لمشروع الهجر دوره الكبير في الاستقرار الاجتماعي لعرب البادية في المملكة، كما كان لهذه الهجر آثار اجتماعية متعددة، أهمها:

أ- قضت على النزعة القبلية لدى القبائل، وأبدلت بالانتماء للقبيلة الانتماء للوطن، وأبدلت بالولاء لشيخ القبيلة الولاء للسلطة السياسية الحاكمة(10).

ب - أسهمت الهجر في تعميق مبدأ الأخوّة الإسلامية بين القبائل بعد أن كانوا قبل ذلك في صراع واقتتال على مواطن الكلأ والمراعي، وذلك بسبب تعميق تمسك الأفراد بالإسلام ودراسة مبادئه، والطاعة لولاة الأمر من الأمراء والعلماء.

ج - شجع إنشاء الهجر ونجاحها كثيرًا من أفراد القبائل الذين لم يستجيبوا للتوطين أول الأمر إلى الاستيطان والاستقرار في قرى أقاموها بجوار الهجر. كما تشجعت بعض القبائل لإنشاء هجر حديثة بدل الهجر القديمة، وكان ذلك بعد عام **1349**هـ/**1930**م - أي بعد القضاء التام على ثورة الإخوان - واستمر هذا العمل حتى عام **1392**هـ/**1972**م(11).

د - تعددت الأعمال التي يزاولها أهل الهجر، إذ شملت الزراعة والصناعة والتجارة والرعي والوظائف الحكومية، بعد أن كان هؤلاء السكان ليس لهم مورد سوى من طريق الرعي فقط.

هـ - ازداد عدد الهجر كثيرًا في عهد الملك عبدالعزيز حتى أوصلها بعض الباحثين إلى **200** هجرة. وتوزعت في منطقة نجد والأحساء ومناطق الحجاز. وقد كانت منطقة القصيم في نجد من أكثر المناطق في عدد الهجر التي أُنشئت فيها، فكان فيها قرابة **21**٪ من هجر المملكة.

و - أدى مشروع توطين البدو إلى تهذيب النفوس والعقول لدى البادية، واتساع المعرفة بينهم نسبة إلى ما كانوا عليه قبل ذلك؛ مما أكسبهم مُثُلاً وعادات وطبائع جديدة تغاير ما كانوا عليه من حياة الغزو والنهب والسلب.

ز- استمر اهتمام الحكومة السعودية بعد الملك عبدالعزيز بإقامة الهجر فظهرت هجر جديدة بعد عام **1370**م/**1950**م، واستمر الأمر بعد ذلك.

ح - كان لذلك كله الأثر في انخفاض نسبة البداوة بين سكان المملكة. وتشير الأرقام الإحصائية إلى أن نسبة سكان البادية في المملكة انخفضت من **68**٪ عام **1351**هـ/**1932**م إلى قرابة **27**٪ عام **1394**هـ/**1974**م(12).

الهوامش:

1- تويتشل، المملكة العربية السعودية، ص116.
2- أحمد عسه، معجزة فوق الرمال، ص61.
3- فؤاد حمزه، قلب جزيرة العرب، ص99.
4- عبدالله الخريجي، السياسة الاجتماعية للملك عبدالعزيز في توطين البدو، من بحوث مؤتمر الملك عبدالعزيز بالرياض، ص13.
5- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، ص111.
6- أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص264.
7- خيرالدين الزركلي، شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ج2، ص636.
8- انظر: محمد السلمان، توحيد المملكة وأثره في الاستقرار الفكري والسياسي والاجتماعي، ص272.
9- حافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص291.
10- جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ص381- 383.
11- انظر: عبدالفتاح أبوعليه، الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، ص141.
12- انظر: محمد السلمان، المرجع السابق، ص273 وما بعدها.

الملك عبدالعزيز

والنقلة الحضارية للجزيرة العربية

حسني عبدالحافظ


الملك عبد العزيز (صورة تعود إلى العام 1951 م)

في عهود الظلم والظلام التي فُرضت على مواطني شبه الجزيرة العربية، من قِبل حكام دخلاء، لا يعنيهم سوى المزيد من الثراء وبسط النفوذ بالوسائل كافة، تفشّت البدع والخرافات والضلالات، وانعدم الأمن والأمان، وساد بين القبائل ما يسمي بـ «الخوة»، وهي إتاوات باهظة كانت تفرضها القبائل القوية على القبائل الضعيفة. إلى أن بزغ نجم عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود، الذي تمكّن، وهو في ربيعه الثاني والعشرين، من قهر الظالمين، واتجه بعد ذلك لإصلاح ما أفسدوه، ونجح في بناء مملكة فتية، كان قائدها الأمين ومرشدها إلى طريق الحق والدين.

يقول الشاعر علي أحمد باكثير:

جئتَ الحجاز فأقررتَ النظام به
وقد يكون وللفوضى به صَخَبُ
بسطتَ فيه أمانًا لا نظير له
فيما روته لنا الأنباءُ والكتبُ

ويقــول المؤرخ السيــاسي أنتـوني ناتـنج: «إن الملك عبـدالعزيز نجح في تحويل مـجتمع شبـه الجزيرة العـربية من قـبائل مـقتـتلة إلى شعب يـعي معنى المواطنة والاستـقـرار، والتـحـول من طور البـداوة والرعي والارتحال إلى الزراعـة والأسـرة، كمـا نشر روح المعـرفة وطلب العلم، بل تطوير مفاهيم مجتمع برمـته، والانتقال به من التخلف إلى مرحلة جديدة تمامًا من الحضارة البـشرية رقـيًا وتقدّمًا، وهو يعد بكل المقاييـس العلمية من أكـثر المعجـزات، نظرًا للظروف التي مرّت بها شبه الجزيرة في القرون السابقة».

ومن خـلال هذه الدراسـة سـوف نلقي بعض الضـوء على ما قـام به جلالة الملك عبـدالعـزيز، طيب الله ثراه، من إصلاحـات اجتـماعيـة، تنبع جذورها مـن تعاليم الشـريعة الإسلامية التي كان حريصًا أشد الحرص على تطبيقها.

منهج الإسلام

«إني داعـية أدعـو إلى عقـيدة السلف الصـالح، وهي التمـسك بكتاب الله وسنة رسوله محمد صـلى الله عليه وسلم. وما جـاء عن الخلفاء الراشـدين.. وإني مسلم أحب جمع كلمـة الإسلام والمسلمين، وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمتهم، ويتحد شملهم، ويعلو شأنهم».

من منطلق هذه الدعوة، حرص الملك عـبدالعزيز على أن يكون نظام الحكم في المملـكة الفتـية، وفق منهج قـويم، يستـطيع من خلاله إصـلاح شؤون البـلاد وأحوال العبـاد، وفي ذلك يقـول خادم الحـرمين الشـريفين الملك فهـد(1): «حـرص الملك عـبـدالعـزيز على إنفـاذ منهج الإسـلام في الحكم والمجتـمع، مهـما كانت الصـعوبات والتـحديات.. ويتلخص هذا المنهج في إقامة المملكة العربية السعودية على الركائز التالية:

أولاً: عـقـيدة التـوحيـد التي تجـعل الناس يخلصـون العبادة لله وحده لا شريك له، ويعيشون أعزة مكرمين..

ثانيًـا: شريعـة الإسلام الـتي تحفظ الحـقوق والدمـاء، وتنظّم العـلاقة بين الحاكم والمحكوم، وتضبط التـعامل بين أفراد المجتمع، وتصون الأمن العام.

ثالثًا: حـمل الدعوة الإسـلامية، ونشـرها.. حيث إن الدعوة إلى الله من أعظم وظائف الدولة الإسلامية وأهمها.

رابعًا: إيجـاد بيئة عـامة صحيـة، صالحة، مـجرّدة من المنكرات والانـحـرافـات، تعين النـاس على الاسـتـقــامـة والصلاح.. وهذه المهمة منوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

خـامسًـا: تحـقيـق الوحدة الإيمانيـة، التي هي أسـاس الوحدة السياسية والاجتماعية والجغرافية.

سـادسًا: الأخـذ بأسـبـاب التقـدّم وتحـقيق الـنهضـة الشـاملة، التي تيـسـر حيـاة الناس، ومـعـاشـهم، وتراعي مصالحهم في ضوء هدي الإسلام ومقاييسه.

سابعًا: تحقيق الشورى التي أمر الإسلام بها ومَدَحَ من يأخذ بها، إذ جعلها من صفات المؤمنين.

ثامنًا: أن يظل الحـرمان الشـريفان، مطهّـرين للطائفين

والعاكفين والرّكّع السجود، كما أرادهما الله.. بعيدين عن كل ما يحول دون أداء الحج والعمرة والعبادة على الوجه الصحيح.. وأن تؤدي المملكة هذه المهمة، قيامًا بحق الله، وخدمة للأمة الإسلامية.

تاسعًا: الدفاع عن الدين والمقدسات.. الوطن والمواطنين والدولة، وهذه هي الأصول الكبرى التي قامت عليها المملكة العربية السعودية».

أكبر عملية توطين في التاريخ

يعترف غير واحد من مؤرخي الغرب، أن عملية توطين



خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

البادية، التي جرت في صدر العهد السعودي.. تعد أكبر عملية توطين منظّم في تاريخ البشرية.

لقد كان الملك عبدالعزيز، رحمه الله، على يقين بأن البادية لن تستقيم أحوالها إلا بالاستقرار، وتقويم ما اعوجّ من عادات وتقاليد لا تمت للإسلام بأدنى صلة. فأمر بإنشاء المزيد من المناطق العمرانية، لتكون مراكز دائمة للسكن والتجارة، أُطلق عليها اسم (الهجر) لكونها ترتبط دينيًا واجتماعيًا وحضاريًا بمفهوم الانتقال من حال إلى حال.. وكانت أولى هذه الهجر: الأرطاوية، وهي هجرة كبيرة تقع عند آبار الأرطاوية بالقرب من المجمعة، وتضم عشيرة العريمات(2). ثم كانت هجرة الغطغط، التي سكنها بطن من عتيبة(3). وتوالى بعد ذلك إنشاء المزيد من الهجر، ليصل إلى أكثر من 122هجرة(4).

ولكي تحقق هذه المجتمعات العمرانية الجديدة الأهداف المرجوة، تم وضع نظام خاص لإنشائها يقوم على ثلاث ركائز رئيسية هي:

1ـ البئر: فإذا وُجد الماء، كانت الحياة، قال تعالى: وجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ. **الأنبياء**:30.

2ـ المسجد: وكان جامعًا ومدرسة ينال فيها الفرد البدوي جرعة يومية من الثقافة والعلوم الإسلامية. لقد كان المسجد هو نقطة الارتكاز الأولى في تقريب وجهات النظر بين البدويين، وإصلاح ما أفسده السابقون، وحوله كانت تُعقد الاجتماعات الدورية بين أفراد الهجر، للتشاور في أمور معيشتهم، والتكافل الاجتماعي فيما بينهم.

3ـ المسكن: حيث السكن والاستقرار العائلي، والشعور بمزيد من الطمأنينة، لغد فيه خير كثير، لمن سعى وتوكل على الله. وكانت مساكن الهجرة تلتف حول المسجد على هيئة أقرب ما يكون إلى الدائرة، وتمتد أطرافها في عمق الصحراء.

وقد حرص الملك عبدالعزيز على أن يغدق العطايا على هذه المجتمعات العمرانية الجديدة، فكان يملّك ساكنيها الأراضي الصالحة للزراعة، ويوزّع عليهم أدوات وآلات تعين على حراثة الأرض وفلاحتها.

كما خصص لأهل الحاجة والضعفاء، أعطيات سُجلت على أربعة أنواع، هي:

1ـ الشرهة: منحة كان يقدمها الملك من ممتلكاته الخاصة، لمن يقصد بابه. وفي الغالب تكون مصحوبة بكسوة أو عباءة، ويختلف نوعها باختلاف حال القاصد.

2ـ القاعدة: مرتب سنوي يناله من سُجّلت أسماؤهم في ديوان الجند، وغيره.

3ـ البروة: يُقصد بها (تحويل) بالمال أو بغيره من السلع التموينية، مثل الأرز والسكر والتمر والشاي والقهوة. فإن كان مالاً قبضه حامل التحويل من الجهة التابعة لبيت المال.. وإن كان غير ذلك تسلّمه من الجهة المختصة. والبروة تُصرف مرة واحدة، ما لم يأمر الملك بتكرارها.

4ـ المعونة: أشبه بالشرهة؛ إلا أنها تُقدّم إجابة لطلب المستعين، وتكون على الأكثر لغرض معيّن كشراء فرس، أو زواج، أو شراء بيت، أو وفاء دين.

وكانت كل هجرة تضم عددًا من الشبان المجاهدين، الذين يتم تدريبهم باستمرار مع تزويدهم بالسلاح، حتى يكونوا على أهبة حين ينادي منادي الجهاد. وقد أُحصي من هؤلاء الشبان أكثر من 79500 مجاهد(5)، كانوا هم النواة الحقيقية للجيش السعودي، الذي كتبت عنه مجلة VU الباريسية في عددها رقم 312 (26يونيو/حزيران 1939م): «إنه أقوى جيش عُرف في الشرق الأدنى»(6).

إصلاح التعليم

كان التعليم مدخلاً مهمًا اعتمده الملك عبدالعزيز، لإجراء المزيد من الإصلاحات الاجتماعية في ربوع المملكة الفتيّة، وبخاصة بعد أن أصدر جلالته، رحمه الله، الأوامر بإنشاء «مديرية المعارف» التي بدأت تزاول نشاطها غرة رمضان سنة 1344هـ (15آذار/مارس 1926م). وقد تم تعيين السيد صالح شطا رئيسًا لها، وأُعطيت صلاحيات واسعة لتصحيح المسار التعليمي، ووضع مناهج مدروسة من قبل لجان علمية وتربوية متخصصة.

وحتى تكتمل مهام هذه المديرية، وتؤدي رسالتها التعليمية على خير وجه إلى المواطنين كافة أينما كانوا في أرجاء المملكة، أنشئ العديد من الإدارات التعليمية في مختلف المناطق، يتبع كلاً منها عدد من المدارس المتدرجة.

وكانت ميزانية المديرية في عام نشاطها الأول قرابة 1,033,300ريال سعودي، وارتفعت الميزانية عامًا تلو آخر، لتصل في عام 1357هـ إلى 12,817,466ريالاً.. ثم ترتفع إلى عشرين مليون ريال في ميزانية 1373/1372هـ.

لقد شهد النظام التعليمي تطورًا كبيرًا إبان عهد الملك عبدالعزيز؛ فانتشرت مدارس رياض الأطفال في ربوع المملكة، وكان ثمة مدارس نموذجية تقوم بتهيئة الطلاب للنضج العلمي، ومدارس ليلية لتعليم اللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى التدريب على الآلة الكاتبة، وتحسين الخطوط العربية. وهناك العديد من مدارس محو الأمية التي قامت بدور كبير في الحد من مشكلة الأميّة، ومدارس دور الأيتام، وكانت تُغطّي المناطق كافة.

وكان جلالته، رحمه الله، يُشجع على إنشاء المزيد من المدارس الأهلية؛ فظهرت مدرسة الفلاح والنموذجية بجدة، والصولتية والترقي والفخرية بمكة المكرمة، ودار الحديث بالمدينة المنورة، ومدرسة الصحراء بالمسيجيد، وغيرها الكثير.

وكان ينفق بسخاء على المرشدين (المطاوعة)، والكتاتيب العامة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها، ووصلت خدماتها التعليمية إلى البدو في قلب الصحراء.

ووجه جلالته عناية خاصة بالمدارس الصناعية والمهنية والعسكرية. وفي عهده ظهرت المعاهد، التي كانت النواة الحقيقية لإنشاء جامعات المملكة، ومن هذه المعاهد نذكر:

المعهد العلمي بمكة المكرمة، معاهد المعلمين المتوسطة والعالية، المعاهد الليلية، معهد الرياض العلمي الذي كان نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولا يمكن أن ننسى «دار التوحيد» بالطائف، التي كان الملك شخصيًا معنيًا بها، لقد تخرج في هذه الدار العريقة ـ التي أسسها علامة الشام الشيخ محمد بهجة البيطار ـ علماء أكفياء في اللغة العربية وعلوم الدين، أُسند إليهم القضاء في المملكة.

والنقلة الحضارية للجزيرة العربية

ولا ننسى أيضًا «كلية الشريعة» بمكة المكرمة، ومدرسة البعثات التي كانت تعد الطلبة وتؤهلهم لمواصلة التعليم في الخارج. وأول بعثة تعليمية سعودية، خرجت إلى مصر عام 1927م، والتحق أفرادها بجامعة الأزهر وجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا) لدراسة علوم الشريعة وأصول الدين، والطب والهندسة والزراعة والتجارة. وتوالت البعثات إلى مصر لدراسة مختلف الفنون والعلوم بجامعاتها. كما أرسلت البعثات التعليمية إلى أوربا وأمريكا لمواصلة تعليمها.

وقد حرص جلالته، رحمه الله، على تقديم المساعدات المالية للطلاب، وفق نظام خاص يراعي ظروف كل منهم، ويشمل مراحل التعليم كافة.

وكان يشجع المتفوقين في التخصصات كافة، ويأمر بصرف الجوائز السخية لهم. وفي عهده عنيت مدارس المملكة بالتربية الرياضية، وتشكّلت فرق الكشافة، وكانت تقدّم للطلاب الملابس والأدوات الرياضية مجانًا.

تنقية المجتمع من البدع والخرافات

نجح الملك عبدالعزيز، وحكومته الرشيدة، في القضاء على البدع والخرافات والضلالات التي كانت قد استشرت في تلافيف مجتمع شبه الجزيرة العربية إبان عهد الظلم والظلام. وتمكن جلالته، رحمه الله، من تحطيم العزلة التقليدية، وحقق لأول مرة الانتماء والولاء للوطن بعد أن كان للفرق والعشائر الهزيلة، وذلك من خلال ما استحدثه من قنوات اتصال جماهيري ذات تأثيرات واسعة قوية، نذكر منها:

الإذاعة: بدأت تبث برامجها المنتظمة في تمام الساعة الواحدة بعد ظهر يوم الأحد التاسع من ذي الحجة عام 1368هـ (أول تشرين الأول/أكتوبر عام 1949م).

وكانت أول كلمة تذاع من خلالها، هي كلمة الملك عبدالعزيز، التي ألقاها نيابة عنه سمو الأمير فيصل، وجاء فيها: «أحمد الله الذي جعل هذا البلد الحرام مثابةً للناس وأمنا. أحمده وأشكره، والشكر من نعمائه، أن يسّر للناس حج بيته العتيق، وجعل قلوبهم تهفو إليه، ليشهدوا منافع لهم، وتتآلف قلوبهم بذكر الله، في هذه البقاع الطاهرة التي كانت منزلاً للوحي لهَدْيِ الناس أجمعين. وأصلي على رسول الله الذي بعثه بالهُدَى ودين الحق.. وبعد، فإنه ليسرنا أن نخاطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، من هذا البلد الحرام في هذا اليوم المبارك، ونتناصح ونتواصى بالبر والتقوى، وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله وإخلاص العبادة له»(7).

وقد شكلت البرامج الاجتماعية والتثقيفية والدينية القدر الأكبر من مدة الإرسال، فوصلت نسبتها إلى 75٪، بينما كانت النسبة الباقية للأخبار والتحاليل الإخبارية، المحلية والعربية والعالمية. وعن مدى تأثير الإذاعة في المجتمع السعودي يقول د. محمد عوض إبراهيم: «استطاعت أن تقف لمظاهر الانحراف والتسيب بالمرصاد، لتواجه السلوكيات الشاذة والبالية باستمرار، وذلك من طريق إذاعة أخبار الحوادث الداخلية من قتل وسرقة.. إلخ، وإقامة الحدود، وتطبيق الشريعة الإسلامية»(8)، ويضيف: «وهي الوسيلة الأولى للاتصال بالجماهير في عهد الملك عبدالعزيز، وقد أثرت في فردية المواطن السعودي، الذي بدأ ينتقل شيئًا فشيئًا من مجال الوعي الذهني الخاص، إلى مجال الوعي الذهني العام»(9).

الصحافة: اهتم جلالة الملك عبدالعزيز بالصحافة، التي كانت في عصره - كما صورها أحد المؤرخين - «مسرحًا لآلام الناس وآمالهم، ومعرضًا لشعرهم ونثرهم».

ولقد صدر أمر ملكي عام 1343هـ لطبع أول صحيفة رسمية في المملكة، وهي «أم القرى»، وظهرت بعد ذلك مجلة دينية جامعة بعنوان «الإصلاح»(10). وفي عام 1350هـ صدرت صحيفة «صوت الحجاز» وكان صاحب امتيازها الشيخ صالح نصيف، ثم انتقل امتيازها عام 1354هـ إلى شركة ترأس مجلس إدارتها الشيخ محمد سرور الصبان، وخلال الحرب العالمية الثانية توقفت الصحيفة، ثم عادت للصدور عقب انتهاء الحرب، ولكن تحت اسم جديد هو صحيفة البلاد السعودية، وتوالى بعد ذلك صدور المزيد من الصحف والمجلات.

إحياء التراث، ونشر الكتب: وهي من القنوات المؤثرة التي اعتمدها الملك عبدالعزيز، رحمه الله، للقضاء على البدع والخرافات، وتثقيف المجتمع السعودي ثقافةً راقية تنبع من تعاليم الإسلام الصحيحة.

ومن المعروف عن جلالته، طيب الله ثراه، أنه لم يكن يفوت يومًا دون أن يعقد مجلسًا موسعًا للاطلاع والمعرفة، وذلك بقصره عقب صلاة العشاء؛ يستمع فيه إلى ماورد في أمهات الكتب، ويتناقش مع صفوة العلماء في الأمور الاجتهادية.

وكان يرى أن إحياء الفكر الأصيل هو خير وسيلة لتقريب وجهات النظر حول المسائل الاجتهادية المختلفة. ولهذا اتجه إلى طباعة ونشر نفائس المصادر والمراجع التراثية وغيرها من كتب الدعوة لكبار العلماء، ولم يغفل نشر بعض دواوين الشعر والنثريات الأدبية الرفيعة، على نفقته.

وفي دراسته القيمة «عناية الملك عبدالعزيز بنشر الكتب»، قدم الشيخ عبدالعزيز الرفاعي بيانًا كاملاً للمصادر والمراجع المطبوعة على نفقة الملك عبدالعزيز، التي بلغ عددها حسب ما ورد في هذا البيان 98 مصدراً ومرجعًا، ظهر بعضها في 20 مجلدًا، نذكر منها:

البداية والنهاية لابن كثير، تفسير الطبري، كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري، جامع العلوم والحكم لابن رجب، زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، الزهد لأحمد بن حنبل، سنن أبي داود، مع شرح لها، لابن القيم، فتاوى ابن تيمية، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني لأحمد بن عبدالرحمن البنا (20 مجلدًا)، المغني لابن قدامة، السنة لأحمد بن حنبل، عقود الجواهر المنضدة الحسان (ديوان شعر للشيخ سليمان بن سحمان)، عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، مجموعة التوحيد النجدية، ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، كشف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي، وغيرها كثير

رحم الله الملك الصالح المؤسس، وجزاه عن خدمته لدينه وأمته خير الجزاء.

الهوامش:

1. من الكلمة التي ألقاها جلالته بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم، وقد ألقاها يوم الأحد 1412/8/27هـ الموافق 1993/3/2م.
2-3. عبدالله حمد الحقيل: وميض من سيرة الملك عبدالعزيز: ظاهرة توطين البادية، مجلة الدارة، ع 2، س 11، محرم 1406هـ، ص120.
4-5. محمد كامل حته: في ظلال الحرمين، ص63، 62.
6. مجلة الفيصل، ع239، ص73.
7. محمد كامل حته: مرجع سابق، ص186.
8-9. د. محمد عوض إبراهيم: الإذاعة في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود، مجلة الدارة، ع 4، س 15، رجب 1410هـ، ص 85، 83.
10. صدرت عام 1347هـ، وكان يتولى إدارتها وتحريرها الشيخ محمد حامد الفقي.

المصادر:

1. صلاح الدين مختار: تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها، مكتبة الحياة، بيروت 1376هـ.
2. محمد كامل حته: في ظلال الحرمين، دار المعارف، القاهرة 1978م.
3. خير الدين الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، دار العلم للملايين، بيروت 1985م.
4. عبدالعزيز محمد الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز، مطابع الإشعاع التجارية، الرياض، دون تاريخ.
5. عبدالله شرف: عبدالعزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية، دار المعارف، القاهرة 1403هـ.
6. رحلات عبدالوهاب عزام، طبعة القاهرة 1965م.
7. رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض 1402هـ.
8. شكيب أرسلان: النهضة العربية في العصر الحاضر، القاهرة، دون تاريخ.
9. الأمن والأمان في ربوع المملكة إبان عهد الملك عبدالعزيز (دراسة مخطوطة للباحث).
10. الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر الحديث (للباحث): مجلة الثقافية، ع 13، السنة 3، ذو الحجة 1416هـ.
11. حرص الملك عبدالعزيز على تطبيق شرع الله (للباحث): مجلة الحج، الجزء الحادي عشر، السنة الحادية والخمسون، جمادى الأولى 1417هـ.

الدوريات:

مجلة الفيصل: ع 239، جمادى الأولى 1417هـ.
مجلة الدارة: الأعداد: محرم 1406هـ، رجب 1406هـ، جمادى الأولى 1416هـ.
الحرس الوطني: الأعداد: 86، 124، 158.
المجلة العربية: العددان: 220، 232.

أشرق السعد

شعر: عبدالعزيز بن محمد النقيدان

بسم الرياض وأشرق السعدُ ... وسما به الإيمان والمجدُ
ولنا مع التاريخ ملحمة ... كبرى يرفرف حولها البند
سارت على التوحيد واثقةً ... وشعارها الإيمان والجد
هذي الجزيرة حين عانقها ... صفو الحياة وأشرق السعد
وتوحدت في عهد رائدها ... عبدالعزيز إلى العلا يحدو
وإذا قوافلها ميمّمة ... شطر الحضارة عرسها يبدو
بسط الأمان عليه أجنحةً ... عَمَّ الجزيرة عيشُها الرغدُ
يزهو الحجاز بكل طارفة ... وتسابقت نحو العلا نجد
ومشت سفينتها مباركة ... دنيا الحضارة قادها الفهْدُ
شعب الجزيرة إنّ سيرته ... يسمو بها الإيمان والعهد
والطامعون بأرضنا خُذلو ... كُشف القناع وأُعلن الحقدُ
إن الجزيرة وهي صامدة ... تبنَى وعرشُ الظلم ينهدُّ
تبني مواقفها على قمم ... وعلى الوَفا قد عاهد الجند
والشعب أعلن كل تضحية ... إن الجهاد لمعتدٍ حد
وسماؤنا بالحب ممطرة ... وسماؤنا للمعتدي رعد
حمل الفتى من أجلها كفنًا ... وتطوعت لبلادها هند
أرض الجزيرة قد رأت عطشًا ... ورأت عيونًا هدها السهد
واليوم تنهض للعلا شرفًا ... وتبارك الإخلاص والمجد
في نهضة كبرى مؤصلة ... عهد البناء يقوده الأُسد
الأرض قد لبست مباهجها ... وعلى الثغور تبسّم الورد

سيرة الملك عبدالعزيز في شعر الملاحم

صلاح أحمد الطنوبي

سيظلّ جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه اللَّه تعالى ـ رمزًا راسخًا، وعنوانًا ثابتًا واضحًا لهذا البناء الشَّامخ، وهذا الكيان القوي، رمزًا لقائد محنّك، وملك تجلَّت في شخصيته مظاهر العظمة في أدقّ عناصرها وخصالها.
الملك عبدالعزيز ـ رحمه اللَّه تعالى ـ قائد عظيم صنع تاريخه بنفْسه، وحمل مصير أمته في قلْبِه، فاستطاع أن يقدّم لها أعظم الأعمال وأجلّ الأفعال.

الملك عبدالعزيز ـ أسد الصحراء ـ ظلَّ يمشي مبارك الخطوات من علاّم الغيوب سبحانه وتعالى؛ حتى استطاع بفضل ربّ العزة والجلال، ثم بفضل حنكته السياسية أن يُخْرِج هذه البلاد من بؤرة الخوف والتمزق والضعف والفقر إلى أرجاء الوحدة والقوة والأمن والرخاء. مِنْ بؤرة ضيقة في جميع أحوالها إلى أرجاء رحبة توحّدت في بناء شامخ وكيان واحد يحمل اسم «المملكة العربية السعودية»، كيان ترفرف عليه راية التوحيد، يسودُه الأمن ويعمُّه الأمان، روحه الإيمان والتقوى، وأساسه العدل والشّورى، فانتشر بين أهله الحبُّ والوئام وتحقّقت فيه سبل العيش الكريم.

ملحمة «أحسن القصص» لخالد الفرج

وكانت سيرة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ـ طيَّبَ اللّه ثراه ـ بما فيها من بطولات رائعة ووقائع متصلة مثار إلهام بعض الشعراء العربَ المحدثين الذين حاولوا أنْ يؤلّفوا منها ملحمة باقية على الزمان.. وأول من قام بهذه المحاولة الفنية الشاعر خالد بن محمد الفرج، فقد كتب في عام 1346هـ ملحمة تبلغ أكثر من أربعمئة بيت، جعلها في وزن واحد وقافية متحدة، وقد بدأها بتتبع سيرة آل سعود، فذكر نسبهم وتاريخ جدهم الأعلى محمد بن سعود الذي أجاب دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه اللّه تعالى ـ، ثم يذكر الشاعر تتابع الأحداث التاريخية بصورة متصلة وبخاصة في حديثه عن وقائع وأعمال أسد الجزيرة وموحّدها جلالة الملك عبدالعزيز ـ رحمه اللّه تعالى.

وسُمّيت الملحمة: منظومة «أحسن القصص» وطُبعت هذه المنظومة (الملحمة) في سنة 1350هـ بالمطبعة العربية بمصر في إحدى وثلاثين ومئة صفحة من القطع المتوسط.

قال ناظمها في مقدّمتها: «أمّا بعدُ يا صاحب الجلالة: إنّ من المأثور عن جلالتكم هذه الكلمة الحكيمة: «أحبّ سماع الشعر، ولكنَّ نوعين منه لا أحبهما: الهجو، والغلو في المديح» وهذه منظومة تحتوي على سيرة جلالتكم نظمتها للحقيقة والتاريخ، فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد، وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة بأكاليل الفخار، وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها إلى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها وجلائلها.. نظمتها للأمة العربية التي رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة...».

وقد كتب محمد علي الطّاهر صاحب جريدة «الشورى» مقدمة لها وهي: «أطلعني صديقي الشاعر الكبير واضع هذا السفر النفيس على كتابه.. ورغب إليّ أن أفصح عن رأيي فيه فكتبتُ إليه: ماذا يقول القائل في كتاب اجتمع فيه الأدب الصحيح، والشعر البليغ، والتاريخ المحقّق. و«أحسن القصص» لديوان من عيون الدواوين في سيرة مِنْ أفضل السير. ولا أدري:

اليوم الوطني



الملك عبد العزيز في مجلس قصر خزام بجدة، في عام 1945

أيُهنَّأ الأستاذ الناظم المؤلّف الشيخ خالد الفرج، بما وفّق إليه من الإبداع في كتابه؟ أم يُهنَّأ صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بأن تولى صياغة تاريخه الخالد قلم الأستاذ خالد؟ أم يُهنَّأ أدب العرب بالدرة الجديدة يحلي بها عقده النظيم؟ إلاّ أنَّ المؤلّف وصاحب الجلالة وأدب العرب جميعًا لمهنَّؤون بالكتاب بارك اللّه بمؤلّفه النابغة وجزاه عن العرب والعربية خيرًا».

وقد جعل المؤلّف ملحمته في عشرين فصلاً، وكُلّ فصلٍ يشتمل على موضوع خاص به.

يقول الأستاذ عبدالقدوس الأنصاري في كتابه القيّم «الملك عبدالعزيز في مرآة الشّعر»، متحدثًا عن مميزات الملحمة: «يبدو أنَّ من أهم مميزاتها العرض الصّادق الجميل لسيرة الملك عبدالعزيز دون مغالاة ولا شطح ولا تهْويل.. فإنّ خالد الفرج ـ كما نعرفه ـ متزن هادئ وصادق فيما يقول.. ومن ميزاتها فصاحة البيان ووضوحه وشموله لتاريخ آل سعود وعرضه لوقائعه وأحداثه وملابساته في ثوب قشيب منسجم، لا حشو فيه ولا ركاكة ولا جمود.. وامتازت بالشرح الذي وضعه ناظم الملحمة في الصفحات اليسارية من الديوان.. فما أجمله الشعر ولم يستطع تفصيله بالنظر لقيود الوزن والقافية، يفصله «الشرح النثري» بجانبه.. فلا يخرج القارئ من مطالعة الملحمة إلاّ ويكون قد استوعب سيرة الملك عبدالعزيز وسير أسلافه وما حدث له أو عليه من الحوادث السّارة وغير السّارة، ومن الانتصارات والهزائم، ومن المسرات والأتراح.. والملابسات الأخرى.. وكعادة أصحاب الملاحم الشعرية عالج الشاعر الوزن والقافية.. فأمّا الوزن فقد وحّده، وأمّا القافية فغيرها حسب اقتضاء الحوادث والمقال والحال.. وقد جعلها «سباعية» الأشطار.. ليسهل عليه ذلك عبء إدراج حوادثها في الشعر العمودي الأصيل.. وخالد الفرج يمتاز شعره بطابع القوة وبالجمع بين القديم والحديث.. وقد كان لرحلاته وثقافته أثر بارز في روعة شعره وطول باعه في الأدب عامة.

ومن نماذج شعره قوله في استعادة الأحساء:

وقد كانت الأحساء للظّلم مرْتعًا
منَ البدو والفوضى تئنّ وتصْخبُ
بها دخل الأتراكُ كالضّب غارهم
ولم يُغْنِ عنْهُم فيه جيْشٌ مدرّبُ
فللبدو أرباضُ البلادِ وريفُها
وللتُرك ما دونَ الجدارِ محجّبُ
يعيثون في السّكّانِ نهبًا وغارةً
ونهْبهم جهْرًا إلى السُوق يُجلب
مشيْتَ إليهم مشْيةً عنْبسيَّةً
ولم يحْمها السُورُ المُنيف المبوَّبُ
وما ذكر التاريخُ مثْلكَ فاتحًا
يُغامرُ بالجُنْد القليلِ فيغْلبُ
وما ليلة الأحْساء إلاَّ شقيقةٌ
لليْلة عجْلان بل الكُوتُ أرْهبُ
هنالك لا جندٌ ولَا عصبيّةٌ
لديك ونيران العدوّ تُصوَّبُ
فبدَّلتها بالخوف أمنًا وبالفنا
حياةً وَأضْحى ريفُها وهو مُخْصبُ

ملحمة «عيد الرياض» لبولس سلامه

هرمٌ شعري يجاوز سبعة آلاف بيت.. وهذه الملحمة «عيد الرياض» جزء لا ينفصل عن تراث المملكة العربية السعودية؛ فهي رائعة تعلّم الأدب، وتوقظ البطولات، ومكارم الأخْلاق. هذه الملحمة مجموعة لمفاخر العروبة بوجه عام ومرجع أدبيّ للسعوديين بوجه خاص، يفيئون إليه كلّما اتجهت القلوبُ إلى مهبط الوحي في الحجاز، واشتاقت الصدور إلى فوح العرار من نجد.

وعلى مثل هذا جرى الإغريق بالأمس في تدريس إلياذة «هوميروس»، واللاتين في تعليم الإنيادة «لفرجيل»، والعجم في تلقين الشاهنامة رائعة «الفردوسي».

انتقل بولس سلامه بشعوره كلّه إلى المعامع حتى ليكاد يسمع صهيل الخيول وأزيز الرصاص لينظم في الظلام الدامس هذه الملحمة الفريدة في سيرة الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه اللّه.

لماذا أحبَّ «بولس سلامه» الملك عبدالعزيز آل سعود ـ رحمه اللّه تعالى ـ؟

قال بولس سلامه: «إذا كان من جوهر الملحمة أن تشتمل على الخوارق، فلقد وجدت

خالد محمد الفرج

بولس سلامه

في ابن سعود بطلها الذي أولج الواقع في الأسطورة والأسطورة في الواقع.. ولو لم يكن سبيل الرجل إلى المجد سوى الحسام لما هزّني فهاج قلمًا طلّق الشعر أو كاد زهاء ست سنوات، فإنّ طائفةً من الصناديد الفاتحين، الذين تقدموه في الزمن لم تعوزهم الشجاعة بل الإنسانية التي تجلّي في المرء صفات طيبات، وبها تقوم ماهيته، كما يقومُ جوهر الوردة بالطّراوة واللون والفوح. فإذا أنت جرّدتها من هذه الخصائص وقعت على هشيم يحوطه الشوك. وإنّما تتجلّى إنسانية ابن سعود في سخاء يؤيد ما تناقلته الرواة عن حاتم ومعن وآل برمك، وذكاء فطريّ يلمح في دورة خاطر ما يستعصي على أعلام العلماء في أيام، وعدل هو استواء الشمس في الظهيرة إذْ تتخذ مكانًا نصفًا، وحلم ينفد البحر قبل نفاده، ووفاء للذين ألفوه في المنزل الخشن كأعلى ما يكونُ الوفاء، واتضاع وخفض جناح للضّعفى والمساكين ذوي المتْربة، ورقة كرقة الشاعر الرهيف الحس، وتقْوى يصحُّ فيها قولُ القرآن المجيد: «الذين يقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون» وقوله: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربَّهم خوفًا وطمعًا ومّما رزقناهم ينفقون». وقوله: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون».

تلك بعض صفات ابن سعود وستلمسها في سياق الملحمة دون كدّ خاطر ولا تنقيب، فتنشقها نفح الشّذا من البستان العطر، وما ينكر فوحه إلاّ مزكوم أو متطبّع بطبع الجعلان، فليس أقتل لها من عبق الزهر.

تلك السجايا حبّبت إليّ ابن سعود فوق ما حبّبه إليّ حسامه؛ على أنه أشرف سيف عرفته جزيرة العرب منذ قرون.. ولولا هذا الشعور الذي احتلّني كما يحتلّ الربيع الشجرة فيفتح براعمها للندى لما استطعت أنْ أنظم فيه بيتًا واحدًا.. وما أنا بالذي تهزّه السحابة العابرة، أو يستهويه الغدير الضّحل فيسبح ـ وما ألفت العوم إلاّ في اليمّ الصاخب ـ ولا بالذي يزوّر على التاريخ فيصانع، فإذا آخذني بعضهم على المبالغة في امتداح آل سعود فما الغلوّ سوى الخيال الشعري المنطلق من صعيد الحقيقة، ولولاه لكانت ملحمتي تاريخًا منظومًا، أو أرجوزة طريفة على البحر الخفيف، أو وثيقة كاتب عدل لا يأتيها الباطل من خلفها ولا من بين يديها».

وهاكم نماذج من «عيد الرياض»:

يا سيوف الوغى، دروع سعود
الوفيُّون منكم والكرامُ
قد نصرتم عبدالعزيز أميرًا
فبكم عزَّ رمحهُ والحسامُ
صائن الدين من خطوب عواد
وإمامُ الزهادة الصوَّامُ
الوديعُ المهيبُ خلْقًا وخُلقًا
المصلّي والعابد القوّامُ
بسط الأمْنَ في مباسط نجد
فتآختْ صقورُها والحمامُ
الحبارى في ظلّه آمناتٌ
ومع النِّمرِ تسْرحُ الأنعامُ

وفي عدْل الملك عبدالعزيز يقول بولس سلامه:

عدْلُ عبْدِالعزيز، ردَّ إلى الصّحـ
ـراء عدْلَ الفاروق بعد الأوانِ
مثله شدَّةً وميلاً إلى الزّهـ
ـد، بسيط المعاش والديوان
لا بطيئًا ولا نؤومًا فلم تُشْـ
ـرق ذُكاءٌ على تريفٍ وانِ
يسبق الفجر للوضاءة فالركْـ
ـع فأَخذ الإبريقِ والفنجان
طيّب النَّفْس ناشطًا لمهمّا
ت يعاني في حلِّها ما يعاني
فهو كالبحرِ حاملاً ألف عبء
ويُرى باسمًا على الشطآن
مثله غاضبًا يُناهضُ ظلمًا
مثله في بشاشة الرضوان

ويقول:

خالص القولِ والسريرة، فوق الـ
ـمكر فوق الذُحول والأضغان
وادعًا وارف الوقار حليمًا
واسطًا بين شدّةٍ وليان
مُنْشئًا وِلْدهُ على خشْية اللّـ
ـه، وخُلق كصفحة الهندواني
عالمًا أنّه يربّي ملوكًا
لغدٍ واسعٍ جليل الأماني

ويقول:

يا حفيد الأبطالِ خيْرَ سيوف الـ
ـعُرْب منْ وائل إلى «مرْخان»
خدركَ الفذُّ لن يضُمَّ جبانًا
إنّ كُنْه الجذوعِ في الأفْنان
لو أراد الخنوعَ منْهُم صبيٌّ
لفظتْه نوافذُ الجدران
منْ يربِّي للمكرمات نخيلاً
لن يرى بيْنه حقير الزؤانِ

في شعر الملاحم

أنْتَ فتَحْتَ سمْعهم منذ كانوا
بعدُ في نضرةِ الغصونِ اللدانِ
لحديثِ الأبطالِ منْ كُلِّ عصرٍ
فاستطابوا مواردَ الشجعان
قبسوا منْكَ في العرين دروسًا
ونموا في منابتِ المرَّانِ
عايشوها ملاحمًا تشْرحُ الصَّدْ
رَ لسيف وصعدةٍ وحصان

وتحت عنوان «النّسر يتوارى» يقول:

كَفِّنوا سيّد الجزيرة بالور
د، بآسِ الرُّبى وعطر الكمائم
بوشاحِ الثُّلوجِ مِن شُمّ لبنا
نَ وأندائه النِّطاف البواسم
بذؤابات أرزِه وابتلالٍ
من عشاياه في الحواشي النواعمِ
واحملوه من الحجاز إلى نجـ
ـد فللوكْرِ قُدْسُهُ في المحارم
يلمسُ المرءُ في التّراب ولو ميْـ
ـتًا تراب الأوطانِ قلبا راحم
وادْفِنُوه في ربوةٍ تُنْبِتُ المـ
ـرَّان صُلْبا وتسْتعيدُ اللهاذم
فوْقها يخْفقُ العرارُ على الرمـ
ـسِ فتشذى بالهينمات النواسم

ويقول:

ودِّعوا ذلك الجبينَ بأبصا
رٍ عن الحبِّ والشجون تراجم
فالبطولاتُ بعْدَهُ ربّما شُرْ
ردن دهرًا مُولَّهات أيائم
احملوه على الرقاب إلى الـ
ـرمسِ وردّوا أكتافكم والمعاصِم
سلّموا كنزكم إلى كفِّ «رضوا
ن» فيرعى عهْدَ المليك القادم
ضوعفت ثروةُ الخلود بمرآ
ه وقامت أعراسُه والولائم
عندما تعْظُم المناحةُ في الأرْ
ضِ فوجْهُ السماء عرسٌ قائم
أمةٌ وحْده يُعدّ أبو «تر
كي» هو التّبرُ والملوك دراهم

رجلٌ حوْله تجمَّع تاريـ
ـخٌ كما ألّف الجمانَ الناظم
إيه عبدالعزيز جَلَّ عزاءٌ
بنيكَ المطيّبين الأكارم
منْكَ هذي الغصون والثّمر الدا
ني وحُلواؤه وطُهر البراعم
عرشُك العرشُ يا سعودُ فبادرْ
واملأ الشّرقَ سؤددًا ومكارم
إنّما يخلف الكبيرَ كبيرٌ
ويسيرُ العظيمُ نهج الأعاظم

إنَّ ملحمة «عيد الرياض» أثرٌ أدبي خالد، وفتح كبير في الأدب، ستتحدث عنه الأجيال القادمة بفخر. لقد نظم الشاعر هذه الملحمة وكأنّها قصيدة واحدة على وزن واحد، استطاع فيها أن يلقي أبلغ درس على الشّعراء الذين يظنون أنَّ الشعر العربي لا يتّسع للملاحم.

قال سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز في ملحمة «عيد الرياض»: «هذه الملحمة خالدة مدى الدهر، ويكفي المؤلف أنّه ارتفع بها إلى مصاف أعظم مؤلفي الملاحم».

وقال سعيد عقل: «في يقيني أن جزيرة العرب ستتحدث بعد مئة عام بأحداث ثلاثة: تأسيس المملكة على يد عبدالعزيز، واكتشاف منابع البترول، وملحمة عيد الرياض».

وقال مارون عبود: «قال أحد أئمة العلماء: مَنْ يشأ أن يؤلّف في النحو بعد سيبويه فليستح. أجل فليستح أولئك الذين سيؤلفون الملاحم بعد بولس سلامة».

الملحمة السعودية للدكتور خاطر

طبعت هذه الملحمة الشعرية في كتاب يقع في اثنتين وثلاثين وأربعمئة صفحة تحت عنوان: الملحمة السعودية بطولات وأمجاد العبقري المغفور له الملك عبدالعزيز طيّب اللّه ثراه، من شعر الدكتور محمد محمود خاطر.

يقول الدكتور خاطر: «لقد اخترتُ تاريخ الملك عبدالعزيز لأنَّه ـ رحمه اللّه ـ استعمل في كفاحه الطويل أسلحة كثيرة منها: الصَّفح والغفران، والتواضع ونكران الذّات، والكرم على الخصوم قبل الأصدقاء، والشجاعة في اللّه، وتحكيم الشّرع في كُلِّ صغيرة وكبيرة....».

ويقولُ: «لقد امتاز الملك عبدالعزيز بصفات كثيرة لم تتكامل عند زعيم غيره، ويضيق المقامُ هُنا عن حصرها وسيراها القارئ واضحةً جليّةً منْ خلال أحداث الملحمة».

لقد نظم الدكتور محمد محمود خاطر الملحمة في قصيدة واحدة من بحر الكامل بحر الحماسة المفضَّل، وقافيتها واحدة هي النون الحرف الأول من نجد. وتبدأ الملحمة من تاريخ ميلاد الملك عبدالعزيز في ليلة التاسع عشر من ذي الحجة سنة 1293هـ/1876م، وتنتهي يوم السادس من صفر سنة 1353هـ/1934م، حيث وقعت معاهدة الطّائف بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى إمام اليمن.

وترجع أهمية الملحمة إلى حاجة الشباب السعودي ـ في الوقت الحاضر ـ إلى معرفة تاريخ بلادهم، وتاريخ حياة الرجل الذي قضى حياته كلّها في كفاح من أجل توحيد بلاده، وذلك بأسلوب سهلٍ. وتنقسم الملحمة قسمين: كلّ قسم يتكوّن من ستة فصول:

القسم الأول:

1ـ هجرة بني سعود إلى بني مرّة والعجمان والبحرين وقطر والكويت.

2ـ الانطلاق من واحة يبرين إلى الرياض وتفصيل أحداث ذلك الفتح الكبير.

3ـ التعريف بالأبطال الستين الذين اشتركوا في فتح الرياض.

4ـ تفصيل أحداث فتح نجد من الجنوب والشّمال والانتصارات على الأتراك.

5ـ تفصيل الأحداث التي سبقت نهاية عبدالعزيز بن متعب آل رشيد، ثم سير الأحداث بعد وفاته.

6ـ تفصيلُ الطَّريقة التي استطاع بها الأتراك دخول الأحساء والقطيف ثم تفصيل أحداث فتح الأحساء والقطيف وطرد الأتراك من البلاد.

القسم الثاني:

1ـ حياد عبدالعزيز في الحرب العالمية الأولى،

في شعر الملاحم

وموقعتا جراب وكنزان، وتفصيل الأحداث مع آل عائض حتّى نهاية إمارتهم.

2- تفصيل كيفية وصول آل رشيد إلى حكم حائل، والتوسّع الرشيدي إلى أنْ سقطت الرياض في أيديهم، ثم زحف الجيش السعودي إلى حائل وفتحها ونهاية آل رشيد.

3- تفصيل موجز للصّراع مع الأتراك قبل الكارثة وبعدها ثم مع الشريف حسين إلى أن فتح الحجاز ونهاية البيت الهاشمي.

4- تفصيل أحداث الفتنة في نجد في مطير وعتيبة والعجمان.

5- حماية الأدارسة وأحداث تمرّدهم ونهاية إمارتهم والقضاء على فتنة ابن رفادة في الشّمال.

6- توحيد أجزاء المملكة ونظام ولاية العهد والأحداث التي وقعت مع الإمام يحيى حميدالدين حتّى تم الصّلح بين الأخوين.

وتقع هذه الملحمة في ستة آلاف بيت.

وهاكم نماذج من أبياتها:

في نظْم شعْري في وفاء بياني
أشدُو بملحمة الإمام الباني
صقر الجزيرة منْ بنى أمجادها
متفانيًا في أطْهرِ الأوْطانِ
عبدالعزيز منارُنا من دوحة
الأصل منها ثابت الأركانِ
وفروعها نحو السَّماء تألقتْ
بالمجد تُسْعدُ موطنَ الإيمان
أعظم بها أكرمْ بها في شعْبهَا
لم يختلف في حبّها قلْبانِ
أبناؤها الغرُّ الكرامُ بنوا لنا
مجدًا بدا متألّق اللمعانِ
حملوا الأمانةَ بالتواضع بيننا
وتفرَّدوا بالعدلِ والإحسانِ
اللّه أكبر والقلوبُ تُحبُّهم
وبعدْلهم قد كبَّر الحَرَمانِ

ويقول الدكتور خاطر في يوم دخول عبدالعزيز «حائل» في صفر سنة 1340هـ/1931م:

دخل المدينةَ بين إخوةِ دربِه
عبدالعزيز برفقة الإخوان
وسعى الغضنْفرُ في شوارعِ «حائلٍ»
متأمِّلاً بالشُّكرِ والعرفانِ
سار الهُمامُ كعابدٍ متبتّلٍ
لا سير مُنتصرٍ بغير جنانِ
يُلقي السَّلام على الجميع كأنَّهم
من أهله بتلطف وحنانِ
وكأنّه بين الرياض وأهلها
يسْعى بقلبِ مُؤْمنٍ نشْوانِ
نظر الهُمامُ لدورها متعجّبًا
ومفكرًا في نعمةِ الرحمنِ
واسْتذْكر الميمونُ أيامًا مضتْ
بيْن الأسى في سالفِ الأزمانِ
أيام أنْ راحُوا وراحت قبْلهم
آمالُهم في ظُلمةِ النّسيانِ
فتبسَّم الميمونُ وهو بقلْبه
في غمْرة التفكيرِ في كِتْمانِ

وتحت عنوان: «عبدالعزيز لم يبدأ أحدًا بشرٍّ» يقول:

الكونُ يشهدُ والصّراعِ الدّاني
والصّدقُ والتاريخُ والثقلانِ
وفم البسيطةِ والحياةُ وما بها
والحربُ والأمجادُ والقمرانِ
عبدالعزيز ومن تأزَّر مثله
بعباءة الأمجادِ والإحسانِ
لم يبتدئ أحدًا بشرٍّ بلْ وما
لبس الجسُورُ قلادةَ الطغيانِ
قد عاشَ مقدامًا ولكنْ قلْبُه
مجَّ القتالَ ولاذَ بالغُفْرانِ
عادى كثيرًا فاتكًا لكنَّهُ
زرعَ الصَّفا فوق الرُّبا بحنانِ
وقد امتطى الأخطارَ في هام العُلا
والقلبُ يمْقتُ منْظر العُدْوانِ
القلبُ يمقتُ صادقًا سفكَ الدّما
والعينُ ترْفضُ رُؤيةَ لُمهانِ
كم هبَّ للحرب الضّروسِ وقلبُه
في الذّكرِ يسْعدُ في ضيا القرآنِ
ولسانُ حالِ الصَّقْرِ يهْمسُ قائلاً
ما لي بما صنعَ العُصاةُ يدانِ

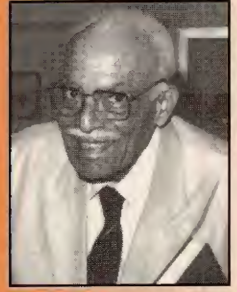
وفي صفات الملك عبدالعزيز يقول:

عبدالعزيز ومنْ تأجَّجَ مثْلُهُ
بالحبِّ فياضًا بكُلِّ حنانِ؟
عبدالعزيز ومنْ توشَّحَ مثْلُهُ
بالعدْلِ مقْدامًا وبالإحسانِ؟
عبدالعزيز ومنْ تأزَّرَ مثْلُهُ
بالقسْطِ يحكمُ بلْ وبالميزانِ؟
عبدالعزيز ومنْ تسرْبلَ مثْلُهُ
بتقى الكريمِ العبقريِّ الحاني؟
عبدالعزيز ومنْ تواضعَ مثْلُهُ
خفضَ الجناحَ غضنفرُ الميدانِ؟
ضرب الغرورَ بسيْفه في قوة
فغدا قتيلاً هامدَ الجُثْمانِ

ويقول عن الشعب السعودي:

شعبٌ سعودي فريدٌ بالوفا
والنُّبْلِ والأخلاقِ منْذُ زمانِ
شعبٌ سعودي يطيرُ إلى السُّها
كالباز عانقَ ساحةَ الطيرانِ
شعبٌ سعودي ربيبُ المجد قدْ
عشقَ الأخوةَ في رُبا الإيمانِ
وسعى السعودُ به إلى متن العُلا
فقضى السعودُ على دُجى الدَّبرانِ
الشَّعبُ يتْبعُ خطْوهُ في عزّة
وخطاهُ نورٌ شعَّ في البُلدانِ
المجدُ يتبعُ ظلَّهُ في نشوة
مُتأزِّرًا باليُمْنِ والإحسانِ
والسَّعْدُ يسْعى خلْفهُ متوشّحًا
بالحبِّ بين مرابضِ الفُرْسانِ
حتّى بدا فوق البسيطة شعْبُه
متفرِّدًا بخلائقِ الإنسانِ
عبدالعزيز أرادها عربيَّةً
وسعُودُها للمجْد أعظمُ بانِ
فبدت على وجه الثُّريَّا بالضّيا
والحبِّ والإشراقِ واللمعانِ
عربيَّةٌ بين الشقيقات انبرت
للمجدَ خلْفَ سُعُود في إتقانِ
وبنُو الجزيرة خلْفَ من رفعَ اللّوا
بالحقِّ خفّاقًا بكُلِّ مكانِ

الإيمان اليهودي غير الصهيونية!



د. حسن ظاظا

«إيرفين موسكوفيتش» أمريكي - على اسمه الروسي العريق - ومن أغنى أغنياء العالم، لم يعد يدري كم من (المليارات) حجم ثروته. وهو يهودي، ومن حقه أن يكون كذلك أمام الله وأمام الناس، لأن الله يعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، والإنسان يأسره الإحسان، وينفره الطغيان. وهنا نصل إلى مربط الفرس كما يقولون. فالرجل المذكور لا يعيش في إسرائيل - لسوء حظ جابي الضرائب في إسرائيل! - ولكن أريحيته تجود ببعض الفتات على أولئك الصهاينة المفاليك. ولأن الغرام بالدعاية والإعلان وباء يصيب الأغنياء، إلا من عصم الله، فإن هذا الرجل (تبرع) بشراء بيتين في (رأس العمود) في شرق مدينة القدس لتكون هذه الصفقة شفيعاً له - لا في يوم القيامة، لأنه غير متأكد من ذلك اليوم - ولكن لإسكات كلاب الصهيونية الجائعة عن إزعاجه بمطالبها. فإذا قلنا له: إن في هذه الصفقة إزعاجاً أكيداً للعرب، فرك يديه سروراً وانبساطاً وسأل: وما عليَّ من العرب؟ ليذهبوا إلى الشيطان! فإن قيل له: إنهم أقارب بقية العرب المنتجين للبترول! قفز من فوق كرسيّه الوثير وهو يقول: آه! الآن فهمت! وفهمت أيضاً تردد نتن - ياهو في التحمّس لهذه الصفقة، وقد ظننت أنه سيرحب بها، ويشجعني حتى أشتري لأولئك التعساء المنطقة الفاصلة بين جبل أبو غنيم، ومنطقة رأس العمود، وجَعْل ذلك كله مشروعاً عالمياً استثمارياً عمرانياً يُسمّى - مثلاً - يعني - مستوطنة موسكوفيتش!

الصهيوني في فلسطين.. نوعان!

وربما كانت ملاحظة رئيس الوزراء الصهيوني أن هدف التوسع الاستيطاني سببه زيادة عدد السكان مع الزمن في إسرائيل! لكن - على حد علمي - أن مجموع سكان إسرائيل يدور حول أربعة ملايين ربعهم عرب من المسلمين والنصارى. أي إن عدد اليهود المقيمين في إسرائيل لا يزيد على ثلاثة ملايين إلا قليلاً، على حين يعيش في العالم - خارج إسرائيل - أكثر من عشرة ملايين من اليهود. وكان الزعيم الصهيوني «دافيد بن غوريون» يرفض دائماً عمل دستور للدولة الصهيونية التي أنشأها، ويقول: لابد أن يتجمع فيها ما يمكن أن يحتل أغلبية عددية من اليهود حتى نُخرج دستوراً تصوّت عليه الأغلبية! وهو كلام لم يتحقق حتى الآن! لماذا؟ أسباب ذلك كثيرة، لعل أهمها أن الإنسان إذا وجد الرزق والأمن والكرامة في مكان ما فإنه لن يرحل عنه. ثم إن «اللاسامية» أصبحت الآن تحاصر الصهيونية في عقر دارها - في فلسطين - لماضيها الإجرامي مع العرب وحاضرها أيضاً. كذلك يرى المواطن الإسرائيلي أبناء جلدته، وقد جاؤوا للسياحة، فيتحسر على نفسه، لأنه يشعر أن مستوى معيشته أدنى من الخدم عندهم، وقبل هذا كله تعبير وجه اليهودي من خارج (الوطن الصهيوني): الأمن، الرضا، الأمل في الأفضل، يعكس جحيم البغضاء عنده! ذلك أن الصهيوني في فلسطين نوعان: الأول مُسيَّس يلذ له أن يأكل لحم أخيه - الفلسطيني - ميتا ومشويا بالنار أو بضرب السياط، أو ملقى للكلاب بعد أن يكون قد مات جوعاً وقهراً ومرضاً وحرماناً في السجون الصهيونية، وقد حول نتن - ياهو فلسطين العربية كلها إلى سجن رهيب، خال من الماء والغذاء والكساء والاتصال بالعالم الخارجي.

المخدوعون في الصهيونية

وتبدو تلك الممارسات الوحشية تحت العين الفاحصة، البريئة من اللاسامية، أو كراهية اليهود أو التعصب ضدّهم - فضلاً عن محاربتهم أو نيلهم بأي أذى - تبدو تلك الممارسات أشبه بالنازية الهتلرية منها بالروح اليهودية الطيبة المتحررة الذكية. وأفكّر الآن بأولئك العباقرة اليهود الذين غرّتهم دماثة الصهيوني في بداياته فقرّبوه وأحبوه. تبرع لهم المستشرق اليهودي النمساوي «إجناتس جولدسيهر» بمكتبته الكاملة بعد موته، وهي مكتبة حافلة بأندر الكتب العربية والإسلامية، وكان قد قرأ معظمها، وملأ هوامشها حواشي دقيقة، وتشكلت لجنة في الجامعة العبرية بالقدس لجمع ما يصلح للنشر من تلك التعليقات. كما تبرع طبيب الأمراض النفسية سيغموند فرويد بمكتبته لهذه الجامعة أيضاً، وكذلك المستشرق «فايل» الذي كان عالماً متبحراً في النحو العربي، وهو أول من نشر كتاب «الإنصاف في مسائل الخلاف» بين نحاة البصرة والكوفة، وكان متبحراً في اللغتين التركية والفارسية وآدابهما، وهاجر إلى فلسطين - من هولندة - فعينوه أستاذاً للغات الشرقية الإسلامية في الجامعة العبرية ومديراً للقسم الشرقي في المكتبة العامة للجامعة.

كان أولئك المخدوعون في الصهيونية - وكثير من نظرائهم - يعتقدون أن الصهيوني رسول تقدم وسلام وازدهار وحرية لمنطقة الشرق الأوسط كلها. ولو قاموا اليوم من قبورهم لانضموا إلى أطفال الفلسطينيين في رجم الصهاينة بالحجارة. والدليل الواضح الآن هو أن قطاعاً كبيراً من (المواطنين) اليهود ينظمون المسيرات والاجتماعات، وينشرون البيانات والاحتجاجات على المعاملة الظالمة الوحشية التي ترتكبها الحكومة الصهيونية كل يوم في حق السكان العرب مسلمين ونصارى. وليست هذه الظاهرة وليدة اليوم، فقد بدأها الأستاذ الدكتور إسرائيل شاحاك منذ أكثر من ثلاثين عاماً مضت، وصدر له كتاب يحتوي على مجموع قضايا الاغتصاب الصهيوني لأملاك العرب في القدس

وبقية فلسطين، ونشره في باريس باللغة الفرنسية، وطبع الناشر - وهو يهودي فرنسي - على غلاف الكتاب عبارة «مؤلف هذا الكتاب مرشح للاغتيال بأيدي الصهاينة». وبعد قليل من صدور الكتاب لم يتعرض شاحاك للاغتيال، بل تعرضت المطبعة للنسف بالديناميت، وكان صاحبها قد أمّن عليها في شركة تأمين «صهيونية». أما إسرائيل شاحاك فقد لقيته بعد سنين في باريس، وأخبرني أنه كوّن جمعية من المحامين للدفاع عن حقوق المواطن العربي أمام المحاكم الإسرائيلية مجانًا، لأنه رأى أن حقوق العرب تضيع يأسًا أو عجزًا ماليًا أو خوفًا من ظلم القضاء اليهودي.

من الذي يصلح رمزًا للسلوك اليهودي؟

والآن أشعر أن سؤالاً يطرح نفسه عليّ، ولا أكاد أجد له جوابًا هو: ما علاقة الفكر الديني اليهودي بالوحشية الصهيونية؟ وإذا كانت طبيعةً في الدين اليهودي فلماذا ثار عليها الكثير من اليهود؟ وأي الرجلين يصلح رمزًا للسلوك اليهودي: أيوب نبيّ الصابرين؟ أم شمشون رمز العنف والقوة والجبروت؟ المسيح عيسى بن مريم الذي يمثل الرحمة والعدل والتسليم بقضاء الله؟ أم المحارب اليهودي «بَرْكوكبا» الذي حارب حتى قُتل أمام الجيش الروماني الذي أرسله إيلايوس هدريان إمبراطور الرومان، فدمّر أورشليم، وسوّاها بالأرض، وطرد اليهود من فلسطين كلها فبقوا مشتتين في الأرض حتى عام 1948م إذ قامت لهم هذه الدولة الصهيونية الجديدة؟

كان بركوكبا القديم هذا قد اشتهر بمغامراته في القتال، ولجأ إلى قلعة «بيتا» في جنوب القدس؛ فحاصره الجيش الروماني هو وأعوانه الذين كانوا يرون فيه المسيح المخلّص المنتظر، إلى أن تم القضاء عليهم جميعًا. وزعم بعض هواة البطولات العنيفة - وما أكثرهم بين اليهود - أنهم (انتحروا) جميعا قبل أن يقتحم الرومان القلعة، وقال آخرون إن القلعة كانت تقاوم الرومان حتى فتحها جنود القيصر هدريان، وأجهزوا على كل من بقي فيها من اليهود. وما إن سمع بذلك الذين كانوا يرون في هذا الزعيم المحارب المسيح المخلص المنتظر عادوا فكفروا به، لدرجة أن أكثر كتب التاريخ التي بين أيدي التلاميذ في إسرائيل تخلو من ذكر بَرْكوكبا أو تمرّ عليه بسرعة واختصار، لأنه لم ينتصر!

لكن «شمشون» أيضًا لم ينتصر! فلماذا بقي رمزًا للبطولة اليهودية المخيفة إلى الآن؟ مع أن عددًا كبيرًا من اليهود الذين رَوَوا أخبار بني إسرائيل الأول، عندما كتبوا أخبار أبطال بني إسرائيل في عصر القضاة، وهو عصر قديم جدًا يأتي مباشرة بعد سيرة موسى وفتاه وخليفته «يوشع بن نون» عليهما السلام، وهي حقبة طويلة من تاريخهم، تبدأ في القرن الثاني عشر قبل ميلاد المسيح، وتستمر قرابة قرنين من الزمان، عندما تأسست مملكة اليهود وجلس على عرشها «شاؤول» ثم خلفه «داود» عليه السلام، بعد موته منتحرًا! كانت حقبة عصيبة، كلها حروب من الكنعانيين (الفلسطينيين القدماء). ويبدو أن بني إسرائيل، والكنعانيين الفلسطينيين، وكذلك المؤابيون والإدوميون في شرق الأردن، كانوا يتكلمون لغة واحدة، مما سهّل عليهم التسلل، كل فريق في حوزة الآخر. ومنذ أول تسلل إلى فلسطين من الجانب الإسرائيلي، نزل الجواسيس في بيت يُدار للدعارة خارج قلب مدينة أريحا، واتفقوا مع «رحاب» - إحدى نساء أريحا - على تسهيل مهمة الغزاة في مقابل عدم المساس بها أو بمن في بيتها إذا دخل بنو إسرائيل المدينة. وأقاموا في البيت أيامًا لا يشعر أحد بأنهم (أجانب)؛ ذلك أن مجموعة اللغات السامية الشمالية الغربية: الكنعانية والعبرية والفينيقية والمؤابية والإدومية لم تكن قد انفصلت بعضها عن بعض إلا بالطقوس الدينية: التوحيد الموسوي والشرك الكنعاني والمؤابي والفينيقي والإدومي، ثم تسلسل أنساب القبائل، والطابع الغالب على الحضارة: حربية، أو رعوية، أو زراعية، أو بدوية متحركة في تلك الصحراوات.

ولما كان شمشون «منذورا» لخدمة الرب - رب إسرائيل - وكان - مع ذلك - شابا مُحبًا للنساء جدا، فقد نشأت في سيرته (عقدة) هي التي ساقته إلى الوقوع في أيدي الأعداء - الفلسطينيين -، لوقوعه في حب فلسطينية فاتنة هي «دليلة». ولا أريد أن أستبق الحوادث بل أبدأ من البداية.

قال الراوي: (وهذا الراوي هو «العهد القديم» اليهودي، في سفر القُضاة. وقد سبق لي مرارًا أن أشرت في مقالات عدة بمجلة الفيصل إلى أن القضاة هنا، هم في الغالب زعماء حرب ضد جيران بني إسرائيل، لا قانون لهم، ولا فكرة واضحة عن شريعة أو عدل، وقد ألحق الرواة اليهود شمشون بالقضاة على مضض لأنه عشق امرأة فلسطينية، ولأنه أسلمها قياده حتى تمكن الفلسطينيون من أسره وسجنه في غزة حتى هلك هناك. ففي نظر شيوخ اليهود هو ليس من شهداء الأمة بقدر ما هو من شهداء الغرام!).

> من الذي يصلح رمزًا للسلوك اليهودي: أيوب نبي الصابرين، أم شمشون رمز الجبروت؟ عيسى بن مريم رمز الرحمة والعدل، أم بركوكبا رمز الوحشية؟

قال الراوي في سفر القضاة، الفصل الثالث عشر، في أوله: «وعاد بنو إسرائيل فعملوا الشرَّ في عيني الرب، فأسلمهم الربّ إلى قبضة الفلسطينيين أربعين سنة، وكان رجل من أهل «صُرْعَة» من قبيلة «دان» الإسرائيلية اسمه مَنُوح. وكانت امرأته عاقرًا، لم تلد، فتجلى لها مَلَكُ الرب وقال لها: أنت عاقر، لم تلدي، ولكنك ستحملين وتلدين ابنًا (الجمل 1-4). ولاحظ المحدثون من دارسي الأساطير اليهودية أن الذوق القصصي عندهم يجعل ولادة البطل محفوفة دائمًا بأخطار وأهوال ومخاوف. فإذا كان موسى عليه السلام نجا من الذبح، ومن الغرق بمجرد ولادته، والمسيح عيسى بن مريم عليه السلام وُلد في مذبحة للأطفال، وبإرادة الله - من غير أب - ونجا من الذبح على يد هيرودس، حاكم أورشليم الأردني من قبل الإمبراطور الروماني، وإبراهيم عليه السلام نجا من النار.. ومعجزات كثيرة كرّم الله بها بعض الأبطال المقرّبين، إلا أن الرواة اليهود أطنبوا فيها وأسهبوا.

ويستمر الراوية في قصة نصائح مجربة للأمّ الحامل، فيقول: «والآن، احترسي! ولا تشربي خمرًا، ولا مُسكرًا، ولا تأكلي طعامًا نجسًا، لأنك ستحملين وتلدين ولدًا، ولا يعلُونّ رأسه الموسى، لأن الصبي يكون منذورًا لله من بطن أمه، ويبدأ بإنقاذ بني إسرائيل من أيدي الفلسطينيين. فجاءت المرأة وكلمت زوجها وقالت له: جاءني رسول من الله، شكله كهيئة مَلَك الله، ومنظره رهيب جدًا، وأنا لم أسأله من أين هو. ولم يخبرني هو باسمه. وقال لي: إنك ستحملين وتلدين ابنا. والآن لا تشربي خمرًا ولا مسكرًا، ولا تأكلي طعامًا نجسًا، لأن الصبي سيكون منذورًا لله من بطن أمه إلى يوم وفاته! فتوسل مَنُوح إلى الرب قائلا: أتوسل إليك، يارب! أن يعود رجل الله الذي أرسلته إلينا، فيعلمنا مانصنع بالصبي المولود! فاستجاب الله دعاء مَنُوح، وأتى ملكُ الله إلى المرأة وهي في الصحراء، ولم يكن زوجها معها، فانطلقت المرأة تجري، وأخبرت زوجها قائلة له: قد تجلّى لي الرجل الذي كان قد جاءني في ذاك اليوم! فقام مَنُوح مسرعًا في إثر زوجته، وأقبل على الرجل وقال له: أنت الرجل الذي تكلم مع المرأة؟ فقال: أنا هو! فقال مَنُوح: والآن، إذا تحقق قولك، فكيف يجب التصرف في أمر الصبيّ؟ وما العمل الواجب

الإيمان اليهودي غير الصهيونية !

له؟» (سفر القضاة 13:4-12) ثم يكرر هذا الرجل العجيب ما أوصى به المرأة، ثم دعاه زوجها إلى ذبيحة يكرمه بها، فرفض وأمره أن يحرق الذبيحة قربانًا (صعيدةً) لله، «لأن مَنُوح لم يكن يعلم أنه من ملائكة الرب» وقال له مَنُوح: ما اسمك؟ حتى إذا تم قولك أكرمناك! فقال له ملاكُ الربّ لِمَ سؤالك عن اسمي، وهو اسم عجيب! فأخذ مَنُوح جديَ الماعز، والتقدمة (وهي شيء من الدقيق أو الخبز مع بعض الدسم يُقدمونه لله مع الصعيدة) وأصعدهما للرب على الصخرة (المذبح)، فعمل الملاك عملاً عجيبًا، ومَنُوح وزوجته ينظران، إذ عند ارتفاع اللهب عن المذبح إلى السماء، صعد ملاك الرب عن المذبح نحو السماء في لهب النار حتى اختفى وما عاد يتجلى لهما. وقال مَنُوح لامرأته: إننا سنموت لأننا رأينا الله عيانًا (وهي عقيدة عندهم أن من رأى الله عيانًا صُعِقَ) فقالت المرأة لزوجها: لو كان الرب يريدنا أن نموت لما قَبِل من أيدينا محرقة ولا تقدمة، وما كان ليرينا هذا كله ويسمعنا مثله الآن! وولدت المرأة ابنا وسمته شمشون (وهو اسم مشتق من كلمة «شمش» الكنعانية العبرية التي تعني الشمس بالعربية). فهل كان ذلك لأن مَنُوح وزوجته كانا يربطان إلههما بشروق الشمس، ويقدسانها لأنهما يتجهان إليها في صلاتهما طبقًا للشريعة الموسوية؟ أم لأن الشمس كانت من رموز القوة عند القدماء المصريين (رع) إله الشمس، والعرب (عبد شمس)، والفرس (كان كسرى يُشبَّه بالشمس)، وكذلك الشرق الأقصى كاليابان (بلاد الشمس المشرقة)، والأزتيك (في أمريكا الجنوبية قديمًا)، وما لا يُحصى من الأمم في جميع البلاد الحارة والباردة.

البطش اليهودي من القديم إلى الحديث

وربّ سائل من قرائي الكرام يستعجلني بإيضاح لاسم عشيقة شمشون وحبيبته: دليلة. ويبدو لي أنها ترتبط بالمادة الاشتقاقية الثلاثية (د ل ل) التي تدل في الكنعانية والعبرية على الفقر، وهو معنى قريب من الذُّل في العربية، ومنه جاء «الذلول» وهي دابة الركوب المطيعة، وتكون دليلة في الأسماء الفلسطينية الكنعانية القديمة بمعنى التي أذلّها الغرام وأخضعها البطل «شمشون» لإرادته ـ في الظاهر فقط ـ ثم أوقعت به وأسلمته إلى قومها الفلسطينيين في غزة، فأسروه وأعمَوْا عينيه. وهذه هي الملاحظة الوحيدة التي وردت في التلمود البابلي (باب «سوتا» أي المرأة المتهمة في عفتها)؛ إذ يقول أحد شيوخ التلمود: إن شمشون عوقب بخرق عينيه لأنه رفعهما نحو امرأة غريبة. ولو كان هذا التلمودي حيًا لسألناه: ما بال زبائن الغواني في آفاق العالم أجمع الآن لا يصابون بالعمى؟ وربما قال: إن عمى الأبصار هيّن، أما عمى البصائر (القلوب التي في الصدور) فأمر آخر!

وأعود إلى سيرة شمشون أعظم الرموز الأسطورية، والمثل العليا التي يحتذيها قادة الصهيونية منذ عهد شمشون إلى قوة البطش التي نزلت بكل ثقلها على اليهود من الإمبراطور البابلي بختنصر، واليوناني أنطيوخوس إيبفانس ملك أنطاكية بسورية، ثم تيتوس وفسباسيان وهدريان من أباطرة الرومان، ثم محاكم التفتيش النصرانية الكاثوليكية في أوربا العصور الوسطى، ثم حركات اللاسامية الأوربية في القرون الأخيرة، ثم اللاسامية الهتلرية التي ظلت تطارد اليهود وتقتلهم بمئات الآلاف طوال حكم هتلر في ألمانيا ثم في أوربا كلها، وبعد هزيمته ظن الناس أن اللاسامية قد انتهت إلى الأبد، فإذا بها تعود من جديد في أوربا والأمريكتين مما يُعرف بالنازية الجديدة، وهي دعوة إلى معاداة الأجانب جميعا ـ لا اليهود فقط ـ، إذ تنال بأذاها المسلمين والهنود والأفارقة السود وغيرهم من الأمم، وكأن قوة البطش الشمشونية عادت إلى العالم في صورة مصقولة، ونسخة محسّنة، تغذيها الغطرسة الصهيونية في فلسطين، حيث يظن كل متعصب صهيوني أنه خليفة شمشون في الأرض وفي ترويع الآمنين، ولن يكون مصير هؤلاء بأحسن من مصير شمشون الذي يبدو من سيرته أنها أسطورة، كما سنرى، وأسطورة مسروقة من أسطورة بابلية قديمة، أسطورة «جلجامش» صاحب القوة والبطولة الذي ظل ينتقل من مغامرة إلى مغامرة، ويقاتل السباع والوحوش والجن، ثم خدعته «عشتروت» إلهة الحب والجمال والإغراء البابلية؛ فتبعها فألقته في قاع حفرة من الجحيم. وهذا موضوع للمقارنة لمن شاء أن يؤلف كتابا أو يعد بحثا عن فكرة البطولة وتطورها. وأعتذر من هذا الاستطراد المنبوذ (منهجيًا) ولكنه كثيرًا ما يفرض نفسه ثمنًا للوضوح، وفتحًا لشهية البحث والاستقصاء.

تاريخ مستمد من مسامرات خيالية!

ونعود إلى أسطورة شمشون في العهد القديم فنقرأ: «وكبُر الصبيّ، وباركه الربّ، وأخذ روح الرب يحرّكه في مَحَلّة «دان» (شمال فلسطين) بين صُرعة واشتاؤول» (القضاة 13:24، 25).

ثم يمضي راوية السيرة إلى قصة وقوعه في حب «دليلة» فيقول: «ونزل شمشون إلى تمنة، فرأى في تمنة امرأة من بنات فلسطين، فصعد وأخبر أباه وأمه قائلاً: رأيتُ في تمنة امرأة من بنات الفلسطينيين فاخطباها لي زوجة!! فقال له أبوه وأمه: أليس في بنات إخوتك من شعبنا كله امرأة، حتى تذهب وتأخذ امرأة من الفلسطينيين القُلْف (أي الذين لا يختنون أولادهم الذكور، كناية عن غير اليهود أو الكفار)! فقال شمشون لأبيه: بل تخطبها لي، لأنها راقت في عيني. ولم يعلم أبوه وأمه أن هذا من تقدير الربّ، وأنه كان يقدر أمرًا على الفلسطينيين. وكان الفلسطينيون في ذلك الزمان متسلطين على إسرائيل!!» (القضاة14:1-4).

ونقف هنا دهشين، فإن هذه الحوادث جاءت بعد فتوحات «يوشع بن نون»، وبعد أن هزم جميع أمراء فلسطين في شمالها وجنوبها، وعددهم واحد وثلاثون (مذكورون بأسمائهم وإماراتهم ووقائعهم في سفر يوشع بن نون، مع تقسيم كل أسباط بني إسرائيل بحدود هذا التقسيم، وما فيه من المدن والبلدان!!) وبعد حروب ضد الفلسطينيين ـ وكلها حروب منتصرة مظفرة ـ شنها بعد يوشع بن نون أحد عشر من أولئك القضاة ـ قبل شمشون ـ بين عامي 1151 قبل الميلاد إلى 1111قبل الميلاد؛ أي على مدى ستين سنة من الحروب ضد الفلسطينيين، إذ كان بعض القوّاد والقضاة من بني إسرائيل متعاصرين، وكل يحارب في جبهة قتال. وأولئك الفلسطينيون مازالوا ـ إلى يومنا هذا ـ يقاومون إسرائيل!!

وشمشون ـ الذي وصفه العهد القديم بأنه مقدّس بأمر الله ـ، كان آخر أولئك القضاة، ولم يأت بعده إلا «صمويل» الذي يصفه اليهود بأنه آخر القضاة وأول الأنبياء، ومؤسس مملكة شاؤول، أول مملكة يهودية في فلسطين عام 1090ق.م! صحيح أن عددا من أولئك القضاة كان يحارب الفلسطينيين عندما كان شمشون أسيرًا في غزة عند الفلسطينيين؛ اشتهر منهم يفتاح وإبصان وعجلون، وانتهت السلسلة بالقاضي الخامس عشر وكان اسمه «عبدون» ومات قبيل موت شمشون في غزة.

ولنعد إلى هذه المسامرات القصصية، مادام اليهود يستمدون منها مادة لأحلام

شمشون والقضاة الذين سبقوه كانوا إرهابيين، وليسوا أصحاب شريعة. وقد جعلوا من الفلسطينيين هدفًا للقتل والتشريد والتخريب والتجويع!

البطولة التي لا تـفتـأ تضـربهم مـثل أزمـات الحـمّى، فيرفضون السلام، ويقتلون ويدمرون، ثم تدور عليهم الدوائر، لأنهم ـ كما وصفهم أنبياؤهم ـ ذرّية يابسة الرأس غليظة الأعناق، إلاّ من هدى الله ورجع عن شهوة التحكم والغطرسة في الأرض، وهم بحمد الله الآن الأكثرية في العالم، حتى في إسرائيل نفسها.

ويستمر الراوية لسيرة شمشون فيقول: «فنزل شمشون وأبوه وأمه إلى تمنة. ولمّا بلغوا كروم تمنة واجهه سبعٌ من الأسود يزأر في وجهه، فحلت عليه روح الربّ ففسخه كما يفسخ الجدي! ولم يكن في يده شيء، ولم يخبر أباه وأمه بما فعل (ويبدو أن زئير هذا الأسد لم يسمعه أحد، لا أبوه ولا أمه، ولا فلسطيني من أهل تمنة.. لكن لا نقاطع راوية المعجزات!) ثم نزل وقابل المرأة التي أعجبته، وبعد أيام، عاد ليخطبها، وعرّج لينظر إلى جثة الأسد، فإذا فيها خلية نحل وعسل! فنال منه على كفه، ومضى وهو يأكل منه، وجاء أباه وأمه وأعطاهما، فأكلا ولم يخبرهما أنه من جيفة الأسد اشتار العسل! (وقد سألت متخصصا زراعيًا في تربية النحل فأجاب بأن هذه الحشرة تنفر من أية رائحة سيئة مهما كانت خفيفة، ولا تنزل إلا على الأزهار، ولا تنجذب إلا إلى الزكيّ من الروائح، وعمل النحلة خليتها في جيفة غير وارد عقلاً وتجربة، إلا أن يكون الرب صنع معجزة أخرى على يد شمشون.. ولكن لماذا؟!)، ونزل أبو شمشون إلى المرأة، وأقام شمشون هناك وليمة على عادة الخاطبين، ولما رآه قومها أحضروا ثلاثين صاحبًا ليكونوا معه، فقال لهم شمشون: سأخبركم بلغز فإن عرفتم حلّه في سبعة أيام أعطيتكم ثلاثين قميصًا وثلاثين كساءً من الثياب. وإن لم تقدروا على حلّه أعطيتموني ثلاثين قميصًا وثلاثين كساءً من الثياب. فقالوا له: ألْقِ لغزك لنسمعه. فقال لهم: خرج من الآكل أكل، ومن الكاسر حلاوة. فلم يقدروا على الحلّ في ثلاثة أيام. فلما كان اليوم السابع قالوا لامرأة شمشون: خادعي زوجك حتى يحلّ لنا اللغز، وإلا أحرقناك وبيت أبيك بالنار! هل دعوتمونا لتسلبونا؟ فبكت امرأة شمشون بين يديه وقالت له: أنت تكرهني ولا تحبني؛ إذ ألقيت على أبناء قومي لغزًا ولم تطلعني عليه! فقال لها: إنّي لم أطلع عليه أبي وأمي، فلماذا أطلعك عليه؟ فظلت تبكي عنده سبعة أيام الوليمة، إلى أن كان اليوم السابع فأطلعها عليه لأنها كانت قد ضايقته، فأطلعت بني قومها على الحلّ. ففي اليوم السابع، قبل غروب الشمس قال رجال المدينة: أي شيء أحلى من العسل، وأي شيء أشد شرًا من الأسد؟ فقال لهم: لولا إنكم جريتم على عجلتي (مَثَلٌ ضربه شمشون لكشف السرّ من زوجته) لم تكتشفوا لُغزي! وحلت عليه روح الرب فنزل إلى عسقلان، وقتل منهم ثلاثين رجلاً، وسلب ثيابهم وأعطى هذه الثياب لكاشفي اللغز! واشتد غضبه، ورجع إلى بيت أبيه. وآلت امرأة شمشون لصاحبه الذي كان يرافقه! (وبهذا ينتهي الفصل الرابع عشر من سفر القضاة). وفي الفصل التالي تبرز عداوته للفلسطينيين:

«كان ذلك في موسم حصاد القمح، فزار شمشون امرأته بهدية هي جدى من الماعز وقال لأبيها: أدخل على امرأتي في حجرتها! ولكن أباها منعه من الدخول، وقال له: إنك أنغصتها، فزوجتها لرفيقك! ولكن هذه أختها الصغرى، أجمل منها، فخذها بدلاً منها! فقال لهم شمشون: أنا الآن بريء من الفلسطينيين حين أصيبهم بشرًا! وانطلق شمشون واصطاد ثلاثمئة ثعلب (والظاهر أن هذه الحيوانات هي من بنات آوى لا من الثعالب، لأن الثعالب كانت ـ ومازالت ـ نادرة في فلسطين)، ثم أخذ مشاعل وربط ذنب كل اثنين من بنات آوى الواحد إلى الآخر، وثبّت بينهما هذه المشاعل، ثم أوقد المشاعل، وأطلقها في زرع الفلسطينيين، فاحترقت الأكداس من الحصاد وسائر الزرع، حتى الزيتون! وتساءل أهل فلسطين: من فعل هذا؟ فقيل: شمشون، صهر رجل من «تمنة» لأنه أخذ زوجته وزوّجها لصاحبه!» (القضاة 15:1-6).

واحتدم النضال بين الفلسطينيين وبني إسرائيل. ونلاحظ أن الاعتداء على الأرض، وتجويع السكان ليس جديدًا على الصهيونية؛ بل هو (سُنّة) ورثوها من بطلهم الأسطوري شمشون، منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام! وكانت الحرب سجالاً بين شمشون والفلسطينيين، وتحصّن في مغارة في الصخر. واتجه الفلسطينيون نحوه ومعهم ثلاثة آلاف رجل من يهوذا (يهود جنوب فلسطين) وقالوا لشمشون: أما تعلم أن الفلسطينيين متسلطون علينا؟ فلماذا فعلت بنا ذلك؟ وأرادوا تسليمه للفلسطينيين، وحاصروه وقبضوا عليه بنية تسليمه للفلسطينيين. فأوثقه يهود يهوذا بحبلين متينين. فلمّا وصل إلى مساكن الفلسطينيين هللوا عند لقائه، فحل عليه (روح الربّ) فقطع الحبلين وكأنهما كتان مسته النار. ونظر شمشون حوله بعد أن تحرر من وثاقه، فرأى فك حمار ميت فتناوله وقتل به ألف رجل!! ولما انتهى رمى بلحي الحمار من يده، ودعا هذا المكان «رامة لَحْي» أي مرتفع فك الحمار! وأحس بعد ذلك بالعطش الشديد فشق الله الفك ونبع منه ماءٌ عذب: «فشرب وارتدت إليه روحه، وعاش. ولذلك سُمّي هذا المكان «عين الداعي» وهي في لحي، إلى هذا اليوم!» (القضاة 15:19). وعبارة الراوية «إلى هذا اليوم» تدل بوضوح على أن هذه السيرة بعيدة العهد جدا من ذلك الراوية. كما أننا نشعر أنها «سيرة» بطولة خيالية، تجمع ـ هي وأمثالها ـ سمّار الليالي قديمًا، قبل التلفاز، وأشرطة الفيديو، والسينما، بآلاف السنين، والذي أدخله في عداد القضاة من بني إسرائيل هذا الراوية نفسه ـ وهو غير ضابط ولا ثقة ـ إذ يختم هذا الفصل بقوله: وكان قاضيا على إسرائيل في أيام الفلسطينيين عشرين سنة (القضاة 15:20) وعبارة «في أيام الفلسطينيين» تشير إلى أن هذا الراوية كان يكتب (بعد أيام الفلسطينيين)؛ ربما في أيام الحكم الفارسي، أو اليوناني، أو الروماني؟ والله أعلم.

ثم انطلق شمشون إلى غزة، فصادف هناك امرأة من البغايا، فدخل عليها؛ فقيل لأهل غزة إن شمشون ها هنا! فأحاطوا به، وكمنوا له طول الليل عند باب المدينة. والتزموا السكون الليلة كلها، قائلين: عند بزوغ الفجر نقتله. فرقد شمشون إلى منتصف الليل، ثم قام في وسط الليل فأخذ مصراعي باب المدينة بعضادتيه، وقلع الباب ومفاصله وحمله على كتفه وصعد به إلى رأس الجبل المقابل لحبرون (الخليل). وكان بعد ذلك أنه أحب امرأة في «وادي سوريق» اسمها «دليلة». فصعد إليها كبراء الفلسطينيين وقالوا لها: خادعيه وانظري من أين قوّته العظيمة هذه، وكيف نتمكن منه حتى نوثقه، ونقهره؟ ونحن ندفع إليك ألفًا ومئة قطعة فضة من كل واحد منا. فقالت دليلة لشمشون: أخبرني بأصل قوّتك الهائلة، وبماذا تشدّ وثاقك حتى تُقهر؟ فقال لها شمشون: إذا قيدوني بسبعة أوتار من عصب جديد طريّ فإنني أضعف وأصير كواحد من الناس. فدفع إليها رؤساء الفلسطينيين سبعة أوتار رطبة لم تجف بعد. فشدته بها. والكمين رابض عندها في المخدع. ثم قالت له: دهمك الفلسطينيون يا شمشون! فقطّع الأوتار كما يقطع الفتيل إذا أحرقته النار. وظل سرّ قوته خفيًا! (القضاة 16:1-10). ثم تكررت تجارب دليلة على شمشون: بالحبال الجديدة الغليظة، وامتحنته بنول النسيج المقوى في خيوطه بالشعر البشرى، لكن عبثًا. واستمرت في الإلحاح

المشرق العربي لم يعرف العنف الجارف إلا منذ قيام إسرائيل، واتباعها خطة العنف والقهر والتآمر المباشر ـ وغير المباشر ـ على الشعوب

عليه، حتى ضاقت نفسه وفضّل الموت على إلحاح دليلة! فباح لها أخيرًا بسرّه «وقال لها: لم يعل رأسي موسى قط، لأني منذور للربّ منذ أن كنت في بطن أمّي، فإن حُلق رأسي فارقتني قوتي، وصرت كواحد من الناس» (القضاة 16:17).

وفيما هو مستسلم لدليلة قصت سبع خصلات من شعره ثم أكمل حلاّق العمل بالموسى؛ وهكذا خانت شمشون قوته. «فقبض عليه الفلسطينيون وقلعوا عينيه، وذهبوا به إلى غزّة وأوثقوه بسلسلتين من النحاس، وكان يطحن الحبوب في السجن. وأخذ شعر رأسه ينبت ويطول ويغزر. وذات يوم اجتمع رؤساء الفلسطينيين في معبدهم الوثني ليقدّموا ذبيحة إلى معبودهم «داجون» شكرًا له على تمكينهم من القبض على عدوّهم شمشون الذي خرّب أرضهم وأمعن في إذلالهم. وعندما رأى الفلسطينيون شمشون مقبلاً، وهو أعمى، هللوا وشمتوا به، وتظاهر هو بمشاركتهم في لهوهم حتى سحبوه وأقاموه بين أعمدة المعبد. فقال شمشون للصبيّ الذي يسحبه: دعني ألمس بيديّ الأعمدة التي يقوم عليها بيت الإله لأنني أريد أن أستند إليها! وكان المعبد غاصًا بالرجال والنساء، وكان هناك جميع كبراء الفلسطينيين، وفوق سطح البناء قرابة ثلاثة آلاف من الرجال والنساء يتفرجون على شمشون وهو يرقص، فدعا ربه قائلاً: اللهمّ اذكرني، وقوّني هذه المرة أيضًا يا إلهي! لأنتقم لعينيّ من الفلسطينيين نقمةً واحدة! ثم قبض على العمودين اللذين في الوسط، القائم عليهما المعبد كله، وضغط عليهما بيمينه وشماله صائحًا: فلتمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بشدّة فسقط المعبد على كبراء الفلسطينيين وجميع الشعب المجتمعين في المعبد، فكان الموتى الذين قتلهم شمشون عند مماته أكثر من الذين قتلهم في حياته! (القضاة - الفصل السادس عشر). ونزل إخوته وجميع أهل بيته فحملوه ودفنوه بين صُرْعة واشتاؤول، في قبر أبيه مَنُوح.

وبهذا تنتهي سيرة شمشون في نص العهد القديم، تحرّيتُ فيها دقة الترجمة، وحذفت ما وقع فيها أحيانًا من تكرار أو تفاصيل لا قيمة لها في صلب القصة، مع الإبقاء على جوّ السياق الأسطوري كما هو حرفيًا. وسيرة شمشون تلقى رواجًا شديدًا في الأوساط الصهيونية، إذ تحكي عملية انتحارية أخذ شمشون فيها ثأره من الفلسطينيين، له ولقومه، لكن.. بمعجزة؛ ظلت فيها ألوان الضربات تُسدد إلى الفلسطينيين بالقتل، والإحراق، والتجويع، وتبادل أعمال التجسس، والتخريب، وابتكار في أساليب القتل الجماعي وإحراق المحاصيل الزراعية والاغتيال (بسلب ثياب ثلاثين فلسطينيًا بعد قتلهم) مما يسيل له لعاب شارون ونتن - ياهو ومن لفّ لفّهم من غلاة الصهيونية، ناسين أن هذه القصة من نسج الخيال، والغالب أنها مستوحاة - كما ذكرنا - من سيرة البطل البابلي جلجامش، مع فارق أساسي، هو أن جلجامش كان يحاول أن يحصل على النبات الذي يأكل منه آلهتهم فلا يمرضون ولا يموتون ولا يشيخون أبدًا. وأن الآلهة التي قدّرت الموت على كل حيّ تولت إفشال مشروعه، وسلطت عليه - بدلاً من دليلة صاحبة شمشون - عشتروت - ربّة الحبّ والجمال والإغراء - التي قتلت جلجامش، وساقته إلى حافة الجحيم ثم قذفت به فيها، وظلّ البابليون، إلى أن انقطع تاريخهم وانطفأت حضارتهم، يحلمون بعودة جلجامش وفي يده غصن من الشجرة المحرّمة لا ليفشي بها الموت والقتل في الناس، بل ليحمي الحياة. ولم يحدث في مغامرات البطل البابلي قتل إنسان، ولكنه قتل أسدًا فتيًا وهو أعزل، من غير سلاح كما فعل شمشون بعده بقرون طويلة، كما صارع جنيًا حتى غلبه، فتوسل إليه الجني أن يطلقه على أن يكون خادمًا له. وكان هذا الجني يسمى «إنكيدو» أي هوْل الأرض. وعفا عنه جلجامش على أن يساعده في طريقه نحو الشجرة التي كان يبحث عنها! وبعد أن فتنته عشتروت، وألقت به في الجحيم، ظل البابليون يهتمون بجميع أنواع النبات، لعلهم يساعدون بطلهم في العثور على الشجرة، مما أعطى دفعة إلى الدراية بالزراعة وعلم النبات، والصيدلة والطب، فبرعوا فيها وسبقوا غيرهم من الأمم المعاصرة لهم.

الإرهاب من قديم الزمان

ومن هذه الموازنة السريعة والسطحية، نشعر بأن هدف شمشون كان ضد مسلك جلجامش، وشتان بين محارب هدفه قتل آلاف الفلسطينيين وآخر هدفه إطالة أعمار الناس جميعًا وحمايتهم من الموت. أما لماذا اخترت الكلام إلى قرائي الكرام عن شمشون، فلأن دور السيرة البطولية - حقيقية أو خيالية - تصبح غذاءً نفسيًا تستمد منه الأجيال التالية اتجاهات في السلوك وقواعد في التعامل. فشمشون مثلاً، والقضاة الذين سبقوه - وقد قلنا إنهم ليسوا بقضاة، ولا أصحاب شريعة، حتى الشريعة الموسوية - كانوا (إرهابيين)، وجعلوا من الفلسطينيين هدفًا للقتل والتشريد والتخريب والترويع والعدوان. وعندما يلوّحون بالسلام على الفلسطينيين والعرب، فعلى كل من يهتم بما هو إنساني في هذا العالم، أن يأخذ ذلك بحذر. ففلسطين على أيام موسى عليه السلام كانت أمة مشركة، رافضة للتوحيد، فأمر باستئصالها واحتلال قومه لها، وكان وقتئذ خارجًا بقومه من مذبحة في أرض الفراعنة، ثم تبين له قبل وفاته أن بني إسرائيل كانوا قد اتبعوه بعقيدة ضعيفة، وإيمان مزعزع، أعربوا بألسنتهم عنه مرارًا وتكرارًا مع موسى نفسه عندما اشتاقوا إلى اضطهاد الفراعنة لهم على أن يأكلوا العدس والبصل والثوم والقثاء وألا يظلّوا سنين (أربعين سنة) يعيشون على المن والسلوى ويعانون من قلة ماء الشرب وفساد طعمه، حتى اختار منهم سبعين رجلاً يعينونه في حكم أولئك الناس، ولما تم له اختيار السبعين لم يكن فيهم رجل رشيد! فارتدت هذه الجموع عن توحيد موسى، وعادت إلى عبادة العجل.

بين السلام والتعاون: أجيال وأجيال!

كان عهد بني إسرائيل يُنقض دائمًا، حتى مع الله سبحانه وتعالى! وكانت نظرتهم دائمًا: ما الفائدة التي تعود على إسرائيل من أي عمل يقوم به قادتهم، دون تفكير في ما قد يعود به ذلك من الضرر على الإنسانية جميعًا. حتى إن أباطرة التلاعب في المال، ومصنعي المخدرات، وسماسرة الأسلحة ومهربيها، وتجار اللذات البهيمية المدمرة - من الميسر والدعارة - وغسل الأموال القذرة يشرف عليه الكثير من هؤلاء، حتى المضاربات التجارية غير الشريفة، والألاعيب المالية والمصرفية المشبوهة كثر فيها المتخصصون من أولئك الناس. وربما كان أفضل من فيهم - وبعض الشر أهون من بعض - هو اليهودي العلماني، لأنه على الأقل يتمسك بقانون يؤمن به، ويتعامل به مع غيره، ويؤمن بأن الاستقامة والعدل وكرم الأخلاق ليست واجبة عليه نحو إخوانه من اليهود فقط، بل هي فضائل إنسانية الناس فيها سواء. ومعاذ الله أن يتجه تفكيري نحو اللاسامية، فهي الوجه الثاني والملازم للصهيونية الأصولية المتطرفة. والشرق العربي والإسلامي لم يعرف العنف الجارف إلا منذ قيام إسرائيل، واتباعها خطة العنف والقهر والتآمر المباشر وغير المباشر على هذه الشعوب، وشعور الآخرين من تلك الشعوب المقهورة إسرائيليًا ودوليًا بأن كيانها كله أصبح مهددًا بالخطر. والسلام مطلب يمكن الاتفاق عليه، أما (التطبيع) وما يتبعه من (التعاون)؛ فضلاً عن الوقوف جنبًا إلى جنب وبإخلاص؛ فأمر يحتاج إلى أجيال، وإلى إصلاح في كل الجذور التي قام بسببها الصراع، وإلى ثقة، وشعور أكيد بفائدة هذا التعاون. والصهيونية على طول تاريخها القديم والحديث مطالَبة بأن تعالج نفسها من عقد الطمع والجشع والكبر واللجوء إلى القوة - الذاتية أو الدخيلة - لنهب الناس والعدوان عليهم وهضم حقوقهم.

قصة قصيدة

فألقت عصاها واستقرتْ بها النوى

د. محمود جبر الربداوي

قال راشد بن عبد ربه السُّلَمي:

صحا القلبُ عن سلمى، وأقصر شأوه(1) | وردّتْ عليه تبتغيه تُماضِرُ
وحَلَّمه(2) شيبُ القَذَال عن(3) الصِّبا | ولَلْشيبُ عن بعض الغِواية زاجرُ
فأقصر جهلي اليوم وارتد باطلي | عن اللهو لَمّا ابيضّ مني الغدائرُ(4)
على أنه قد هاجه بعد صحوة | بمعرض ذي الآجام عِيسٌ بواكرُ
ولّما دنت من جانب الغوط(6) أخصبتْ | وحلّت فلاقاها سُلَيم وعامرُ
وخبّرها الركبانُ أن ليس بينها | وبين قرى بصرى ونجران كافرُ
(فألقت عصاها واستقرتْ بها النوى | كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ)

رائع جدًا السلام بعد الحرب، والأمن بعد الخوف، والطمأنينة في أعقاب القلق، مثلما هي جميلة الراحة بعد التعب، والريُّ بعد الظمأ، والشبع في أعقاب الجوع.

ويظل السلام بعد الحرب أروع هذه الثنائيات، وأجمل هذه المتناقضات، لأن فاعلية السلام لا تصيب فردًا واحدًا فحسب، بل يتعدى شموله الفرد إلى الجماعة، ويتجاوز أثره الرجل إلى القبيلة، بل المدينة، بل الوطن كله. وقلما عاشت أمة عريقة دون أن تتناوب عليها فترات حرب وسلام، ومسالمة وخصام، وقد سجل شعراء كل أمة صور أممهم في وجهيها المشرق والعابس. ولشعراء الأمة العربية أشعار لا تحصى في وصف الحرب، يكفي أن نذكر زهير بن أبي سُلْمَى في معلقته التي خصّ الحرب بقسم منها بدأه بقوله:

وما الحرب إلا ما علمتُم وذقتُمُ
وما هو عنها بالحديث المرَجَّم
متى تبعثُوها تبعثُوها ذميمةً
وتضر إذا ضَرَّيْتموها فَتَضرَمِ

وديوان الشعر الحربي حافل بالقصائد والمعلقات؛ لأن الحياة الجاهلية كرٌّ وفرّ، وقوة وضعف، وصراع على البقاء، واقتتال على وسائل العيش، ولكن سنة الحياة تجعل لكل شيءٍ نهاية؛ فالنار المتأججة تحور رمادًا، والحرب العوان تبتلع الفرسان، وعامل الزمان يُرخي أستاره على المعركة، فيتنادى ذَوُو الرشد مطالبين بالسلام، ويأتي دور الشاعر فيصدح بكلمة السلام ويرفع عقيرته فرحًا قائلاً - بعد نصر أحرزه قومه -:

فألقت عصاها، واستقرت بها النوى
كما قرَّ عينا بالإياب المسافرُ

ذكَّرني هذا البيت الذي ضمّنه راشد بن عبد ربه السلمي الذي وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم أميرًا على القضاء في «نجران» عندما استعمل الرسول أبا سفيان بن حرب على نجران فولاه الصلاة والحرب، أقول ذكرني بقصيدة راشد التي ابتدأها - على عادة شعراء عصره - بالغزل بسلمى، ولكنه أدرك أنه أميرٌ على المظالم والقضاء، وأن القضاء يستلزم الوقار، ولاسيما من رجل وَخَط الشيبُ فوديه (فصحا قلبه عن حب سلمى وتماضر) ولهذا قال متبرئًا من حبهما:

صحا القلب عن سلمى، وأقصر شأوه

وردّت عليه تبتغيه تُماضِرُ

الأبيات السبعة التي أنهاها بتضمينه للبيت: فألقت عصاها...

فالرجل شاب قذاله، وشيبُ القذال آية من آيات الحِلْم وزجر الغواية - كما يصرِّح - ونبذ الجهل والباطل واللهو وكل غوايات الشباب. والتزام تعاليم الإسلام الذي غدا راشد واحدًا من ممثليه، فصار لزامًا عليه - بعد أن لم يبق بين قرى بصرى ونجران كافر - أن يقول: فألقت عصاها...

وأظن أنك لاحظت - أيها القارئ الكريم - تركيزي على لفظة «التضمين» لأن البيت: فألقت عصاها.. ليس من شعر راشد بن عبد ربه، وإنما ساقه مضمنا(1) إياه من شعر شاعر جاهلي سبقه يدعى «معقِّر بن أوس البارقي» (ت: نحو 45ق.هـ) وهو شاعر فارس ولاّج حروب وصَّاف معارك، شهد يوم جبلة، ثم كُفَّ بصره في آخر حياته فترك الحرب ودعا إلى السلم، وله قصيدة يصف فيها الحرب تجاوزت أبياتها العشرين، يقول فيها:

أمِنْ آل شعثاءَ الحمول البواكرُ(2)

مع الصبح أم زالت قُبيلُ الأباعرُ

وحلَّتْ سُليمى في هضابٍ وأيكة

فليس عليها يوم ذلك قادرُ

وصبّحها أملاكها بكتيبة

عليها إذا أمست من الله ناظرُ

وقد زحفت دودان تبغي لثأرها

وجاشت تميم كالفحول تخاطرُ(3)

وقد جمّعوا جمعًا كأن زهاءه

جرادٌ هوى في هبوةٍ(4) متطايرُ

فباتوا لنا ضيفًا، وبتنا بنعمة

لنا مسمعاتٌ(5) بالدفوف وزامرُ

فألقت عصاها واستقرت بها النوى(6)

كما قرَّ عينًا بالإياب المسافرُ

فهذا البيت الذي تعمدتُ إيراده في آخر القصيدة هو المتعارف عليه في مصطلح النقد باسم (بيت القصيد) وهو أجمل بيت وأحلاه في القصيدة، يركّز فيه الشاعر الفكرة أو الصورة أو نبض العاطفة بشكل مكثف؛ ولذلك لا بد أن يصبح من سوائر الأبيات وشوارد الشعر. وقد تُنسى القصيدة كلها ولا يُحفظ منها إلا «بيت قصيدها». ويُعد بيت القصيدة في النص هو البيت الذي يقفز فيه الخط البياني لعاطفة الشاعر أو فكره إلى الذروة، مما يكسب ذلك البيت الخلودَ والسيرورة عبر الأجيال، فيصير من جمله تراث الأمة، ولكونه تعبيرًا مركّزًا عن حالة معينة يعمد الناس إلى التمثل به في الحالات المشابهة على تباعد الزمان والمكان. ولا يقدر على إبداع بيت القصيد إلا الشاعر العبقري؛ إذ ربما يقول الشاعر القصيدة المطوّلة أو القصائد الطوال ولكنها تأتي خالية من بيت بديع يرقى إلى أن يكون «بيت قصيدها»، وجمال البيت هو الذي يرشحه لأن يحفظه الناس وأن يتمثلوا به في المناسبات المشابهة، ولقد تمثل به كبار القادة بعد فراغهم من الحروب الطويلة كقتيبة بن مسلم عندما ولي خراسان(7) وتمثل به المروروذي أمام المنصور بن القائم(8) وتمثل به الخليفة العباسي المنصور بعد قتل أبي مسلم الخراساني(9)، وتمثل به عبدالملك بن مروان عندما اجتمعت عنده سلاّمة وحبابة، وحتى البهلول في قصة صراعه مع الصبيان(10). وهذه قصص كثيرة يطول موضوعنا لو نحن ذكرناها، ولكنْ حسبنا الإشارة إليها، فبيت القصيد إذًا «يُضرب مثلاً في تفضيل الشيء على كله - كما يقول الثعالبي - وكما قال المتنبي يمدح ابن عمران:

ذُكِرَ الأنام لنا فكان قصيدةً

كنتَ البديعَ الفردَ في أبياتها

أعترف أنني ابتدأت بالأدب والشعر فتحدثت عن ألم الحرب ولذة السلام، وانتهيت بالنقد فذكرتُ (التضمين والاقتباس وبيت القصيد) وشفيعي أنني أكتب في الأدب، والأدب هو الأخذ من كل علمٍ وفنٍ بطَرَف.

غريب الألفاظ:

1- الشأو: الغاية والأمد والسبق.
2- حَلَّمه، وفي نسخة حكَّمه: أي جعله حليمًا حكيمًا.
3- القذال: جماع مؤخر الرأس.
4- الغدائر: جمع غديرة وهي الذؤابة أو خصلة الشعر.
5- عيس: جمع عيساء وهي الناقة البيضاء.
6- الغوط: أرض مطمئنة فيها شجر.

الهوامش:

1- قال ابن عبد ربه في العقد الفريد 146/5: «فاستعار هذا البيت راشد بن عبد ربه السلمي من معقِّر البارقي، ولا أحسبه استجاز ذلك إلا لاستعمال الناس له وتمثلهم به».
2- الحمول البواكر: الإبل التي تحمل الأظعان مبكرة.
3- دودان وتميم: اسما قبيلتين.
4- الهبوة: الغبار الثائر.
5- مسمعات: مغنيات.
6- النوى: البعد.
7- وفيات الأعيان 175/1، والعقد الفريد 303/2.
8- وفيات الأعيان 235/1.
9- وفيات الأعيان 154/3.
10- العقد الفريد 150/5.
11- ثمار القلوب 659.

منتدى «الفيصل»

مع معالي الدكتور الشاعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي

على الأجيال القادمة أن تعد نفسها لتحديات كبيرة

مخاوف الغرب من الإسلام تأخذ صورًا متعددة ونظرية المؤامرة لا تفسر شيئًا

عندما اشتهر الدبلوماسي الأديب الدكتور غازي القصيبي شاعراً أشاد النقاد والقراء بشعره، ولكن حين طرق باب الرواية أثيرت تساؤلات كثيرة. فمن النقاد من رأى في ذلك نضوباً في معين الشعر عنده، ومنهم من فسَّر ذلك بأنه مسايرة للواقع الذي يشهد تراجعاً في جمهور الشعر، ورأى فريق ثالث أنه نتيجة فيض شعوري عجز الشعر عن استيعابه.

هذه الآراء وغيرها، ناقشها د. غازي القصيبي في «منتدى الفيصل»؛ مجيباً عن أسئلة القراء الكرام إليه، التي توزعت بين العام والخاص، وتناولت قضايا أدبية وثقافية وفكرية شتّى، وقد جاءت بعض إجاباته مثيرة لأسئلة أخرى، تتطلب منا جميعاً أن نفكر في الإجابة عنها لأنها شديدة الصلة بواقع الأمة والتحديات الحضارية التي تجابهها.



ـ بوصفك أحد الروائيين المحليين ما رأيك في الرواية المحلية السعودية، وهل تُوازَن بنظيراتها في البلدان العربية صاحبة الريادة في ذلك؟
ـ ماردُّك على من يقول من النقاد: إن روايتيك «العصفورية، وشقة الحرية» لا تصنَّفان في فن الرواية، ولكنهما محاولة جريئة، وإنك صاحب جسارة جعلتك تنزل هاتين الروايتين إلى ميدان الأدب دون امتلاك أدوات الرواية؟

عبدالله علي المطمي، جيزان.

* لا ينبغي أن يكون لدينا حرج في الإقرار أن المملكة بدأت، في مجال الثقافة عموماً، متأخرة جداً حين توازن ببعض الدول العربية الشقيقة. مصر، على سبيل المثال، عرفت المطابع والصحف والجامعات مع بداية القرن التاسع عشر الميلادي، بينما لم نعرف نحن هذه الأشياء هنا إلا في القرن العشرين، ولم نعرف بعضها إلا بعد منتصفه. فمن الظلم أن نتوقع لمجهود ثقافي ـ والرواية مجهود ثقافي ـ ولد متأخراً أن يصل إلى مرحلة من النمو وصل إليها مجهود ثقافي بدأ مبكراً واستمر عشرات السنين.

هناك مشكلة ثانية وضع الأستاذ أحمد السباعي، رحمه الله، أصبعه عليها عندما قال: إنه يستحيل أن تزدهر الرواية في مجتمع محافظ. لا أذهب معه إلى هذا الحد ولكني أقول: إن الضغوط التي يواجهها كاتب الرواية في مجتمع محافظ تفوق، أضعافاً مضاعفة، الضغوط التي تواجه الروائي في مجتمع يتسم بالانفتاح.

نتيجة العاملين هي: أن الرواية، عندنا، لا تزال تنتقل من مرحلة «التسنين» إلى مرحلة «الحبو».

* حسب علمي، لم يقل أحد هذا عن «العصفورية»، ولكنه قيل عن «شقة الحرية». المسألة، برمّتها متعلقة بالاصطلاح، وكما يقال، بحق، لا مشاحة في الاصطلاح. ناقد من الذين نفوا صفة الرواية عن «شقة الحرية» فعل ذلك استناداً إلى أنها لا تمت بشبه إلى روايات دستوفيسكي. وناقد آخر علّل موقفه بأن العمل يحتوي على ملامح كثيرة من السيرة الذاتية مما يجعله ينتمي إلى هذا الفن الأدبي. وناقد ثالث سوّغ موقفه بأن العمل يحتوي على خلط هائل وغير متناسق من الأحداث والأشخاص واليوميات والرسائل والقصص القصيرة والتاريخ الحقيقي والتاريخ الخيالي والأشخاص الحقيقيين والأشخاص الخياليين. تعريفي للرواية، وأعتقد أنه التعريف المقبول لدى معظم القراء والنقّاد، تعريف بسيط أستعيره من كتاب يستند إلى مرجعية نقدية معترف بها هو «معجم أكسفورد الدقيق للمصطلحات الأدبية»، يقول المعجم: إن الرواية «عمل نثري خيالي مطول يتضمن حكاية» لا أقل ولا أكثر. بل إن المعجم يمضي فيضيف: أن الرواية «تطرح كل القيود التي تحكم الأشكال الأدبية الأخرى، ولا تعترف بشكل محدد، ولا بموضوع محدد». إذا قبلنا هذا التعريف، يصعب علينا أن نخرج «شقة الحرية» من دائرة الرواية (إلا إذا كنا من أنصار «عنزة ولو طارت»). إلا أن التعريفات يجب ألا تستوقفنا كثيراً. هل يحمل العمل أي قيمة فنية؟ هذا، حقّاً، هو السؤال!

ـ مع تعدد دواوينك الشعرية وكذلك المؤلفات نريد رأيك في الشعر الحديث. هل هو متزامن مع الأحداث أم إنه بعيد عنها؟
ـ بوصفك من شعراء الرعيل الثاني في الشعر السعودي، ما تقويمك للشعر السعودي في عصرنا الحاضر؟ كما أحب معرفة رأيك في الأستاذ أحمد السباعي مؤسس القصة السعودية، وكذلك طاهر زمخشري وعبدالقدوس الأنصاري مؤسس مجلة المنهل؟

عبدالله يحيى عبدالله الزهراني
ص.ب 17804 جدة 21494.

* لا أعتقد أن الشعراء العرب المعاصرين، سواء من يكتبون الشعر التقليدي أو شعر التفعيلة، كانوا بعيدين عن الأحداث. كُتبت عن قضية فلسطين آلاف الدواوين. المشكلة ليس هنا. المشكلة هي أن الشعر في هذا العصر لم يعد، كما كان في عصور غابرة، الوسيلة الأكثر انتشاراً، ومن ثم الوسيلة الأكثر تأثيراً في مجريات الأحداث. لا يستطيع أعظم الشعراء العرب المعاصرين أن يبيع من ديوانه سوى بضعة آلاف نسخة؛ بينما توجد أشرطة كاسيت غنائية، من الدرجة الثالثة، يباع من الشريط الواحد منها ملايين النسخ. من البدهي أن تأثير الكاسيت، والحالة هذه، في العقول والقلوب يفوق تأثير الديوان. الذنب ليس ذنب الشعر؛ هذا هو حال الزمان!

* فيما يخص الشعر في المملكة، أعتقد أنه، بلا منازع، أكثر الفنون الأدبية تطوّراً. لدينا في المملكة آخر العمالقة، الأستاذ محمد حسن فقي، أمد الله في عمره، ولدينا شعراء شباب يكتبون شعراً لا يقل في جودته عن الشعر في أي دولة عربية أخرى. ونصيبنا من الشواعر لا يقل، إن لم يزد، عن نصيب شقيقاتنا الدول العربية.

إعجابي بجيل الرواد لا حدود له. لقد جاء جيلنا، والجيل الذي بعدنا، فوجدوا كل شيء في انتظارهم: المدارس والجامعات والطرق المعبّدة والنوافذ المفتوحة. أما جيل الرواد فقد حفر طريقه في الصخر بأظافره، ودرس في ضوء النجوم الشاحبة، وكتب الواحد منهم اسمه على لجة متلاطمة الأمواج. والثلاثة الذين ذكرتهم يقعون من جيل الرواد في الصميم: أحمد السباعي أول من كتب القصة في المملكة وكتبها بموهبة ناضجة، وطاهر زمخشري فتح الطريق لنا في مجالات الإذاعة والثقافة والشعر. وعبدالقدوس الأنصاري

منتدى «الفيصل»

مع معالي الدكتور الشاعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي



أب من أول آباء الصحافة السعودية، رحمهم الله جميعًا وجزاهم عن تلامذتهم - وأنا منهم - خير الجزاء.

- كيف ترى مستقبل الحركة الأدبية في الجزيرة العربية؟ وهل تستطيع أن تعطي انطباعًا عامًا عن طبيعة هذه الحركة الأدبية القادمة؟ وهل من نصيحة تقدمها للجيل الصاعد؟

بدر عمر المطيري

القصيم، البدائع العليا، ص.ب 525.

* لا أعتقد أننا نستطيع أن نفصل الحركة الأدبية عن التيارات العامة السائدة في مجتمع ما، سواء أكانت فكرية أو اقتصادية أو سياسية. هناك ارتباط وثيق بين مستقبل الأدب ومستقبل التعليم: كلما زاد عدد المتعلمين زاد عدد المهتمين بالأدب. وهناك ارتباط وثيق بين مستقبل الأدب ومستقبل التنمية: كلما ارتفع دخل الفرد زاد الجزء الذي يمكن أن يخصِّصه لشراء الكتب. وهناك ارتباط وثيق بين مستقبل الأدب والتعددية: كلما زاد هامش الحرية ازدهر الأدب. شعوري نحو مستقبل الجزيرة، ومستقبل الأدب فيها تبعًا، مشوب بكثير من التفاؤل وكثير من الحذر.

لا أعتقد أن طبيعة الحركة الأدبية ستتغير تغيرًا جوهريًا، وإن كنت أتوقع إقبالاً أكبر على ميداني الرواية والقصة القصيرة، ومزيدًا من النقد الأكاديمي، وحيوية أكثر في التناول في شتى فنون الأدب.

أنا أتردد كثيرًا قبل تقديم أي نصيحة. قلت، وأكرر دائمًا، إن الأدب ينمو بالمواهب لا بالنصائح. وإن كان لا بد من كلمة فسوف أجعلها مختصرة مفيدة. أقول للشاعر الناشئ: لا تكتب بيتًا واحدًا إلا بعد أن تقرأ ألف بيت. وأقول للكاتب الناشئ: لا تكتب صفحة واحدة إلا بعد أن تقرأ ألف صفحة.

- من يتابع بعض كتبك، وعددًا من مقالاتك يتبيّن اهتمامك بما تقرأ من أعمال أدبية معاصرة.. وتجربتك في النشر حققت ألوانًا من النجاح وضمان الاستمرار بإذن الله. ألا تنوي إعداد سلسلة إصدارات عن الشخصيات الأدبية والاجتماعية الرائدة في مجال العمل والإنتاج الإبداعي بصفتك «شاهد عصر»، ولديك إلمام بمعرفة الرجال، وذائقة فنية في رصد الشعر والنثر تمكنك من تحقيق ذلك؟

عبدالله بن سالم الحميد، الرياض.

* أنت تسألني عن السهل الممتنع، عن المهمة المستحيلة. الرغبة في كتابة «صور قلمية» عن بعض الشخصيات التي عاصرتها، سواء أكانت أدبية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، موجودة وقوية ولكن دون تنفيذ الرغبة أهوال. في كل مرة أكتب فيها عن إنسان حي أو ميت سطرًا يتجاوز ما ألفه الناس من تقريظ الأموات ومجاملة الأحياء تقوم الدنيا ولا تقعد. بدهي أن الصورة القلمية تفقد كل مسوغات وجودها إذا تحولت إلى قصيدة مديح. مجتمعنا يعيش حساسيات من كل نوع، بعضها يمكن فهمه، وبعضها يتعذر فهمه، وإثارة الحساسيات عملية لا تخلو من شجاعة (أو تهور). عندما أجد في نفسي الشجاعة الكافية (أو التهور اللازم) للبدء في هذا المشروع فسوف أقدم عليه. حتى ذلك الحين عليك أن تكتفي بلمحات هنا وهناك، تظهر أحيانًا في المقالات، وأحيانًا في الروايات.

- تبوأ القصيبي مكانه في الذاكرة شاعرًا مبدعًا ونجمًا متوهجًا في سماء القصيد الآسر. ثم شهدنا فيما بعد تحول القصيبي من المنظوم إلى المنثور: من الشعر «معركة بلا راية، وقطرات من ظمأ» إلى الرواية «شقة الحرية، والعصفورية».

والسؤال: هل يجيء هذا التحول عن فيض في التجربة الشعورية لدى القصيبي؟ بمعنى: هل عجز الشعر عن استيعاب هذا التدفق الوجداني فكان التحول إلى الرواية هو البديل؟! أم إن ذلك إقرار عملي من القصيبي بأن العصر عصر الرواية، وأن الرواية ديوان العرب الجديد؟

محمد سعيد الراشدي

جريدة البلاد، القسم الثقافي.

* لا بُدّ في البدء من أن أوضح ما يبدو أن الجميع قد نسوه وهو أني، منذ بدأت الكتابة، أكتب الشعر والنثر. وكانت كتاباتي النثرية، بالإضافة إلى المقالة، تشمل القصة. كتبت خلال مرحلة الدراسة الجامعية أكثر من قصة، وكتبت رواية قصيرة (للأسف لم يُنشر شيء منها وطوتها يد الضياع). في مرحلة لاحقة ألّفت مسرحية باللهجة الخليجية الدارجة فازت، وقتها، بالجائزة الأولى في مسابقة نظمتها وزارة الإعلام في البحرين. نشرت عدة قصص في صحف بحرينية بأسماء مستعارة. لم يكن هناك «نبوغ» مفاجئ، كانت هناك إرهاصات عديدة وقديمة. التجربة التي تتحدث عنها «شقة الحرية» - أحوال الطلبة العرب في قاهرة الخمسينيات الميلادية - تجربة لا تصلح بطبيعتها للمعالجة الشعرية. والأمر نفسه ينطبق على التجربة التي تتضمنها «العصفورية» - وهي قصة اصطدام العقل العربي بالحضارة الغربية -. لو كانت لدي موهبة شعرية كموهبة شكسبير لكان بوسعي أن أعالج التجربتين شعرًا. أمام موهبتي الشعرية المتواضعة لم يكن هناك بد من اللجوء إلى النثر.

لا أعتقد أن الرواية هي ديوان العرب الجديد. أعتقد أن للعرب في هذا الزمان دواوين عدة: المجلات والصحف والإذاعة والتلفاز والأدب بمختلف مجالاته. حقيقة الأمر أني أرى أن الشعر لا زال أقرب إلى الوجدان العربي من الرواية، أو من أي لون أدبي آخر.

تأثير «الكاسيت» في العقول والقلوب يفوق تأثير ديوان الشعر، والذنب ليس ذنب الشعر، وإنما هذا هو حال الزمان

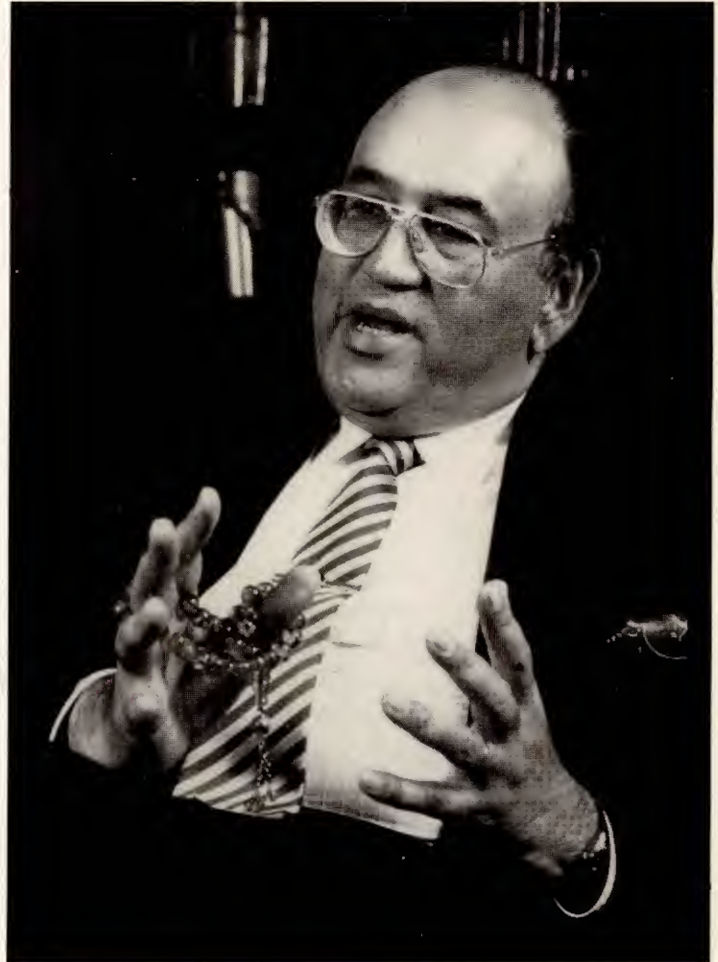
- ما تقويمك للمؤسسات الثقافية في العالم العربي من جامعات ومكتبات..؟
- ماذا أفادتك الوزارة وماذا أفدتها؟
- هل للشعر مكان في القرن الحادي والعشرين؟

حسن عبدالله الثقفي
كلية التربية بالطائف.

* هناك جامعات ممتازة في العالم العربي، وجامعات وسط، وجامعات رديئة (وتقويمها لدى المختصين). وينطبق الشيء نفسه على المكتبات، إلا أن هذا يجب ألاّ يعنينا كثيرًا. يجب أن يعنينا أن تتغير فلسفة التعليم الجامعي فتصبح أكثر التصاقًا بحاجات المجتمع، وحاجات التنمية على وجه الخصوص، لا أفهم أن تستمر جامعاتنا العربية في تخريج طلبة في تخصصات لا يحتاج إليها المجتمع في الوقت الذي نستورد فيه عشرات الآلاف من الأجانب ليقوموا بأعمال كان بوسع طلبتنا، لو دُرِّبوا عليها، أن يقوموا بها. وفيما يخص المكتبات، فإن الأهم من وجود المكتبات الضخمة، وهي مهمة بكل تأكيد، أن توجد مكتبة، مهما كانت صغيرة، في كل بيت. المهم أن نُوجد حب القراءة وهذا الحب يجب أن يرضعه الطفل مع الحليب.

* يستطيع الشخص أن يخدم وطنه من موقع الوزارة كما لا يستطيع من أي موقع آخر. وقد أُعطيت هذه الفرصة الثمينة وأرجو ألا أكون قد ضيعتها أو أسأت استغلالها. أفدت من الوزارة الكثير: القدرة على اتّخاذ القرارات، معرفة أنحاء الوطن المختلفة، مقابلة نماذج من البشر تشمل رؤساء الدول كما تشمل المواطنين البسطاء. الجزء الثاني من سؤالك يجب أن يُوَجَّه إلى الآخرين.

* للشعر مكان في كل العصور القادمة حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها. مادامت هناك عصافير تغني، ونسيم يهب، وأشجار نخيل تتراقص، وقلوب تعشق سوف يكون هناك شعر.



- الشعراء هم أفضل من يعرف الشعراء، ورأيهم يكون مقبولاً أكثر من آراء غيرهم. فما رأيك في شعر نزار قباني؟

ياسر أحمد بكر
ص.ب 4141، مكة المكرمة.

* هناك من لا يتفق معك على المقدمة التي بدأت بها. هناك من يرى أن عدو المرء من عَمِلَ عمله، وأن الشعراء هم آخر من يحق لهم الحديث عن الشعراء. إلا أنني، بحمد اللهّ، لا أشعر بمُركَّب من أي نوع عند الحديث عن زملاء المهنة؛ لا بمركب عظمة ولا بمركب نقص ولا بمركب غيرة. بوسعي، والحالة هذه، أن أحاول أن أجيب عن سؤالك. نزار قباني شاعر «ملأ الدنيا وشغل الناس» في هذا القرن كما لم يفعل أي شاعر آخر، ولا يزال غزير الإنتاج. ولا أعتقد أن هناك خلافًا حول شاعرية نزار؛ الخلاف الشديد هو حول الطروحات التي يتضمنها شعره. وأنا أدعو دائمًا إلى التفرقة بين المعيار الفني والمعيار الأخلاقي في الأدب حتى لا تغيم الرؤية وتلتبس المفهومات. بالمعيار الفني أنا معجب بشعر نزار قباني، أما طروحاته ففيها قولان (على أقل تقدير).

- للقرآن الكريم تأثير عميق وعلاقة وطيدة مع أكثر أدبائنا وشعرائنا نتلمسها من خلال عطاءاتهم ونتاجاتهم. فما مدى علاقتك بالقرآن الكريم بوصفك شخصية مسلمة، وما مدى تأثيره في نتاجك الأدبي بوصفك شخصية أدبية؟

عكاشة آدم هوساوي
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
ص.ب 6859 الظهران 31261.

* حرص سيدي الوالد، رحمه الله وجزاه عني خير الجزاء، أن تبدأ علاقتي بالقرآن الكريم مبكرة. خصص في السنة الأولى الابتدائية معلمًا أقرأ عليه القرآن، حتى تمكنت من ختمه، وليتني حفظته، في الثامنة أو نحوها. منذ ذلك الحين وصلتي بالكتاب الحميد وثيقة، أحاول أن أختمه مرتين في السنة على الأقل، وألتمس في آياته الأمن عند الخوف، والرجاء عند اليأس، والهداية في كل الأحوال. والقرآن، بالإضافة إلى أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نزل بلغة عربية معجزة في فصاحتها كما هي معجزة في معانيها. ولا أعتقد أن شاعرًا أو كاتبًا مسلمًا واحدًا منذ نزول القرآن إلى هذه اللحظة لم يتأثر بهذه اللغة (بل إن التأثر يشمل القرّاء والكتّاب العرب من غير المسلمين). التأثر، عملية عفوية، تتم بطريقة غير شعورية. ويصعب عليّ أن أتبين أثر القرآن الكريم في إنتاجي؛ إلا أن أستاذًا جامعيًا مرموقًا قد كفاني هذه المؤونة عندما ألف كتابًا بعنوان «الجانب الإسلامي في شعر الدكتور غازي القصيبي». أكتفي بأن أقتطف فقرة من الكتاب يقول فيها المؤلف الدكتور صلاح مصيلحي عبدالله عن شعري: «وتكثر الألفاظ والعبارات الإسلامية كثرة مفرطة تفوق الحصر... وأكثرها ورودًا لفظ الجلالة (اللّه) وإلهي وربي والكثير من أسماء اللّه الحسنى كالقادر والجبار والخالق والحق، ثم لفظ الروح الذي يبدو ذا وقع خاص لدى الشاعر، ثم لفظ القرآن والكتاب والبيان والحق والذكر والمعجزة والسور والآيات والتلاوة، إلى جانب ألفاظ الصلاة والصوم والزكاة ومتعلقاتها من الوضوء والاغتسال والطهر، والمسجد الحرام والأقصى والكعبة وزمزم، ورمضان، إلى جانب ألفاظ الجنة والفردوس والنعيم واليتم والكوثر والحور العين والسلسبيل والنار والسعير وجهنم والهاوية والجحيم والويل....» ص172.

منتدى «الفيصل»

مع معالي الدكتور الشاعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي



هذا ويسعدني، إذا شئت، أن أرسل لك نسخة من الدراسة.

- بوصفك شاعراً ذائع الصيت وبخاصة في الشعر الفصيح، ولك تجربة طويلة في مجال الشعر؛ فإنني أريد منك إبداء الرأي فيما يتعلق بالمجلات الشعبية التي ظهرت مؤخراً، وانهمرت على رؤوس القراء، وقد احتضنت العديد من الأسماء التي لم نسمع عنها من قبل جاعلة من كل واحد منهم شاعر عصره، ثم لا نجد إلا محاولات ركيكة تدور حول الحب والغرام مما لا يستفاد منه. وليت الأمر اقتصر على ذلك بل تعداه إلى وضع صور فتيات غربيات متبرجات، بالإضافة إلى بعض الصور التي لا تتناسب مع خاصية الشعر. وعادة ما يقوم بذلك مخرجو مطابع من جنسيات غير عربية، مما يوحي بأن تلك المجلات لا ترمي إلا إلى استنزاف جيوب المراهقين من الجنسين، وبخاصة عندما تستضيف مطرباً أو لاعب كرة قدم في استخفاف واضح بعقلية القارئ وعدم احترام الذوق العام. بعد هذا العرض لحال كثير من تلك المجلات. ما وجهة نظرك حيال وضع تلك المجلات؟ وهل أنت مع استمرارها أم ضده؟ وما النصيحة التي يمكن أن توجهها إلى أصحاب تلك المجلات الشعرية حتى يستطيعوا القيام بما ينهض بمستواها إلى الأفضل؟

عبدالله محمد فايز الشهري
منفوحة، الرياض.

* الحكم على الشيء فرع من تصوره. وأنا لم أر هذه المجلات التي تتحدث عنها، ويصعب عليّ، والحالة هذه، الحكم عليها سلباً أو إيجاباً. ويبدو من سؤالك أن هذه المطبوعات تهتم بالشعر النبطي، ومعلوماتي في هذا المجال، أضأل من أن تمكنني من الحديث، بأي قدر من المصداقية، عن مستوى ما تنشره. يمكنني أن أقول، على وجه العموم: إن الطلب، في العادة، يُوجِد عرضاً يلبيه. وما دامت هذه المجلات كما تقول «تنهمر» فلا بد أن هناك طلباً منهمراً. إن كان لي من نصيحة فهي أن يتذكّر الجميع، كتّاباً وقرّاء، أن الفصحى هي الأصل الباقي الدائم، وما عداها يبقى، بعض الوقت، ثم يختفي.

- هل نتوقع للشاعر الذي أبحر عقوداً في خضم بحور الشعر أن ترسو مراكبه في مرافئ الرواية؟!
- هل توافقني القول بأن الساحة الفكرية والثقافية والشعرية في الوطن العربي هزيلة وآخر ما تحتكم إليه الموضوعية والصدق؟
- هل أنت مستعد لإعطاء رأي نقدي عن قصيدة أو ديوان شعري وأنت تجهل القائل؟

أحمد القدومي، الرياض.

* المراكب كثيرة، والموانئ متعددة، والآفاق مفتوحة، والتحديات مثيرة، فلماذا تتوقع مني أن أرسو في ميناء واحد؟ أعتقد أنني سوف أستجيب لنداء البحار والمحيطات وأجرب أكثر من ميناء على ظهر أكثر من زورق.
* هذا تعميم كاسح يحتاج إصداره إلى شجاعة أفتقد إليها. في الساحة الفكرية العربية صدق وزيف، موضوعية وعشوائية، غث وسمين. واجبنا الأساسي ليس إصدار الأحكام القاطعة؛ واجبنا أن نقف، ما استطعنا، مع الصدق والموضوعية.
* بكل تأكيد. بل إنني أبعد من ذلك لأقول: إنني أعتقد أن رأيي في قصيدة ما أو ديوان شعري ما سيكون أكثر دقة لو لم أكن أعرف القائل. في زاويتي «صوت من الخليج» التي تنشرها المجلة العربية أحرص على أن يكون أكثر الذين أكتب عنهم من الذين لا أعرفهم.

- بوصفي ناقداً أرى أن القصيبي عبّر في «العصفورية» عن نفسه بحرية أكثر مما سبق أن كتب في أشعاره، هل توافقني؟ وإذا كان الرد «لا» فما تعليلك؟
- أعكف حالياً على دراسة لرائعتك «العصفورية» وقد سميتها «رواية المعلومة» فهل استعنت بمراجع في كتابتها؟
- نريد رائعة أخرى مثل «العصفورية»، هل هذا ممكن؟

د. بشير العيسوي
كلية اللغات والترجمة، جامعة الملك سعود، الرياض.

* بوصفك ناقداً قد تكون أكثر مني قدرة على الحكم على ما أكتب من شعر ونثر. ولكن القضية التي تثيرها لا يمكن أن يجاب عنها بـ«نعم» أو «لا». ليست هناك «نفس واحدة» يمكن التعبير عنها بأسلوب واحد. هناك نفسي وأنا في الخامسة عشرة، ونفسي وأنا، الآن، على أبواب الستين. هناك النفس الصاخبة، والنفس الهادئة، والنفس القانعة، والنفس المتطلعة، وما شئت من نفوس. ولك أن تقول: إن «العصفورية» عبّرت عن بعض جوانب هذه النفوس على نحو أكثر انطلاقاً مما كان بإمكان الشعر أن يتحمله، وليس لك أن تذهب أبعد من ذلك.
* كتب الدكتور عبدالله الغذامي بحثاً قيّماً عن المعلومة ودورها في «العصفورية» أشير عليك بقراءته، إن لم تكن قد فعلت. فيما يتعلق بالمراجع، هناك نوعان: المعلومات التي تضمنتها الرواية مستقاة من مراجع قرأتها عبر السنين، ولا أستطيع أن أحصيها وإن كنت أعتقد أنها تبلغ المئات. أما المراجع التي استعنت بها في أثناء الكتابة، للتأكد من معلومة أو لاستقصائها أو للعثور عليها فأحسبها تقل عن المئة بقليل.
* قال ناقد كريم: إنه ليس بوسع كاتب واحد في حياة واحدة أن يكتب أكثر من «عصفورية» واحدة. أرجو أن يكون حكمه متشائماً أكثر من اللازم. لا أدري عليك أن تنتظر وعليّ أن أحاول.

- وجهت نقداً لاذعاً إلى مَنْ يسمون بعلماء ما «بعد الحدث»، وتحسرت على غياب «علم المستقبل» عبر العقل

عندما أجد في نفسي «التهور» اللازم سأكتب صوراً قلمية عن الشخصيات التي عاصرتها

العربي.. ما مرد هذه المفارقة في تناول ما بعد الحدث بينما تغيب القدرة على استقراء المستقبل؟

محمد حسن حسين ،الرياض.

* أعتقد أن السبب واضح كل الوضوح: الحكم على أحداث الماضي عملية سهلة جداً، أما توقع تطورات المستقبل فعملية تكاد تكون مستحيلة. النزوع إلى السهل وتجنب الصعب نزعة فطرية في البشر أجمعين، لا في العرب وحدهم، إلا أننا، نحن العرب، لا نستطيع الاستمرار في التخلف عن ركب العلوم، مهما بدا بعضها، في البداية، صعبًا. محاولة استقراء المستقبل لم تعد ترفًا، بل ضرورة حياتية بالغة الأهمية. هناك مثل واحد يغني عن عشرات الأمثلة: بعد ثلث قرن سيبلغ سكان المملكة 40 مليون نسمة أو نحوها. ألا تعتقد أننا يجب أن نبدأ من الآن في التفكير الجدّي في حصر احتياجات هذا العدد الكبير من السكان وكيفية تلبيتها؟ والأمر نفسه يصدق، بصورة أكبر، على كل نواحي الحياة عبر الأمة العربية. ما حاجة العرب من القمح بعد ربع قرن أو نصف قرن، ومن أين سيجيء؟ وما الثمن؟ والماء، والوقود وكل شيء. والمطلوب ليس مستحيلاً: مركز علمي واحد يركز الباحثون فيه لا على الأمس ولا على اليوم ولكن على الغد.

ـ لك منظورك الخاص عن التنمية. ألا تزال فرص التنمية الحقيقية، في رأيك، قائمة في بلداننا العربية والإسلامية

سعيد خلفان الحارثي

مسقط، سلطنة عمان.

* في كتابي «التنمية والأسئلة الكبرى» بحثت هذا الموضوع بإسهاب، وسأحاول هنا، تلخيصه باقتضاب. انطلقت في الكتاب من الأسئلة التي طرحها الباحث التنموي الدكتور يوسف صائغ: لماذا ننمي؟ ولمن ننمي؟ وماذا ننمي؟ وكيف ننمي؟ وحاولت أن أجيب عن هذه الأسئلة واحداً واحداً. قلت: إننا يجب أن ننمي لأن التخلف ليس قَدَرَ الإنسان: قَدَرُهُ الحياة الكريمة. وقلت ثانيًا: إننا يجب أن ننمي لصالح السواد الأعظم من الناس. وقلت ثالثًا: إننا يجب أن ننمي جميع القطاعات والخدمات والمشاريع التي تؤدي إلى إشباع الحاجات الأساسية التي تشمل المأوى والطعام والعمل والصحة والتعليم والمجاري والمواصلات، بالإضافة إلى الحاجات غير المادية كالأمن والكرامة والحرية. وقلت رابعًا: إن التنمية يجب أن تنطلق من خطة عملية ذكية مرنة تأخذ الواقع ومتغيراته في الحسبان وأن يتم التنفيذ بعقلية تنموية تجيد ابتكار الحلول.

حسنًا! لا أعتقد أن الأوان قد فات. عندما تتحقق هذه الشروط في أي مكان، بوسعنا أن نقول: إن التنمية الحقيقية بدأت.

ـ من واقع تجربتك مع محطة «بي بي سي» من خلال برنامج بانوراما، وتشويهها للحوار الذي أُجري معك في البرنامج.. أتعتقد أن هناك موقفًا مسبقًا من الإعلام الغربي تجاه الإسلام أم إننا أسرى نظرية المؤامرة؟

محمد حسن عبدالرحمن

الدوحة، قطر.

* نظرية المؤامرة لا تفسر شيئًا لأنها تحاول تفسير كل شيء. ولسنا في حاجة عند دراسة الموقف من الإسلام في الغرب إلى البحث عن مؤمرات. هناك في الغرب الآن دين جديد اسمه «الليبرالية»، ولهذا الدين طقوسه وأنبياؤه وكنائسه ومبادئه، ويمثّل المنتمون إليه أمة ترتبط فيما بينها بالولاء المتبادل. وهناك نقاط خلاف جوهرية بين الليبرالية والإسلام، سوف أشير إلى أهمها، وعلى سبيل المثال لا الحصر. الله في

يجب ألا تستوقفنا التعريفات كثيرًا. هل يحمل العمل أي قيمة فنية؟ هذا، حقًا، هو السؤال!





المفهوم الإسلامي، هو المشرّع، أما في الليبرالية فالمشرعون هم البشر الذين يمارسون هذه المهمة من طريق البرلمانات المنتخبة. هناك قواعد وقيم أخلاقية ثابتة لا تتغير في الإسلام أما في المفهوم الليبرالي فلكل زمان أخلاقه وقيمه. حقوق الإنسان، من وجهة النظر الليبرالية، وثيقة مقدسة تنطبق على الإنسان في كل مكان. بينما حقوق الإنسان، من وجهة النظر الإسلامية، مفهوم نسبي: كل ما يتعارض مع الشريعة لا يمكن اعتباره حقًا يُعَتدّ به. وهلم جرا.

ليس من صالحنا أن نتجاهل هذا الفارق العقدي الكبير، ومن صالحنا أن نبدأ حواراً جاداً يستهدف التفهم والتعايش.

ـ هناك من يرى أن الإسلام أصبح في موقف أفضل كثيرًا في الغرب عما كان عليه في الماضي.. إلى أي مدى يصدق هذا الرأي؟

نائلة حامد الهاشمي

الخرطوم، السودان.

* بالمعيار العددي، زحف الإسلام في العقود الأخيرة زحفًا كبيراً إلى أعماق القارة الأوربية. هناك في فرنسا عدة ملايين من المسلمين، وعدد مماثل في ألمانيا، وعدد أقل في بريطانيا. إلا أن المعيار العددي لا ينقل إلينا الصورة الكاملة. مع تزايد أعداد المسلمين في عواصم الغرب زادت مخاوف الغربيين واتخذت هذه المخاوف عدة صور: الخوف من منافسة المسلمين في الوظائف (كما في فرنسا)، الخوف من حصول المسلمين على الجنسية (كما في ألمانيا)، والخوف من نشوء ثقافة إسلامية داخل الثقافة المحلية (كما في بريطانيا). لا بُدّ من العمل الدؤوب على تبديد هذه المخاوف التي يزيدها تعقيداً صراعات سياسية في مختلف جوانب العالم تختلط، عن قصد أو غير قصد، بالمشاعر الدينية. لا أبالغ إذا قلت: إن أمامنا شوطًا كبيراً من الجهد الدؤوب قبل أن يصبح الوجود الإسلامي في الغرب موضع ترحيب من الجميع.

ـ القرن القادم: أهو قرن صدام حضاري أم حوار حضاري؟

طارق محمد علي

الإسكندرية، مصر.

* التاريخ لا يسير على وتيرة واحدة، الحضارات دخلت بعضها في بعض عبر التاريخ في علاقات كثيرة، تتراوح من العنف إلى التعايش إلى الوئام. لو أخذنا، على سبيل المثال، العلاقة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لوجدنا أنها مرّت بعقود من

منتدى «الفيصل»

مع معالي الدكتور الشاعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي



السلام وبعقود من الصدام. ولا أعتقد أن القرن القادم سيختلف عما سبقه من قرون في أن هناك احتمالات مفتوحة يمكن أن تنحاز إلى هذا المسار أو ذاك. الذين يصرون على حتمية الصدام، كالبروفسور هنتنجتون، يبنون توقعاتهم على مُسلّمات لا يُسلّم بها غيرهم، وقد لقيت هذه الطروحات المتشائمة الكثير من النقد الذي وضعها في حجمها الطبيعي: مجرد توقعات مستقبلية لا تنهض على أساس علمي راسخ. لا أعرف هل سيكون القرن القادم قرن صدام حضاري أو قرن حوار حضاري؟ ولكن من المؤكد، في ضوء ثورة الاتصالات والمواصلات، أنه سوف يكون قرن احتكاك حضاري. هل سيولّد هذا الاحتكاك أنوار التسامح أم نيران الصراع؟ يعتمد الجواب على حكمة البشر.

- في تناولك قضية الغزو الثقافي أشرت إلى المدلولات الثقافية للنتاج المادي. ما أبعاد هذه المدلولات، وما خطورتها على العقل العربي؟

سليم عثمان أحمد

أم درمان، السودان.

* رموز الغزو الثقافي الجديد ليست، في مجملها، كتبًا ونظريات، ولكنها سلع ومنتجات. والجزء الأخطر من الغزو الثقافي الجديد لا يأتي مسافراً مع المنشورات أو الصحف ولكنه ينقض، هابطًا، من الفضاء. مصادرة كتاب أمر سهل، أما مصادرة قمر صناعي فأمر مستحيل. أسلحة الغزو الثقافي اليوم هي غير أسلحته بالأمس، إلا أن دفاعاتنا لا تزال تنتمي إلى الأمس. لا زلنا نمارس التشويش وطمس الصفحات ومطالبة الكتب بتأشيرة دخول. لا يحتاج المرء إلى كثير من ذكاء ليدرك أن هذه الوسائل التي كانت في الماضي فعّالة إلى حد ما، فقدت اليوم كل تأثيرها. ولا بُدّ من دفاعات من نوع جديد. من أي نوع، «وداوها بالتي كانت هي الداء!» لا بد أن نرد على القمر الصناعي بالقمر الصناعي، وعلى الأغنية الهابطة بالأغنية الراقية، وعلى الأفلام المائعة بالأفلام النافعة، وعلى البرنامج الحواري بالبرنامج الحواري. ولا بد أن يكون كل ما نقدمه شائقًا ومثيرًا. في هذا الزمان لا يوجد أحد مستعد لإهدار وقته في برنامج ممل، وأمامه، من أقطار الدنيا، ألف برنامج ممتع.

- اعترضت على تنصيب شوقي أميرًا للشعراء، ما وجه هذا الاعتراض؛ ولماذا وصفت هذا الأمر بالغلطة؟

عبدالله عسيري، أبها.

* كثير من الإخوة يعتقدون أنني أول من أثار هذا الموضوع ومنحوني شرف ريادة لا أستحقها ولم أدّعها. حقيقة الأمر أن الفكرة، أن يكون للشعراء أمير، هوجمت من يومها الأول، وكان بين الذين هاجموها عدد من «العمالقة»: طه حسين والعقاد ومارون عبود. بل إن بعض الشعراء الظرفاء في مصر عقدوا مؤتمرًا شعريًا فكاهيًا يسخرون فيه من مؤتمر «المبايعة» وبايعوا أقلهم شاعرية أميرًا للشعراء. اعتراضي ينبع من المبدأ، ولا ينصب على الأشخاص. من طبيعة الأمور في الأدب أن تُفضّل أنت المتنبي وأفضل أنا الشريف الرضي ويفضل غيرنا أبا تمام وهلم جرا، وليس من طبيعة الأمور في الأدب أن تجتمع مجموعة لا تمثل إلا نفسها وتعلن أميرًا على الشعراء، أميرًا لكل زمان وكل مكان. هذه ديكتاتورية بغيضة لا محل لها في الأدب (أو في غير الأدب). البيعة، شرعًا، لا تلزم إلا المبايع. بأي حق يُفرض على الأجيال المتعاقبة - الملايين - «أمير للشعراء» لم يبايعه سوى أفراد؟

- المهرجانات الأدبية لها أثرها في إغناء المشهد الثقافي العربي، ومع ذلك، لك وجهة نظر حولها، ما سبب وجهة النظر السلبية هذه؟

عبدالله العربي

القاهرة، مصر.

* وجهة نظري شخصية جدًا، بمعنى أنها تقول شيئًا عني ولا تقول شيئًا عن المهرجانات. أتفق معك كل الاتفاق في أن لهذه المهرجانات دورًا في تنشيط الحياة الثقافية، خصوصًا إذا نُظمت على نحو جيّد وشاركت فيها عناصر متميزة (ولم تتحول إلى كرنفالات دعائية). إلا أن هذه المهرجانات، في حد ذاتها، لا تنتج أدبًا. الأدب، بالضرورة، مجهود فردي، يمكن أن يُعرض في مهرجان ولا يمكن أن ينتجه مهرجان. نعود إلى وجهة النظر الشخصية: لا أحب المشاركة في المهرجانات لأسباب عديدة. لا أحب أن يتحول شعري إلى إنتاج يُحكم عليه لروعة الإلقاء بدلاً من أن يحكم عليه لجودة المستوى. ولا أحب أن أهدر جزءًا كبيرًا من وقتي في مراسم، هي بطبيعتها جزء لا يتجزأ من أعمال المهرجانات، وأفضل أن أقضي هذا الوقت أقرأ وأكتب. وأنا بعد ذلك، صدق أو لا تصدق، أميل بطبعي إلى العزلة، أكثر من ميلي إلى النشاطات الاجتماعية بأنواعها.

- «أوراق عن القصيبي وحواء» عنوان كتاب يتناول موقع المرأة في شعرك. فما طبيعة علاقتك بالمرأة؟ وإلى أي مدى كانت مؤثرة في نتاجك الأدبي؟

سوزان خليل حامد، الطائف.

* بدأت علاقتي بالمرأة قبل أن أولد بتسعة شهور. بدأت عندما حملتني أمي في أحشائها، «وهنًا على وهن» كما يقول التعبير القرآني الخالد، وامتزجت دماؤها بدمائي. من طريق هذا الامتزاج تلقيت منها نصف الجينات (المورثات) التي تحدد لون عيني وطولي ووزني ومئة شيء آخر. ولدت إذن ونصفي من أمي. ولدت عاجزًا عن الحياة من دون ثدييها وذراعيها وضمها. رحم الله أمي! ماتت قبل أن أكمل السنة الأولى. وجاءت المرأة الثانية: جدتي التي أسبغت عليّ حنانًا يفوق حنان الأم

جيل الرواد حفر طريقه في الصخر بأظافره، ودرس في ضوء النجوم الشاحبة، وكتب على لجة متلاطمة الأمواج

ورحمة مسحت آثار اليتم. لم يخل يوم واحد في حياتي من امرأة: أختًا، أو قريبة، أو رفيقة لعب، أو زميلة دراسة، أو شريكة عمر. وعبر حياتي كانت المرأة، دومًا، هناك: اليد التي تمسح الدموع والجراح، البسمة التي تضيء حلكة الليل، والضحكة التي تموسق الأشياء. المرأة هي الحنان مجسدًا، والمحبة مجسمة، والولاء مركزًا. والمرأة رمز الحضارة ورمز الإيثار ورمز الحرية. باختصار شديد علاقتي بالمرأة أقوى من علاقتي بنفسي. وباختصار أشد، لو لم توجد المرأة لما وجد الشاعر ولا الشعر.

ـ تتمتع بتجربة إدارية عريضة على المستويين النظري والعملي، فما علل الواقع الإداري والتنظيمي في عالمنا العربي؟ وكيف توازن هذا الواقع مع ما تعايشه في الغرب؟

أشرف خليل، الرياض.

* الموازنة بين الإدارة في الغرب والإدارة في الشرق غير واردة. في الغرب هناك تجهيزات أساسية متطورة استغرق بناؤها الكثير من المال وعددًا من القرون. والجهاز الإداري في الغرب له تقاليد عريقة ويقوم بتوزيع الخدمات التي تنتجها التجهيزات الأساسية بقدر عال من الكفاءة. في الشرق لا توجد التجهيزات الأساسية الضرورية، ولا يوجد الجهاز الكفء القادر على توزيع الخدمات. أقول بكل صراحة: إنه لا يوجد حل إداري. يمكن من طريق تعيين وزير كفء أن نحسّن الخدمات في وزارة ما إلى حد ما. ولكن من دون الإنفاق السخيّ على التجهيزات، والحرص على تطوير القوى البشرية، يبقى الإصلاح قصير المدى ضعيف الأثر. الحل الوحيد هو الثورة التنموية الشاملة التي تتجه إلى الحاجات الأساسية للإنسان وتشبعها، وخلال ذلك، تُعطى أولية خاصة لتدريب القوى البشرية. غني عن الذكر أن هذه الثورة التنموية تتطلب أولاً: الرغبة السياسية القادرة على تبنيها، وتتطلب ثانيًا: أن توجه المدخرات ـ كلها! ـ من الاستهلاك الجامح إلى الاستثمار الرشيد، وتتطلب ثالثًا: وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

ـ هل تصارحنا د. غازي ـ وأنت من عُرف بالصراحة ـ لماذا لم تُذع محطة الـ«بي بي سي» القسم الأكبر من حديثك الشائق في برنامج «بانوراما»؟

التحرير.

* يتوقع المرء من البرامج «الوثائقية» أن تُقدّم صورًا حقيقية أو على الأقل قريبة من الحقيقة، معززة «بالوثائق». إلا أن هذا التوقع الذي لا يزال يصدق على البرامج التي تتناول شؤون الطبيعة والحيوانات والزهور والطيور لم يعد يصدق على البرامج السياسية «الوثائقية». لكل برنامج، مع استثناءات لا تكاد تذكر، أجندة خفيّة: موقف سياسي يتبنّاه مُعدّ البرنامج وينطلق منه. هذا، بطبيعة الحال، أمر مشروع، إلا أنه من غير المشروع أن يتظاهر معد البرنامج أنه باحث موضوعي لا يستهدف سوى الحقيقة. لجأ معد البرنامج الذي تشير إليه إلى وسيط بعد وسيط لإقناعي أنه يود تقديم صورة متوازنة، وذكر أنه سوف يعطيني الوقت الكافي لإيضاح وجهة نظري أمام الأسئلة المطروحة. استغرق الحوار معي أكثر من ساعة ونصف الساعة، ولم تذع منه سوى ثلاث دقائق ونصف الدقيقة، وحتى هذا الجزء المحدود أُذيع بطريقة شوهاء. اتضح أن لمعد البرنامج موقفًا معاديًا للشريعة الإسلامية وللمملكة بالذات، وأن دعوتي إلى المشاركة لم تكن سوى وسيلة لإثبات أن البرنامج «متوازن»، ولا يكتفي بوجهة نظر واحدة. مثل هذا الخداع، للأسف الشديد، يكاد يكون قاعدة عامة. وقد أخبرني وزير بريطاني أنه لا يُدلي بحديث ـ أي حديث ـ إلا ومعه جهاز تسجيل لأنه تعلّم أن كلماته سوف تُغيّر أو تُشوه. رب ضارة نافعة؛ فقد أثار هذا البرنامج موجة من الاحتجاجات. أعتقد أن الـ«بي بي سي»، لأول مرّة في تاريخها تلقت مئات الشكاوى من مسلمين يحتجون على هذا الموقف من الشريعة. وأرجو أن تكون الـ«بي بي سي» قد تعلمت من الشكاوى درسًا، أما أنا فقد تعلمت ألا أتحدث بعد اليوم، إلا على الهواء مباشرة.

د. غازي القصيبي.. في سطور:



ـ من مواليد الأحساء، المملكة العربية السعودية، 1359هـ/1940م.

ـ حاصل على ليسانس الحقوق، جامعة القاهرة، وماجستير العلاقات الدولية، جامعة جنوب كاليفورنيا، والدكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة لندن.

ـ التحق بسلك التدريس في جامعة الملك سعود بالرياض حتى أصبح رئيسًا لقسم العلوم السياسية، فعميدًا لكلية التجارة؛ وكان خلال ذلك يعمل مستشارًا لعدد من الجهات الحكومية.

ـ عُين مديرًا عامًا لمؤسسة الخطوط الحديدية في عام 1394هـ/1974م، وفي عام 1395هـ/1975م عُين وزيرًا للصناعة والكهرباء، ثم وزيرًا للصحة عام 1402هـ/1982م، وفي عام 1404هـ/1984م عُين سفيرًا للمملكة في البحرين.

ـ يعمل حاليًا سفيرًا لخادم الحرمين الشريفين في المملكة المتحدة وإيرلندا.

ـ له نشاط اجتماعي واسع من خلال جمعية رعاية الأطفال المعاقين، وجمعية البر بالرياض، وجمعية البر بالمنطقة الشرقية، وجمعية مكافحة التدخين، ولجان أصدقاء المرضى، وبيت القرآن بالبحرين.

ـ له عدد من الدواوين الشعرية: أشعار من جزائر اللؤلؤ، قطرات من ظمأ، معركة بلا راية، أبيات غزل، أنت الرياض، الحمى، العودة إلى الأماكن القديمة، ورود على ضفائر سناء، مرثية فارس سابق، عقد من الحجارة.

ـ من مؤلفاته: عن هذا وذاك، في رأيي المتواضع، المزيد من رأيي المتواضع، التنمية وجهًا لوجه، قصائد أعجبتني، سيرة شعرية، مئة ورقة ورد، الغزو الثقافي، أزمة الخليج محاولة للفهم، العودة سائحًا إلى كاليفورنيا، التنمية والأسئلة الكبرى، من هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وغيرها.

ـ أرجو منك أن يتسع صدرك قليلاً لسؤال يتعلق بالرواية. يقولون: بعد نجيب محفوظ انتهى الهرم ولم يعد هناك مجال للخوض في الكتابة حتى تُعطى جائزة نوبل لأحد من الروائيين؟!

حسن محمد جمال الدين

القاهرة، مصر.

* جائزة نوبل، شئنا أم أبينا، هي أهم جائزة على المستوى الدولي، والحصول عليها تكريم للفائز، ولدولته، ولحضارته. إلا أننا يجب ألا نحول الجائزة إلى وثن، والمسلم لا يعبد إلا الله، أو إلى مزار نطوف حوله، والمسلم لا يطوف إلا حول الكعبة في المسجد

منتدى «الفيصل»

مع معالي الدكتور الشاعر غازي بن عبد الرحمن القصيبي



الحرام. هناك أدباء عمالقة لم يظفروا بجائزة نوبل للأدب، وقد ظفر بها عدد من الأقزام. هناك اعتبارات عديدة، بجانب المستوى الأدبي، تدخل في الاختيار: اعتبارات سياسية، ولغوية، وحضارية، وبيروقراطية (الجهات التي تتولى الترشيح). الأستاذ نجيب محفوظ أستاذ رائد تلمذ له كل الروائيين العرب، ومع ذلك فأرحام النساء لم تعقم ولن تعقم. هناك، إذا أردت رأيي الشخصي، عدة روائيين عرب يستحقون، بالمعيار الفني، الحصول على جائزة نوبل، أشير، على سبيل المثال لا الحصر، إلى جمال الغيطاني وحنا مينه وأمين معلوف.

ـ هل حان العصر والوقت الذي تُفتح فيه دوائر إعلامية بين المسلمين والغرب من أجل محاورات إقناعية للدعوة إلى الإسلام؟ أليس الإسلام بنظمه وقوانينه قادراً على إقناع الناس دون حاجة إلى ما يسمى بالحوار مع الغرب؟

جمال محمد عثمان

الخرطوم، السودان.

* الله جلّت قدرته أنزل القرآن الكريم، وهو أعلم بما أنزل، وأمرنا فيه أن ندعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل غير المسلمين بالتي هي أحسن. ما يزال التوجيه القرآني قائماً، وسوف يظلّ قائماً، ولا نستطيع أن نتجاهله متذرعين بأن الإسلام في غنى عمّن يشرحه. ونحن الآن أحوج إلى الحوار مع الآخر من أي وقت مضى. الآخر هو الذي يملك التقنية المتطورة والأسلحة الفتّاكة وهو الذي «يعولم» الدنيا بأكملها على مثاله. لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي قانعين بتطبيق الشريعة في أوطاننا. لابدّ أن نوضح، بالحكمة والموعظة الحسنة، أن كثيراً من العلل التي تفتك بالمجتمع الغربي، من الخواء الروحي إلى الجريمة إلى المخدرات إلى التفسخ، يمكن أن تعالج بأدوية إسلامية. إلا أن المضمون لا يغني عن الأسلوب: بقدر ما نكون هادئين وعقلانيين ومتزنين وقادرين على الفهم والتفاهم تتسع دائرة النجاح.

الوعظ المباشر وسيلة ناجحة في المسجد، ولكن الوعظ المباشر لن يجد أذناً مصغية في الغرب.

استقراء المستقبل ليس مستحيلاً. المطلوب مركز علمي واحد يركز الباحثون فيه لا على الأمس ولا على اليوم ولكن على الغد

ـ هل تذكر الحديث عن «جيل النفط» في بلاد الخليج؟ أذكر أنك تحدثت إليهم بشفافية وبنوع من الوداعة. فهل لدينا شباب نفط حتى الآن؟ ألم تعد هذه مقولة ذهب زمانها؟

هادي القحطاني، الرياض.

* أتفق معك: كل مقولة تصيب شيئاً من الواقع وتخطئ أشياء. وأنا من المؤمنين بأن الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم ـ كما قالت العبارة الحكيمة المنسوبة إلى أحد السلف الصالح ـ. كان جيل الآباء: جيل التقشف والتأسيس، وقد نشؤوا نشأة متقشفة وقضوا أعمارهم في توطيد أركان المملكة الوليدة. وكان جيلنا جيل الوعد والتحدي. وتقبلنا الوعد وخضنا التحدي. وكان جيل الطفرة جيل الاطمئنان والدعة، وقد ولدوا مطمئنين وعاشوا في دعة. أعتقد أن التاريخ يدور الآن دورة جديدة. أعتقد أن الذين يولدون الآن عليهم أن يعيشوا مع شيء من التقشف (موازنة بجيل الطفرة)، وأن يعدّوا أنفسهم للكثير من التحديات، لمسؤوليات ما بعد الطفرة.

ـ ماذا تحمل حقيبةُ الدبلوماسي غازي القصيبي من ديوانية البحرين ومجلسيه الثلاثاء والأربعاء (الأدبيين). وهل تودّ العودة إليهما؟

حسن الصميلي، جدة.

* لم يكن هناك مجلسان في البحرين. كان هناك مجلس واحد كل ثلاثاء. في هذا المجلس كانت كل الأزهار تتفتح. يتحدث فقهاء الشريعة يتلقون الأسئلة ويجيبون عنها. ويتناشد الشعراء الشعر، وينتقد المنتقدون، ويروي الظرفاء آخر النوادر. حتى أبطال «البلوت» و«الكيرم» كان لهم ركن في الديوانية. ما أزال أحمل أجمل الذكريات عن تلك الأمسيات الجميلة. في لندن، الآن، ديوانية تنعقد كل أربعاء. تحمل الديوانية الجديدة بعض الملامح القديمة. إلا أن هناك فارقاً كبيراً. في أمسيات البحرين كنا نتلقى نسمات الخليج المشبعة بالحب، أما في أمسيات لندن فنتلقى الرياح المثقلة بضباب الغموض.

ـ أسميت ابنتي الكبرى «يارا» إعجاباً بالاسم أولاً، وإعجاباً بشخصك الكريم ثانياً. وكثيراً ما يُوجه لي سؤال عن أصل اسم يارا ولا أجد جواباً حيث لم أعثر على أصل له في معجمات اللغة العربية. فهل أجد عندك إجابة عن أصل الاسم ومعناه وفي أي المراجع؟

ياسر البصيلي، الطائف

* عندما كانت زوجتي حاملاً كنا ـ هي وأنا ـ نستمع إلى أغنية جميلة لفيروز اسمها «يارا»، وقررنا وقتها أن نسمي البنت، إذا رزقنا الله بنتاً، يارا؛ وهذا ما كان. اخترنا الاسم لسهولته وعفويته ولأن حروفه جميعها عربية، ولم يخطر ببالنا التساؤل عن معناه. فيما بعد أخذ الاسم ينتشر وبدأت أتلقى أسئلة عن معناه وبدأت أنقّب، وإليك النتيجة: يذكر معجم السلطان قابوس للأسماء العربية أن اسم يارا من أصل فارسي مكوّن من يار المشتقة من المصدر «يارستن» ومعناه القدرة أو الاستطاعة أو التمكن، ثم ألصقت به الألف. ويضيف المعجم أنه من الممكن أن يكون الاسم صورة كتابية صوتية عن الكلمة الفارسية «ياره» وتعني إسورة، أو طوق. وهناك احتمال أن يكون الأصل الكلمة التركية «يارة» ومعناها جرح ـ واحتمال آخر أن يكون الاسم مأخوذاً من اسم الشهر «أيار».

هل تريد أن أزيدك من الشعر بيتاً؟ «يارا» اسم منتشر في البرازيل ويعني حورية تسكن نهر الأمازون وتسحر البحارة بغنائها. وقرأت مرة للشاعر المعروف فاروق شوشة الذي سمى ابنته يارا، أنها تعني، بالهيروغليفية، ابنة الربيع.

يبقى أن أوجه لك الشكر الخالص، وأن أوجه التحية من يارا الكبرى إلى يارا الصغرى.

حمزة شحاتة

ظلمه عصره!





عبدالفتاح أبو مدين

الشاعر يسأل في عنوان قصيدته التي أمامي: «لِمَ أهواك»؟، ولعله تساؤل الحائر، لماذا وكيف انساق الهوى إلى نفس الشاعر. ولعل الهوى يأتي تلقائيًا بلا خيار من صاحبه، غير أن مقدماته تدفع به أن يقع، وأن يكبل الفخ الإنسان الذي يجد من نفسه اندفاعًا نحو من يقع في شراكه، ثم تلفه الحيرة والشكوى والتبرم؛ لأن الحب كما يقولون: أوله المزاح.. وآخره شبيه بالمنايا. وإن الشاعر أحمد شوقي يصفه بقوله:

نظرة فابتسامة فسلام

فكلام فموعد فلقاء

ولعلي لست مدعوًا إلى أن أطيل الحديث عن الهوى؛ فأذهب أضرب الأمثال، وأسوق الحديث عن العشاق وهمومهم، فتلك حال يُعنَى بها الذين يقصدون للعشق وأهله، فيطيلون الوقوف، وقد يبدو مشوقًا عند بعض المهتمين بهذه الجوانب من حياة بعض الناس. ولست أملك أن أفصل أو أن ألبس شاعرنا ثوبًا، ربما لا يلائمه، ذلك أن إصدار أحكام جزافية على شخصية غير عادية، مثل حمزة شحاتة (1910- 1972م)، لا يليق بمن يتصدى للحديث عن حياة أديب بارز من خلال أدبه، وخلال شعره خاصة!

نحن أمام قصيدة لشاعرنا اتخذ لها عنوانًا: «لِمَ أهواك»، ودعونا نستمع إلى الشاعر يتحدث عن حاله والهوى، كيف المدخل، وكيف نجد وصف شاعرنا لحال المحب، والحاله هو خاصة، لأنه صاحب التجربة، فماذا يقول عن تجربته وشكواه، لأن الهوى ليس هيّنًا، وليس لعبًا، ولكنه معاناة وذل وقيود في عقابيله ودوامته!؟ ونحن ندرك أن شاعرنا قوي الشخصية، وذو إرادة وعزيمة، غير أن سلطان الهوى أقوى، لأن الإرادة أمامه تضعف وتتراجع، ويصيبها الخور والانهزام. دعونا إذن نستمع إلى شاعرنا وحواره مع هواه، ومع من يهوى، كيف نجده؟ وكيف حديثه مع ذلك الهاجس المتسلط؟

يا حبيبي، يا ملتقى السحر والفتـ
ـنة، يا غالبي على أمر نفسي
لِمَ كانت، ولا أسومك لومًا،
قسمتي في هواك قسمةَ وكْسٍ؟
ألأني آثرت في حبّك القا
هر عزّي، ذهبتَ تطلب نفسي
أم لأني ضحية الألَم الصا
مت أطوي على المواجع حسي؟

والديباجة الشعرية القوية، تأخذ مسارها الانسيابي عند الشعراء المتمكنين والمجيدين، بلا تكلف ولا عناء. ولدى شاعرنا شحاتة كل كلمة، أو قل أكثر كلمات قاموسه النثري، دقيقة المعاني، بحيث لا يستطاع أن يخلع عليها أي ثوب كي يستخرج المعنى الذي يريده الشاعر، أو قريبًا منه، لأن المعاني لا تتبع الألفاظ مباشرة، ولكنها في الشعر والحكمة، تحتاج إلى مهارة لكي يصل القارئ أو الكاتب إلى المعنى المراد.

يبدأ الشاعر خطابه لحبيبه، ويراه في عينه، كما يصفه، نموذج للسحر والفتنة، وأنه غالبه، كأنه أصبح أسيره، ويأخذ الشاعر يسأل: لمَ كان ذلك؟ ولا يُحَمِّل حبيبه تبعة حاله، ويرد أمر تعلقه به إلى الغبن. وهذا شيء طبعي، أن يكون حال المحب الخسارة وتحمل الأعباء والظلم والحرمان، والذل والانهزام، إلى غير ذلك من التبعات الثقال التي يلقاها المحب ويحتملها، ولكن سرعان ما يضجّ بالشكوى من الجور واستبداد القوي، لما نسميه: «حكم القوي على الضعيف»!

وظنّ الشاعر، بحسّه وتصوّره، أن ذلك الهوى يوليه عزًا، وما أكثر ما ينقاد الشعراء ويُخدعون حين يمضون في توجه نفوسهم، لا يلوون على شيء سوى ذلك الميل، الذي يشغلهم

ويأخذ بألبابهم، ظنًا منهم أنهم قد غنموا ما وصلوا إليه، وما صادفهم، ثم بعد ذلك يفيقون ويحسّون، بعد الصدمات، بأنهم كانوا خاطئين!

صاحب شاعرنا، كعادة هذه النماذج، يتصيد الفرص والضعف والاندفاع بلا احتياط، للسيطرة والاستيلاء والتحكم غير المحدود. وهو ما يصوره البيت الثالث. أما البيت الرابع في تهويمات الشاعر في هواه، فيمضي في تساؤله وحيرته في شيء من استغراب؛ ويرد في تساؤله، أنه قيد الهوى ـ الذي أسماه: ألمًا صامتًا ـ يحمله بين جوانحه، فيكبت آلامه ويغلف حسه في طوايا مواجعه. ويأخذ الشاعر في بسط همومه وأحزانه، وعبر ذلك تساؤل مرير متجدد؛ وخلال هذا السرد، يعرّج على معطيات الجمال وتأثيره، وأن البهاء مفعم في البدر والزهر، وهو أكثر روعة وتأثيرًا، ولو أسعف المعنى ومبنى الشعر، لقال إن جمال تلك الكائنات أسرها؛

لِمَ أهواك أيها المفعمُ النفـ
ـس شجونًا، وحيرة، وشقاء
ألحسنٍ؟ فالحسن في البدر والز
هر أندى وقعًا وأضفى رُواء
أم لمعنى شفَّت مفاتنك العذ
بة عنه، فكاد أن يتراءى
فالمعاني في الكون، ليست على الإنـ
ـسان وقفًا، إلا هوى وادّعاء

ونقرأ بيتًا بيتًا، فنشعر بمعنى المعنى عبر ذلك النسيج، الذي يظهر قدرة الشاعر وعبقريته، فنكبره ونقدره، ونعجب بتلك المعطيات القوية، التي تفضي بروائع المعاني الممرعة، واقرأ إن شئت قوله:

والمعاني بوحيها، ومدى الوحـ
ـي عميق، فيما يضم الوجود

لو ذهب قارئ فطن وراء معطيات تلك الكلمات التي حفل بها هذا البيت، ليبيّن ويشرح

يضرب الأمثال بالحسن في أشياء كثيرة، ويصور المعاني في أشياء كثيرة، وهكذا يدفع الهوى الفكرَ أن يمعن في التأمل فيما حوله، وما هو بعيد منه، ليبدع الوصف، في تصوير بديع.

فتراها في قطعة الأرض والصخـ
ـرةَ شعرًا لم يُلهِ الترديد
وتراها في نأمة الطير للطيـ
ـر نشيدا، لم يجرِ فيه القصيدُ
وتراها في لفتة الظَّبي للظبـ
ـية، سحرًا يُبدي، وحينًا يُعيد

أجل، المعاني كما يقول الجاحظ: مطروحة على قارعة الطريق، يأخذ منها النابه ما يريد ويحتاج إليه، وشاعرنا يترجم ذلك، بأنها في الأرض بما حفلت به من جمال وآيات، ولكنها لمن أوتي نعمة البصيرة، من «الموقنين»، وفي الصخرة قائمة، أو في بناء، وفيها نبتة؛ كما يصورها شاعر الجندول:

لا تقل أخصب الثَّرى
فهنا أورقَ الحَجَرْ

وكذلك الشعر الباقي، باق، يتجدد مع الأيام، لا يَخْلَق. وهي كذلك.. أي المعاني في غناء الطائر لأليفه، لا يجاريه الشعر، وتراها أيضًا في انثناء عنق الظبي لأنثاه، في وئام يغري بالتأمل لحال حيوان مع مثله!

ويمضي الشاعر يرسم في ترائيه، عن المعاني ومعطياتها، متأملاً في صنع الله؛ يضرب الأمثال، وهو ينظر إلى الحياة بعين بصيرة أو قل ببصيرته. كل ذلك وأكثر منه في هذه القصيدة الغزلة، أو قل الوصفية، ليؤكد أن الجمال ليس وقفًا على الإنسان وحده، ولكنه مشاع في أشياء نراها حولنا، كما نرى الأضداد، لأنه لا يُدرك الحسن حقيقة وكذلك القبح إلا بالضد، لذلك قيل: «والضدّ يُظهر حُسنَه الضدُّ»؛ وهكذا نرى شاعرنا حمزة شحاتة يضرب الأمثال في معطيات المعاني، وكأنه أراد أن ينفس عن نفسه بهذا التجنيح والخروج عن الشكوى والألم، وهو ليس أمامه، بما يحمل من إباء، إلا هذا المنحى الذي يركن إليه راضيًا أو غير راض؛ فليس له خيار يمضي فيه، لذلك يشرّق ويغرّب؛ يسوق الشيء وضده في تصوير بديع.

ويتحدث شاعرنا حمزة شحاتة ـ رحمه الله ـ في هذا الشعر القوي، فيقول:

وتراها فيما ترى من جميل
وقبيح، وهيّن وعظيم
صورًا حيّة يناجيك منها
ألفُ وجه من كالح ووسيم

شعر حمزة شحاتة يتسم بالقوة؛ يطربك حين تقرؤه أو تسمعه، لأنه شاعر مبدع، مجدد فيما يقول، في نسق خطابي باهر!

إن صح أن لها أسرًا لا يصل إلى حكم تأثير حسن البشر، وأن من يحب، نفسه ملأى بالهم والحزن والحيرة والشقاء، وهل مرد ذلك: الحسن، أم مرده شيء آخر خفي، تدل عليه مفاتن جماله البادية العذوبة والتموج والإبهار، ووراء شيء شفيف، يوشك الجمال غير البادي أن يُرى. ولعل شاعرنا، المجيد السبك اللفظي والمعنوي، أراد أن يسلّي نفسه، ليخفف عنها ضغوط الانقياد لمن يهوى، فيعلن في بيانه أن الجمال مشاع في كون الله الفسيح، وأن الحسن ليس منحصرًا أو متمثلاً في الإنسان وحده، وإن طال الادعاء! وهذا حق؛ وحين نقف على شيء من آيات الكتاب العزيز، التي تُعنى بالجمال؛ نقرأ قول الله تعالى: *وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ*. **الملك**:5. وقال عز سلطانه: *وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً*. **النحل**:8. وقال سبحانه وتعالى: *وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ*. **النحل**:6. حقًا، إن الذي يعرف حياة البراري، لاسيما في أوقات الربيع، يدرك ذوو الحس ذلك الجمال بين الحيوان الراتع والزرع والنوار الأخاذ!

مكامنها، لاحتاج إلى تأمل عميق، وإلى تفكير معمّق يوصله إلى أبعاد هذا الشعر الحي النابض القوي؛ وهذه هي القيمة للشعر، أيًا كانت تراكيبه، ليبقى مع الأيام، متوهّجًا، لأنه قيمة في ذاته، لا يستمدها من غيره، ذلك أنه جوهر متجدد المعاني والمعطيات مع كل قراءة، لأنه قيمة غالية وعالية، لأنه رائع.

انظر إلى رؤيا الشاعر للمعاني وما توحيه من بعد وعمق مما يحفل به الكون، وما أكثرها، ولعلها تحتاج إلى حسّ، وإلى تأمل وتدبّر وتفكير!

قال تعالى: *أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ. وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ. رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ*. **ق**:6-11. وقال تعالى: *وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*. **الذاريات**:20. وهكذا يحلق الشاعر، حين يدفعه حسه، وهو شبه مكبل بالهوى، أن يسبح في تأمل بعيد وقريب، لكي

كل وجه دنيا بتاريخه النا
بض، تَصبّى بحادث وقديم
وفضاء لا يعرف الحد والقيـ
ـد، ولا وغرة الضنى والسهوم

وتنطلق هذه القصيدة ثرارة متموجة، فيها هذا السبح الوصفي الأخاذ بمعانيه وألفاظه التي عني بها الشاعر، ولم يكن مرد هذه الجودة الهوى الذي شغل قلب الشاعر ومشاعره ونفسه، ذلك أن شعر حمزة شحاتة يتسم بالقوة؛ والشاعر العبقري قادر على صياغة الدُّر المنضود، تلك المعاني التي غاص الشاعر وراءها لاستخراجها من مكامنها، لينسج منها ومن اللفظ غير السطحي، شعرًا قويًّا، يطربك حين تقرؤه أو تسمعه، وتحفل به، ويمتلك عليك نفسك، إعجابًا به وبقائله، لأنه شاعر مبدع، مجدّد ومجوّد فيما يقول من هذا البناء الشعري؛ في نسق خطابي باهر. ونمضي مع الوصف والتساؤل من خلال هذه الانطلاقة في الهوى، الذي قيده وكبّله، فأخذ يغرّد، مثل الطائر السجين، لا يكف عن الصدح والغناء، لأنه طُبع على الصدح والتغني سبحًا وسابحًا، وليس ذلك تكلّفًا ولا تصنّعًا، وإنما هي سجية فيه مركبة ومغروسة، من الذي خلق فسوّى؛ ويدندن الشاعر فيقول:

أم لحسن، والحسن في البرعم المكـ
ـموم، لطف يسري، وروح يرفُّ
وهو في مولد الربيع حياة
تتصبّى، وفتنة تستخفُّ
وهو في لفتة الخريف وداع
ودموع ثرّارة، ما تجفُّ
وهو في عزلة الشتاء انقباض
وصموت، يعدي المشاعر وحفُ

ومع الحسن في هذا التصوير الممتع في جنة الربيع اليانع، وهذا الفصل يشبه صبا العمر، لأنه ربيعه المزهر، وحين تتصبى الحياة، فتكون فُتوة، وتكون فتنة.. تستفز صاحبها أو من حوله ومن يراه.

وأسر الحسن الشاعر، فمضى يصور مواكبه، وتأثيره، ويقيس عليه ما يعتمل في الحياة، ويصف وقد الحسن، كالرّمضاء، تكوي فتنداح منها الشكوى، مما تحدثه من ضيق وعناء، والحسن كذلك، في جريان الماء المنساب في هينة، كأنه لحن، وهو لحن جميل، لاسيما مع نسمة وسنى غافية، فترى الطبيعة خفاقة بما فيها من الصنع البديع؛ وترى حولك في الربيع الوادع انتشار الزهر، من كل لون وعبق فوّاح، تغدو به النسمة لنشر شذاه؛ وهو كذلك جمال ممرع، ليس على الأرض وحدها، ولكنه في السماء، بين تلك الدراري المتلألئة، وفي السحاب الماطر، والسماء المضاءة بالشمس والبدر، تلك لوحات تملؤها الروعة والبهاء، وقد زينها الله، والأرض أنبت فيها من كل زوج بهيج، بعد أن مدها وألقى فيها رواسي، فكانت بأنهارها وبحارها وزروعها وأوديتها وجبالها جنات بما فيها وعليها!

وهو في وقدة الظهيرة شكوى
مرهق، ضاق بالظهيرة وقدا
وهو في همسة الجداول لحن
طاب في مسمع الطبيعة وقعا
وهو في ملتقى الظهور حديث
لم تضيّع له النسائم رجعا
وهو في الأرض والسماء جمال
يتفشّى هوى، وينساب لمعا

هكذا ينساب الشاعر مع خياله ولحنه الجميل يصف الحسن في كل شيء أمامه، ومما يرى ويسمع، ويتأمل برؤية بعيدة الامتداد في هذا الكون المعجب، وعبر معارف الإنسان وفكره، لأنه شاعر عبقري، عميق التأمل، دقيق الملاحظة؛ غير مقيّد ولا مكبّل، ذو ذهن صاف، يعيش بحواسه مع ما حوله من الكائنات التي تُملي على ذي الخيال الجائل، والفكر المتوهج رؤية وتأملاً لا يحظى به كل إنسان، لأن له عطاء نال به ذلك السبح؛ وهو الذي اصطلحنا على تسميته بالموهبة، التي تعطيه ذلك التميز والتفرّد وقوة اللمح والقدرة على التصوير بهذا التخيل البارع، الذي نجده فيما نقرأ من جمال الصياغة. وما أكثر الذين يحاولون الارتقاء إلى مصاف التميز والعبقرية، ولكنهم لا يبلغون ما يريدون، لأن طاقاتهم تقصر عن الوصول إلى القمم، فقعدت بهم دونها، وهم غير قانعين، وتجدهم يحاولون الادعاء بأنهم عباقرة، وأنهم أنتجوا الكثير والكثير، والكثرة ليست مقياس الجودة، ولن تكون يومًا ما. ومهما يكن من شيء، فإن الشاعر الكبير حمزة شحاتة، رجل ذو ذهنية قوية، وخاصية عبقرية قليل هم الذين يزاحمونه فيها، ومع ذلك كان حظه نكدًا، لأنه حُرم ما ينبغي أن ينال في دنياه، تقديرًا لعبقريته وفنه الأصيل. وهو رجل ذو إباء وشمم، لم يتدان، ولم يضعف، فعاش عزيزًا مع القل، ومات عزيزًا، لأنه لم يذل، ولم يهن، وحين يئس، آثر العزلة، ذلك أن فيها عزاءً وبعدًا من دنيا الجحود وغمط التقدير، وتلكم غاية الذي يقصر حظه عن نيل ما يستحق، فينأى في عزة، وقد صح منه العزم، وصدق المطمح، ولكن الحياة

ظلمه عصره!

تجري على نحو ما، تختلف عن الحسابات والتقديرات التي يتخيلها المرء، وحسبي استشهادًا ما ساقه الجاحظ:

لئن قُدِّمت قبلي رجال فطالما
مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه
فتبرم منقوضًا وتنقض مُبرما

ونعود لشاعرنا بعد ذلك التحليق في حديث الحسن والجمال، وأنه مشاع في أشياء كثيرة، ليس في الإنسان وحده، ذلك أن الكون كله جمال، وإذا رأيت فيه شيئًا من خلل فإنه من تدخل الإنسان وعبثه وإفساده.

بعد تلك الأمثال التي ساقها الشاعر فيما قدمت من شواهد من قصيدة: «لمَ أهواك؟»، نصل إلى الرد على التساؤل؛ وهو تساؤل آخر لعله امتداد لسابقه، فيقول:

ألهذا أهواك؟ يا مثقل القلـ
ـب بهمّ من الشقاء طويل
أم لذل أذقتني منه ما أظـ
ـمأ روحي على رواء مَخيلي

في البيت الثاني، الجميل التركيب والمعنى، يخاطب الشاعر من يحب، بأنه أذله، لأنه محب؛ فذاق من ذلك الظمأ الروحي، رغم أن سحائبه كثيرة المطر والرّي، وهذا قريب من قول الشاعر:

كالعِيس في البيداء يقتلها الظما
والماءُ فوق ظهورها محمولُ

والظمأ عند شاعرنا معنوي، فقد دهاه حاله، وحرمانه، حتى إنه يرى الماء لا يبل الصدى ولا يجديه شيئًا، لأن ظمأه ليس جسمانيًّا، وإنما هو روحي.

أم لهذا الفتون يروي به غيـ
ـري غليلاً وما يبلّ غليلي
أم لجهل عرفت سيماه فيـ
ـك، وشأن من الذكاء ضئيل؟

والفتون، ما يعجبك وتشغل به، يرى الشاعر أن غيره يُروى به، وهو صاد عطش، لا يجد ما يبل ريقه، كناية عن الحرمان في الهوى، على كل ما يبذل ويسعى ويصنع، وغيره ينال حظه في يسر وهناءة! ويعلل الشاعر بأن ضعف ذكاء من يهوى، وجهلاً ظاهر المعالم أدّيا إلى عدم التقدير والإنصاف، وأدّيا إلى الظلم وسوء التعامل. ولم تعجبني كلمة وشأن، لأنها لم تكن في موقعها الذي يناسبها!

أتراني أهواك حقًا؟ فما فيـ
ـك لمثلي معنى يمازج حسّي
أم تراني أهواك زوراً؟ فلم يصـ
ـبح قلبي على هواك ويُمسي
أم تراني أحب فيك ـ وما أشـ
ـعر ـ نفسي، وأنت عندي كنفسي؟
لأنا منك في سبيل من الحيـ
ـرة تضني عقلي، وتثقل حدسي

تساؤل تكتنفه الحيرة والوجد، وذلك دأب الهوى وديدنه ومساره عبر طول الحياة وتقلباتها وهمسها الذي لا ينتهي. ونرى الشاعر، في بدء هذه الرباعية، يبدأ حديثه بسؤال شبه استنكاري؛ كأنه أفاق وصحا مما كان فيه، فهو يشكك في ميله وهواه؛ وينفي أن يكون فيمن يحب خصال تتلاءم ونفسه وأحاسيسه. ويصل التراجع بالشاعر إلى حد أن هواه ليس فيه شيء من حقيقة، وإنما هو مزوّر، وأن قلبه ليس متعلقًا به صباح مساء. ويعرّج في هذا التساؤل المتصل، فيرى أن الهوى لإرضاء النفس، يجعل حبه لمن يهوى، كحبه لنفسه، لأنه هاوٍ، والمردود عن الحاجة، وفكره مقيد، ذلك أنه يعاني آلام الهوى، ليس حراً، ومن هنا ففكره مشغول مقيد، غير طليق، وإنما هو سجين مكبل تبعًا لصاحبه!

ويصف حاله، حين يغيب عنه، بأنه يجتاحه الملل والسأم، وهو في كرب عظيم، ومتعب مهزول، قد أدركه العياء. وقد أهمل المشرف على طباعة الديوان ـ الدكتور بكري شيخ أمين ـ إيضاح وشرح الكثير من الكلمات، التي تتطلب تقريبها من القارئ، لأنه عَجل، ولعله يرى أنه غير مَعْنيٍّ بذلك، وهو تقصير محسوب عليه؛ فلماذا لم يضع تعريفًا وشرحًا لكلمات مثل: المفعم، أضفى، يرفّ، كالح، وحف، شرارة، مخيلي، تهفو، ترسف، المكبوح، طليح.. إلخ.

وفي البيت الأخير من الرباعية، يعلن شاعرنا أن محبوبه إذا ظهر وبان، فإن روح الشاعر تشرق، وتبتهج وتصفو وتسعد، وهو حال المحبين، لاسيما ذوي الشفافية والحساسية، لا متبلدي الحس والشعور!

التخفيف عن النفس من همها، فيقول: إنني لم أهوك للجمال، لأن جمالك مريض؛ ويقول له في البيت الثاني إنه لا يحبه لشبابه، لأن الشباب عمره قصير، ولا لمشاعر دفّاعة إلى ملامح الجمال، لأن الحسن متغيّر وزائل. وأن من شغل الحياة الاهتمام بالجمال، وهو عناء وهمٌ للعقول، حيث تشغل به، فهو جذاب وساحر ومرغوب فيه، ومتعلق به لذاته، حتى أعتى النفوس والقوى، يقهرها الحب، ويذلها، ويرمي بها بين الأرجل، ذلاً ومهانة وضعفًا، على حين تجد الشجاعة والبطولة منها في الحروب والقتال، فالحب إذن سلطان جبّار قاتل!

أنت في فكرتي غناء وقيد
وبقلبي أسًى يلظ شعوري
يبسم الناس للحياة وأغضي
دون غايات لهوهم كالأسير
حالَ حسنُ الحياة والنور في عيـ
ـني، فنفسي تهيم في ديجور
وأراني أستروح النسمة الحيـ
ـرى، وجدواك لي كجدوى الهجير

هكذا الحال عند المحبين، ـ غناء وقيد ـ إن صح التعبير، فالغناء إطراب، ومحبب عند كثير من الناس، أما القيد فهو أسر؛ لأنه تحكم وتسلّط، وللحب في النفس والقلب آلام ملازمة لشعور الإنسان، ومنهم شاعرنا! ويتحدث الشاعر، وهو يبسط قضيته، أن الناس سعداء في حياتهم، يعني الخالين من الأسر المكبل لهم.. بما يسمى الهوى؛ أما هو فمتغافل صامت؛ جفونه لا ترى ما يشغلون به من لهو ومرح، لأنه يشبه الأسير مما هو فيه؛ لأنه حزين مكروب، لا يحفل بشيء مما حوله. وأن جمال الحياة والضوء في عينيه قد تغير، وأن نفسه سارحة في ظلام؛ لا يرى شيئًا، ولا يرى جميلاً، كأنه لا يرى! وهو يطرب للنسمة الحائرة في مداراتها، ولكنها لا تضفي عليه شيئًا، بل إن معطياتها أشبه بالصهد في الهاجرة القائظة الواقدة!

كان حمزة شحاتة شاعراً عبقرياً، عميق التأمل، دقيق الملاحظة، ذا ذهن صافٍ. وكان صاحب موهبة أعطته التميز والتفرد والقدرة على التصوير!

وكأنه نفسه؟ ذلك شأن المحب في مختلف أطواره. ولأن حاله كذلك، فهو حائر، تعب، عقله مثقل بظنه وتخمينه، وكأنه في دوامة، ولا أدل على ذلك من هذا التناقض الموّار!

لست تدري! نعم، ولا أنا أدري
لمَ تهفو إلى لقائك روحي
ولماذا أكون فيك كمَا تر
سف في السجن، فكرة المكبوح
ولماذا أكون إن غبتَ في دنـ
ـيا سؤوم، جم الكروب طليح
فإذا لحتَ أشرقت، وتلقتـ
ـني بوجه طلق المحيا صبيح

هكذا طبع المحب وحاله، يدفعه القلق إلى حيرة تشغل عقله ونفسه، وهكذا تراه يسأل ولا يجد الجواب، لمَ تميل نفسه وتذهب نحو من تحب، طروبة جذلى، وأن الشاعر في ميله شبيه بالمقيد،

لست أهواك ـ لا هويتك ـ للحسـ
ـن، فهل فيك غير حسن عليل
لا، ولا للشباب والعمر الغـ
ـضّ، فعمر الشباب غير طويل
لا، ولا للشعور أو لمحة الحسـ
ـن، هما فيك مثل رسم مُحيل
ومجال الحياة أحفل بالحسـ
ـن، ولكنه شقاء العقول

تأخذ الحيرة بتلابيب الشاعر، كأنه يفتش عن مخرج، ويبحث عن حلول، فتراه يعلل، ويسوق الافتراضات والعلل، ليهون عن نفسه ويسليها، كشيء من تنفيس؛ علّه ينسى أو يتصبّر، فيصحو من سباته وهمه الذي كبّله، لأن الهوى سلطان يجثم على النفس؛ فيرديها ويذلها ويحيرها، ويصليها ناراً، ويملؤها همًا وغمًا!

يخاطب الشاعر من يهوى، وهو ضرب من

أيّ حاليك أشتكي؟ أنت في القر
ب، وفي البعد مطمع مُطول
وكم ارتحت لي بجملة ما فيـ
ـك، فلم يَروَ لي عليه غليل
أوَراء السّمات من حسنك الذا
بل، وردٌ بما أريد حفيل
لست أدري، أذاك من صنع وهمي
فيك أم أنه جمال أصيل

لا يدري الشاعر أي جانب يشتكي ممن يهوى؟ فالذي يحبه يجده في قربه وبعده موضع رغبة وطمع، ولكنه غير ميسور، لأنه ذو مطل

وتسويف، وأن ارتياحه لكثير مما فيمن يحب؛ ولكن الشاعر يظل ظامئًا، لم يرو عطشه، لأنه نهم، ولعله لم ينل شيئًا يهنأ به!

ويشغله التساؤل المتّصل، كأنه يبحث عن ضائع، وعن غائب، يسأل عما وراء الملامح من الحسن الذي ذبل، بفعل الزمن والحياة، هل خلفه مورد يطفئ ظمأ الشاعر؟ ويستدرك شاعرنا، فقد تكون تلك الرؤية من صنيع الوهم، أم إن الجمال مؤصل، والشاعر لا يرى ما حوله، ولعله ينظر ولا يبصر!

لتمنيت أن أكون عبيرًا
ضل مسراه، في جوانب صدرك
أو دمًا شفّ في عروقك عن سر
ر معانيك، في مفاتن سحرك
أو خيالاً يجول في قلبك السا
ذج، قرّت فيه حقيقة أمرك
أو كلامًا يدور في فيك سكرا
ن، أطافت به حلاوة ثغرك

هكذا يتمنى الشاعر في خطابه، أن يكون عطرًا تاه طريقه في ساحة صدر من يحب، أو يكون دمًا يسري في عروق محبوبه، يشف عن أسرار المعاني في مغريات الجمال وسحره. وأن يصبح خيالاً يجوب في قلب صاحبته، ليكشف ما فيه، أو يقف على ما فيه حقيقة؟ أو كلام غير صاح، إن صح هذا التعبير؛ يسرح في فم حبيبه، تحيط به حلاوة ثغرها!

هذا التساؤل، لكي يصل إلى علة تعلقه، وتتيمه في هواها؛ ويكتشف ما وراء سر الحقيقة المتغيّر؛ لأنه تواق إلى أعماق ما فيها، ولا يريد الإلمام بالقشور، وهذا توجه فيه إباء، على كل الصّور والحالات التي رأيناها في تعابير الشاعر وشكواه!

ولكن الشاعر قلق، غير مطمئن، حتى لو وصل إلى ما يريد معرفته ورغائبه، ذلك تقديره وحساباته، وهي كذلك ظنة وتهويمات نفسه، لأنه تقدير.. وظن الحب، الذي يُريه القليل كثيرًا. ومرد ذلك أن الحب أعمى كما يقول المثل السائر!

لأرى ما الذي يتيمني فيـ
ـك، وألقاك خلف هذا الحجاب
فأنا ظامئ إلى كنه ما فيـ
ـك، فما أرتضي فضول الشراب
لست بالمستريح فيك إلى الغا
ية، لو نلت من مناي طلابي
ذاك ظني، لكنها ظلّة الحُبْـ
ـب، تريني ضحْلَ الهوى كالعباب

إن نمط هذه القصيدة التي بين يديّ واحد، هو تساؤل حائر؛ ونفس بين الاستسلام والانهزام والإباء، إنه قلق النفس الشاعرة المحبّة، لا استقرار لها، ولا راحة بال، ولا انتصار على النفس، ولكنه وجل يلاحقها؛ مرده الهوى الذي يعتمل في النفس، فيعكّر صفوها، ويبعث فيها القلق والحيرة؛ ويتحول إلى شكوى وتبرم بالحياة، التي هي تعب كلها، كما قال شيخ المعرة؛ والإنسان فيها يدور معها، ويتقلب مع أيامها ولياليها!

فتكشّف عما انطويت عليه
لأرى في هواك نهج الصواب
فأنا منك في بلاء أعاني
ـه، ولون من المعيشة كابي
وجهاد ضاقت به النفس ذرعًا
وصعاب موصولة بصعاب
أنت دانٍ، لكنّ (ما فيك) ناء
وسبيل الحياة دونك نابي

تمتد الشكوى عبر أبيات القصيدة، وتبدأ هذه الرباعية بيحث المحب معرفة ما انطوى عليه المحبوب، كأنه يريد قراءة صفحات حياته، أو المنطوي منها، لأن البحث وراء المجهول هو مفاتيح الشخصية؛ والشاعر يريد أن يصل في حبّه إلى النهج الصائب، وقفلة هذا البيت لم تعجبني، لأنها ليست في مستوى ما عودنا الشاعر من اختيار الكلمات الشاعرية المجنّحة، في سبله وبنائه الجميل؛ من تلك الطاقة والقدرة لديه!

ويعلن في غير تحفظ: أنه في هم من ذلك الحب، ومن المحبوب نفسه، وحال كئيبة خلال عيشه، لأن نفسه مضطربة. فهو في جهاد، كما أسماه، وأنّ نفسه قد ملّته، لأنه كَبَد متصل، وصعاب وراء صعاب. وأن مخاطبه قريب، لكن قلبه بعيد، والتوصل متباعد، والقرب بعد! ونمط الحياة فيها كبر وتعاظم، فلا سبيل إليها!

أنصيبي من الهوى هذه الوقـ
ـدة، يشقى بها فؤادي اللهيفُ؟
أفأنت الجاني عليّ وإلا
هو فكري الظامي وحسي العطوفُ؟
وهما فيك ثائران عفيفا
ن، كما ثار في القيود الرّسيفُ
طَلَبَا فيك ما أضلاّه من حلـ
ـم (وما فيك) ظاهر مكشوفُ

إن هذا التساؤل والحيرة ممتدان منذ بدء القصيدة إلى آخرها، فهو يرى في بدء هذه الرباعية ـ والقصيدة مقسمة إلى رباعيات، كل واحدة لها قافية تختلف عن أختها، أما وزن القصيدة فهو واحد ـ يتساءل الشاعر: هل نصيبه

ظلمه عصره!

في الحب تلك النار التي تلوّع فؤاده الحزين المتحسر المحترق؟

ويسأل الشاعر من يحب إذا كان هو الجاني عليه، أم الجاني هو فكر الشاعر العطش وحسه المتعاطف؟ لكنهما عند المحبوب ثائران عفيفان، أي الفكر والحس، كما هي حال المقيد حين يثور. يعني الشاعر أنّ فكْر من يحب وحسه: ثائران وعفيفان، فهما غير حَال الشاعر المضطرب القلق، لكن الهوى لا تحكمه العفة والثورة، لأنه هوى غير مقيد، وإنما هي عاطفة ووجدان! وهاتان الخصلتان طلبا من صاحبهما ما فقد من حلم، وما هو ظاهر ومعلن في تلك النفس، لأنهما قوة مقيّدة بالعفة، ولأنهما لم يجدا في تلك النفس مردودًا أو إصلاحًا لحالها؛ وهو تدليل رائع من الشاعر المجيد.

وكذا يطلب الخيال الأماني
وهو عن واقع الحياة عزوف
والهوى ـ كالحياة ـ قد يبلغ الجا
رم منها، ما لا ينال العفيف
رب نفس نالت مناها على العيـ
ـش، وأخرى نصيبها التسويف
وهي دنيا الشذوذ يُرفَع الجا
هل فيها، ويُستذل الحصيف

وهكذا تنتهي هذه القصيدة بهذه الرباعية الأخيرة، التي تبدأ بقول الشاعر؛ إن الخيال يطلب الأماني، لكن الخيال زاهد في واقع الحياة، ولم تعجبني كلمة واقع ـ هذه ـ لأنها غير شاعرية. ويعلن الشاعر: أن الهوى كالحياة، قد ينال منها الجاني ما لا ينال العفيف. والأبيات الثلاثة الأخيرة في هذه المقطوعة فيها تصوير دقيق المعاني وأمثال من صميم الحياة؛ كما رأينا في قوله:

والهوى ـ كالحياة ـ قد يبلغ الجا
رم منها، ما لا ينال العفيف

وهذا حق لا مراء فيه، وقوله: رب نفس نالت مناها على العيش ـ وأرى أن يكون حرف الجر من أو مع بدلاً من «على»، فذلك أسلم في هذا البيت ـ وأخرى نصيبها التسويف. حقًّا ما قال الشاعر، «فنفس مكرمة، ونفس تُزْدَرَى». والتسويف هو الوعد الذي لا إنجاز له، وإنما هو مطل لا يتحقق من ورائه شيء. وفي دنيا الشذوذ، كما يصورها الشاعر، يسعد الجاهل، وينال مبتغاه، ويرتفع شأنه، غير أن محكم العقل حاله الإبعاد والتناسي والبخس، وذلك شأن الحياة عبر مسيرتها الطويلة. وإلى اللّه ترجع الأمور.

العبقرية واللغز

المتنبي

بين عشق الذات وعشق المال

د. أحمد محمود الخليل

قليلة هي الشخصيات التي تضيق بعصورها فتتخطاها، وتحتلّ مساحة مهمة في ذاكرة التاريخ. وهي لا تكون كذلك إلا لأنها تتّصف بالعبقرية، وتتفرد بخصائص متميّزة يفتقر إليها الآخرون. بلى، تلكم هي القاعدة. لكن يبقى الاستثناء، وهو الوجه الآخر للشخصيات غير العادية.

وأبو الطيب المتنبي من المشهودين لهم بالعبقرية في تاريخ الأدب العربي..

فماذا عن القاعدة والاستثناء في شخصيته؟! ماذا عن العبقرية واللغز؟!

مالئ الدنيا.. وشاغل الناس

هو أبو الطيب المتنبّي - أو المتنبّه كما يسميه المغاربة - أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجُعْفي، كوفي المولد (303هـ)، عربي الأصل، وضيع المنبت، نشأ نشأة بدوية، وظلّ متشبّثًا بالبداوة على الرغم من تحضره، وفي بادية السماوة قام بالدعوة المختلف بشأنها: أكانت ادّعاءً للنبوّة، أم كانت طلبًا للفتح والرياسة؟!.. وهل ادّعاها هو أم ادّعاها عليه أعداؤه؟!(1)

ومهما كان من أمر فقد سُجن بسبب تلك الدعوة، وبعد خروجه من السجن تفرّغ للشعر، فقصد سيف الدولة الحمداني في حلب ببلاد الشام، ثم توجّه إلى كافور الإخشيدي في مصر، ويمّم بعدئذ وجهه شطر بلاد فارس، وحلّ في بلاط البويهيّين، ونال جوائز وزيرهم الشهير أبي الفضل بن العميد (ت360هـ) أولاً، وعطايا ملكهم عضد الدولة آخرًا. وقُتل، على نحو دراميّ، في طريق عودته إلى العراق مع ابنه وخادمه، وكان ذلك سنة 354هـ(2).

والمتنبّي عبقرية شعرية فذّة.. وقد قيل: «كان أبو العلاء المعرّي إذا ذكر الشعراء يقول: قال أبو نواس كذا، قال البحتري كذا، قال أبو تمام كذا، فإذا أراد المتنبّي قال: قال الشاعر كذا، تعظيمًا له»(3).

ونقل بعض أئمة أهل الأدب أن رجلاً من مدينة السلام (بغداد) كان يكره أبا الطيّب المتنبي، فآلى على نفسه ألا يسكن مدينة يُذكر فيها اسم أبي الطيب، ويُنشد كلامه، فهاجر من مدينة السلام، وكان كلّما وصل بلدا يسمع بها ذكره يرحل عنها، حتى وصل إلى أقصى بلاد الترك، فسأل أهلها عن أبي الطيب فلم يعرفوه، فوطّنها، فلمّا كان يوم الجمعة ذهب إلى صلاتها بالجامع، فسمع الخطيب يُنشد، بعدما ذكر أسماء الله الحسنى، قول أبي الطيب:

أساميًا لم تَزِدْهُ معرفةً
وإنّما لذّةً ذكَرناها(4)

فأدرك عندئذ أنه في كرهه للمتنبّي كناطح صخرة يومًا ليفلقها.

ويذكر ابن خلّكان (ت681هـ) اهتمام العلماء القدامى بعبقرية المتنبّي الشعريّة، فيقول: «واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه، وقال لي أحد المشايخ الذين أخذت عنهم: وقفت له على أكثر من أربعين شرحًا ما بين مطولات ومختصرات، ولم يفعل هذا بديوان غيره»(5).

وبعد هذا كلّه، كيف لا يكون المتنبي مالئ الدنيا، وشاغل الناس، كما قال فيه بعض النقّاد القدامى؟!

كبرياء.. أم نرجسية؟!

يخيّل إلينا أنّ إحساس المتنبي بما يتمتع به من مخايل العبقرية هو الذي حمله على أن يُدلّ بنفسه على الناس، ويفخر عليهم جهارًا، بل وبقدر كبير جدًا من العُنجُهيّة. وهذا واضح في قوله في صباه:

أمِطْ عنكَ تشبيهي بما، وكأنه
فما أحدٌ فوقي، ولا أحدٌ مثلي(6)

وكذلك في قوله:

إنْ أكنْ معجبًا فعُجْبُ عجيب
لم يَجدْ فوقَ نفسه من مَزيد(7)

ولعلّ شعوره بالتميّز كان من وراء ما عُرف عنه من التكبّر والترفّع، وروي في هذا الصدد أن المتنبي اشترط على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد، وأنه لا يُكلَّف تقبيل الأرض بين يديه، فنُسب إلى الجنون، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط(8).

وكان إعجابه بنفسه يجرّ عليه الكثير من الوبال، ويحرمه غير قليل من المال.

فبعد رحيله عن مصر هاربًا من كافور الإخشيدي، أقام في بغداد عاصمة الخلافة العباسية إذ ذاك، لكنّه ترفّع عن مدح الوزير المهلّبي (ت352هـ)، ذاهبا بنفسه عن مدح غير الملوك، فشق ذلك على الوزير المهلّبي، فأغرى به شعراء العراق، حتى نالوا من عرضه، وتباروا في هجائه(9).

وها هو ذا أبو علي الحاتميّ (ت388هـ)، أحد أنصار الوزير المهلّبي، يقول للمتنبي في غيظ وهو يناظره: «أبنْ لي - عافاك الله - ما الذي يوجب ما أنت عليه من العَظَمة والكبرياء؟! هل هنا نسب يورثك الفخر، أو شرف تُوّجت به دون أبناء الدهر؟»(10).

وبعد أن اتخذ المتنبي الليل جملاً، وفارق بغداد متوجّهًا إلى حضرة وزير البويهيّين أبي الفضل بن

العميد، طمع الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت:385هـ) في أن يزوره بأصفهان، فكتب يلاطفه في استدعائه، ويضمن له مشاطرته جميع ماله، فلم يقم له المتنبي وزنًا، ولم يجبه عن كتابه، فصيّره الصاحب غرضًا يرشقه بسهام النقد، ويتتبّع عليه سقطاته وهفواته، وكان أعرف الناس بحسناته، وأكثرهم استعمالاً لها، وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته(11).

اللغز الكبير

في حياة معظم العباقرة جوانب مثيرة، انتهت بهم، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، إلى مواقف تبعث على الدهشة، وتحملنا على أن نضعها في دائرة المواقف غير المألوفة (الشاذّة).

وفي شخصية المتنبّي أكثر من ظاهرة مثيرة، على أننا ندير البحث هنا حول ما ارتأينا أن نسميه: عشق المال.

فقد حكى أبو الفرج الببّغاء، عبدالواحد بن نصر المخزومي (ت398هـ)، وهو من شعراء سيف الدولة وكتّابه، وصديق للمتنبي، قال: «كان أبو الطيب يأنس بي، ويشكو من سيف الدولة، ويأمنني على غيبته له، وكانت الحال بيني وبينه عامرة دون باقي الشعراء، وكان سيف الدولة يغتاظ من تعاظمه، ويجفو عليه إذا كلّمه، والمتنبي يجيبه في أكثر الأوقات، ويتغاضى في بعضها.. وأذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بَدْرة (كيس فيه عشرة آلاف درهم)، فشقّها بسكين الدواة، فمدّ أبو عبدالله بن خالوية طَيْلسانة، فحثا فيه سيف الدولة صالحًا (قدرًا كبيرًا من المال)، ومددت ذيل دُرّاعتي، فحثا لي جانبًا، والمتنبي حاضر، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل مثل فعلنا، فما فعل، فغاظه ذلك، فنثرها كلّها على الغلمان.

فلمّا رأى المتنبي أنها قد فاتته، زاحم الغلمان يلتقط معهم، فغمزهم عليه سيف الدولة، فداسوه وركبوه، وصارت عمامته في رقبته، فاستحى ومضت به ليلة عظيمة، وانصرف. فخاطب أبو عبدالله بن خالويه سيف الدولة، فقال: يتعاظم تلك العظمة، وينزل إلى مثل تلك المنزلة، لولا حماقته!..»(12).

ويذكر أبو الفرج الببغاء موقفًا آخر يؤكد حرص المتنبي على المال، فيقول: «حضرت عنده يومًا وقد أُحضر مال بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشه، فوُزن وأعيد إلى الكيس، وتخلّلت قطعة كأصغر ما يكون خلال الحصير، فأكبّ عليها بمجامعه يعالج لينتقذها منه، واشتغل عن جلسائه، حتى توصل إلى إظهارها، وأنشد قول قيس بن الخَطيم:

تَبدّت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجبٌ منها، وضنّت بحاجب

ثم استخرجها. فقال له بعض جلسائه: أما يكفيك ما في هذه الأكياس حتّى أدميت إصبعك لأجل هذه القطعة؟! فقال: إنها تُحضر المائدة»(13).

وهذا موقف ثالث للمتنبي إزاء المال:

ذكر أنه دخل مجلس ابن العميد، وكان يستعرض سيوفًا، فلمّا وقع نظره على أبي الطيب نهض من مجلسه، وأجلسه في دسته (سريره)، ثم قال له:

- اختر سيفًا من هذه السيوف.

فاختار منها واحدًا ثقيل الحلَى، واختار ابن العميد غيره. فقال كلٌّ منهما: سيفي الذي اخترته أجود، ثم اصطلحا على تجربتهما.

فقال ابن العميد: فبماذا نجرّبهما؟

قال أبو الطيّب: في الدنانير؛ يؤتى بها، فيُنضد بعضها على بعض، ثم يضرب به، فإن قدّها فهو قاطع.

فاستدعى ابن العميد عشرين دينارًا فنُضدت، ثم ضربها أبو الطيب فقدّها، وتفرقّت في المجلس، فقام من مجلسه المفخم يلتقط الدنانير المتبدّدة.

فقال ابن العميد: ليلزم الشيخ مجلسه، فإنّ أحد الخدّام يلتقطها، ويأتي بها إليك.

فقال: بل صاحب الحاجة أولى(14).

الهوس بالمال في شعر المتنبي

لقد تنبّه الأقدمون إلى هوس المتنبي بالمال، ومن هؤلاء أبو بكر الخوارزمي (ت:383هـ) قال: إن المتنبي كان قاعدًا تحت قول الشاعر:

وإنّ أحقّ الناس باللّوم شاعرٌ
يلومُ على البخل الرجالَ، ويَبخَلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله:

بَليتُ بلى الأطلال إن لم أقفْ بها
وقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التُرْب خاتَمُه

وقال ابن فُورّجة (ت نحو 455هـ): «كان المتنبي داهية، مُرّ النفس، شجاعًا، حافظًا للأدب، عارفًا بأخلاق الملوك، ولم يكن فيه ما يَشينه ويسقطه إلا بخله وشرهه للمال»(15).

ويظهر اهتمامه بالمال في بعض صوره الشعرية، كقوله في وصف شِعْب بوّان:

غدَونا تَنفُضُ الأغصانُ فيها
على أعرافها مثلَ الجُمانِ
وألقى الشرقُ منها في ثيابي
دنانيرًا تَفرُّ من البَنان(16)

ويقول صاحب «الصبح المُنْبي عن حيثية المتنبي»: «وقع في شعر أبي الطيب الوصيّة بالحزم، وضبط الأموال، كقوله في مديح كافور:

فلا يَنحلْ في المجد مالُكَ كلُّه
فَينحلَ مجدٌ كان بالمال عَقدُهُ
ودبِّرهُ تدبيرَ الذي المجدُ كفُّهُ
إذا حارب الأعداء والمال زندهُ
فلا مجدَ في الدنيا لمن قلّ مالُه
ولا مالَ في الدنيا لمن قلّ مجدُهُ

فأمر كافورًا بالبخل حيث حرمه»(17).

مقتل المتنبي.. هل كان نتيجة لطمعه؟

باديْ ذي بدء لماذا توجّه المتنبي إلى بلاد فارس؟! ولماذا كلف نفسه عناء الوصول إلى الوزير البويهي ابن العميد، ثم الملك البويهي عضد الدولة؟!..

أو لم يكن البويهيّون الأعاجم يسيطرون على مقاليد الأمور في بغداد دار الخلافة العباسية، ويتحكمون من ثمّ في أهم وأخطر مرجعية دينية وسياسية في العالم الإسلامي إذ ذاك؟!..

أو ليس المتنبي هو القائل:

وإنّما الناسُ بالملوك، وما
تُفلحُ عُربٌ ملوكُها عَجَمُ(18)

وقبل بلاد فارس..

لماذا توجّه المتنبي إلى مصر ليدبّج القصائد في مدح كافور الإخشيدي؟!..

ألم يكن يعلم أن كافورًا هذا ما هو في الحقيقة إلا عبد زنجيّ؟!..

الإجابة الوحيدة والصحيحة هي أن المتنبي كان يسعى وراء المال.. وها هو ذا يعرّض بطلب المال من كافور، بل يطمح إلى أن يجعله واليًا على صفد (من بلاد الشام)، ليمتح من المال ما يشاء، فيقول في ذلّة وصغار:

أبا المِسْك، هل في الكأس فضلٌ أناله
فإنّي أغنّي منذ حين، وتَشربُ؟

توجُّه المتنبي إلى بلاد فارس لمدح ابن العميد وعضد الدولة البويهي، بل توجهه من قبل إلى مصر لمدح كافور، ليس له من سبب سوى سعيه وراء المال!

المتنبي

بين عشق الذات وعشق المال

وَهبتَ على مقدار كفَّيْ زماننا
ونفسي على مقدار كفَّيكَ تطلبُ
إذا لم تَنُطْ بي ضيعةً أو ولايةً
فجودُكَ يكسوني، وشُغْلُكَ يسلبُ(19).

وفي خبر مقتله ما يوحي بأن لحرصه على المال دخلاً في نهايته الدراميّة. فقد كان هجا ضبّة بن يزيد وأمه هجاء مقذعًا جدًا، نزولاً عند رغبة جماعة من أشراف الكوفة، فغضب لذلك فاتك بن أبي جهل الأسديّ خال ضبّة، ولما سمع بمنصرفه من بلاد فارس، وأنّ اجتيازه بدير العاقول، تربّص به ليقتله.

ويسرد أبو نصر محمد الجُبُّلي تفاصيل الخبر، وكان فاتك قد نزل عنده قبل ثلاثة أيام من مرور المتنبي، فيقول:

«وافاني المتنبي، ومعه بغال موقرة بكلّ شيء من الذهب، والطّيب، والتجملات النفيسة، والكتب الثمينة، والآلات، لأنه كان إذا سافر لم يُخلف في منزله درهمًا، ولا شيئًا يساويه.. فتلقّيته، وأنزلته داري.. فلمّا أمسينا، قلت له: يا أبا الطيّب، على أي شيء أنت مجمع؟

قال: على أن أتّخذ الليل مركبًا، فإنّ السير فيه يخفّ عليّ.

قلت: هذا هو الصواب. رجاء أن يخفيه الليل، ولا يصبح إلا وقد قطع بلدًا بعيدًا.

وقلت له: والرأي أن يكون معك من رجالة هذه البلدة الذين يعرفون هذه المواضع المخيفة جماعة يمشون بين يديك إلى بغداد.

فقطّب وجهه، وقال: لم قلت هذا القول؟»!

ويحذّره أبو نصر، ويحيطه علمًا بما دبّره فاتك الأسديّ له ومعه عشرون من بني عمّه، وينصحه بأن يأخذ معه عشرين رجلاً يسيرون بين يديه إلى بغداد.

لكن المتنبي رفض ذلك، وكابر، معتدًا بسيفه وهيبته، ثم ركب، فكان آخر العهد به، وذهبت دماؤهم هدرًا. وقيل: إن الخفراء جاؤوه، وطلبوا منه خمسين درهمًا ليسيروا معه، فمنعه الشحّ والكِبْر، فتقدّموه، ووقع به ما وقع(20).

وهكذا كانت النهاية المرّة.. خسارة العمر! وخسارة ما ضاع في سبيله العمر!

ماذا وراء اللغز

إذًا لا جدال في أن المتنبي كان حريصًا على المال أيّما حرص! بل كان حرصه هذا يظهر بالنسبة للآخرين في صورة الجشع والشره، ولهذا رموه بالبخل، وعجبوا منه في ذلك؛ إذ هو الرجل المعروف بعلوّ الهمّة، وكبر النفس.

على أنّ المتنبي نفسه لا ينفي حرصه على المال، ويؤكد أنّها خصلة متجذّرة في أعماق شخصيته، ويرشدنا إلى أن العلّة في ذلك كامنة في الرواسب التي تركتها حياة الحرمان في وجدانه أيّام كان صغيرًا.

قال الشاعر أبو البركات بن أبي الفرج (ت 599هـ):

«بلغني أنه قيل للمتنبي: قد شاع عنك من البخل في الآفاق ما قد صار سمرًا بين الرفاق، وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله، وتذم البخل وأهله، ألست أنت القائل:

ومن يُنفق الساعات في جمع ماله
مخافةَ فقرٍ فالذي فعلَ الفقرُ

ومعلوم أن البخل قبيح، ومنك أقبح، لأنك تتعاطى كبر النفس، وعلوّ الهمة وطلب الملك، والبخل ينافي سائر ذلك.

فقال: إنّ لبخلي سببًا، ذلك أني أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد، فأخذت خمسة دراهم، وخرجت أمشي في أسواق بغداد، فمررت بصاحب دكّان يبيع الفاكهة، فرأيت عنده خمسة من البطيخ باكورة، فاستحسنتها، ونويت شراءها بالدراهم التي معي، فتقدمت إليه، وقلت: بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ؟

فقال بغير اكتراث: اذهب، فليس هذا من أكلك.

فتماسكت معه، وقلت: أيها الرجل دع ما يغيظ، واقصد الثمن.

فقال: ثمنها عشرة دراهم. فلشدة ما جبهني ما استطعت أن أخاطبه في المساومة.. فوقفت حائرًا، ودفعت له خمسة دراهم، فلم يقبل. وإذا بشيخ من التجّار قد خرج من الخان، ذاهبًا إلى داره، فوثب صاحب البطيخ من دكانه، ودعا له، وقال له: يا مولاي، هذا بطيخ باكور، بإجازتك أحمله إلى منزلك.

فقال الشيخ: ويحك، بكم هذا؟

فقال: بخمسة دراهم.

فقال: بل بدرهمين.

فباعه الخمسة بدرهمين، وحملها إلى داره، ودعا له، وعاد إلى دكّانه مسرورًا بما فعل.

فقلت له: يا هذا! ما رأيت أعجب من جهلك، استمتّ (غاليت) عليّ في هذا البطيخ، وفعلت فعلتك التي فعلت، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم، فبعته بدرهمين محمولاً.

فقال: اسكت، هذا يملك مئة ألف دينار.

فعلمت أن الناس لا يكرمون أحدًا إكرامهم من يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار، وأنا لا أزال على ما تراه حتى يقول الناس: إنّ أبا الطيّب قد ملك مئة ألف دينار» (21).

قولة حقّ

وبعد أن وضع المتنبي أصابعنا على جرحه الدامي، فهل من الصواب أن نرمي الرجل بالبخل؟!.. وهل ما كان يقوم به إلا شكل من أشكال الحرص على امتلاك المال وعدم التفريط فيه؟!.. ثمّ إن البخل هو إمساك المال في موضع كان ينبغي أن يُنفق فيه.. فأين هي الشواهد التي تدل على أن المتنبي أحجم عن إنفاق المال في أبواب الحقوق، أو بخل على نفسه وأهليه بما يملك من أموال؟..

إن الآخرين هم الذين رموا المتنبي بالبخل، وأقصى ما يمكن أن نذهب إليه هو أن الرجل كان يحرص على الغنى، ولا يبدد المال، ولا يتلكأ عن الحصول عليه عندما كانت الفرصة تتاح له. وأيّ عاقل لا يفعل ذلك؟!.. وإذا كان الناس، في عصره وفي غير عصره، لا يميّزون بدقة بين الحرص على المال والبخل به، واختلطت عليهم المفاهيم، فهل على المتنبي أن يتحمل جريرة ذلك؟!

ثم لا ننس أن المتنبي فتح عينيه على الحياة في أسرة تعاني الفقر المدقع، ويضطرّ الأب إلى أن يمارس مهنة السقاية لكسب لقمة العيش، وما كان يمارس تلك المهنة إلا كلّ امرئ شديد الفقر، وكان الناقمون عليه يتخذون تلك الحرفة مطعنًا عليه، فيقولون عنه: ابن عيدان السقّاء! وهجاه بعض شعراء البصرة، قائلاً:

أيُّ فضلٍ لشاعرٍ يطلبُ الفض-
-لَ من الناس بُكرةً وعشيا؟!
عاش حينًا يبيعُ بالكوفة الما-
-ءَ، وحينًا يبيعُ ماءَ المُحيا(22)

أجل.. ترسّخ في قرارة وعيه أن الفقر يعني الذلّ، وأن العزّ لا يكون إلا بالثراء، ولاسيّما في مجتمع القرن الرابع الهجريّ، إذ كانت القيم المادّية قد استفحلت في المجتمع، وزحزحت كثيرًا من القيم الروحية السامية، فلماذا لا يدلي بدلوه في الدلاء؟ ولماذا لا يتخذ المال مركبًا إلى المجد، انسياقًا مع الرأي العام؟ بل مادام المال هو الذي يصون الكرامة، ويحفظ على المرء عزّة نفسه، فلماذا عليه أن يتردد في الحصول عليه من مصادره؟! ولماذا عليه أن يفرّط فيه؟!

الهوامش:

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق د. إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت. 121/1. وانظر: محمد كمال حلمي بك، أبو الطيب المتنبي، دمشق، 1986، ص17.
2-4- الشيخ يوسف البديعي، الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، دار المعارف، القاهرة، ط2، ص 170- 175، 72، 170.
5- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 121/1.
6-7- المتنبي، ديوان المتنبي، دار صادر، بيروت، ص14، 21.
8-15- الشيخ يوسف البديعي، الصبح المنبي، ص71، 143-145، 128- 129، 145-146، 92، 93-94، 93، 95.
16- المتنبي، ديوان المتنبي، ص541.
17- الشيخ يوسف البديعي، الصبح المنبي، ص96-97.
18-19- المتنبي، ديوان المتنبي، ص93، 468.
20-22- الشيخ يوسف البديعي، الصبح المنبي، ص170-175، 96، 145.

إسلام جارودي!



الشيخ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

في كتابي «جدلية العقل في الفكر والعبودية» الصادر عام 1415هـ بيَّنت أكذوبة إسلام جارودي(1) وكان الناس يومها يعدّون هذا زعماً ويستكثرونه.

وبعد ذلك بعامين كتبت مجلة المجلة تقول: «جاء روجيه جارودي في منتصف الثمانينيات معلناً إسلامه عن سن ناهزت السبعين عاماً بعدما عاش تجربة مسيحية - ماركسية طويلة وغنية بالتناقضات.. وقتها هلل المسلمون وكبَّروا؛ لأنهم رأوا في إسلام جارودي انتصاراً ساحقاً للإسلام على المسيحية والماركسية، فالرجل كان يعدّ علماً من أعلام الفكر الفرنسي.. فضلاً عن كونه(2) كاتباً بارعاً، ومناظراً حاد اللسان قوي الحجة والبيان؛ فقد شغل على مدى أربعين عاماً منصباً مرموقاً داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، وكان يسمى «فيلسوف الحزب»، وعُيِّن أمينه العام الفكري.

وفي عام 1970م اختلف جارودي مع القيادة السياسية لحزبه حول قضايا تتعلق بحرية الرأي والكلمة والموقف من ديكتاتورية الأحزاب الشيوعية الحاكمة في أوربا الشرقية، والاتحاد السوفيتي.. وبمجرد مغادرته الحزب الشيوعي الفرنسي والطلاق من الماركسية العقائدية عاد جارودي إلى أصوله المسيحية، وبدأ يهتم بتجربة رجال الدين التحرريين في أمريكا الجنوبية الذين كانوا قد ثاروا منذ نهاية الستينيات على الكنيسة وتمردوا عليها، وخاضوا تجربة عُرفت في ما بعد بلاهوتيات (فقه) التحرر من عبودية الكنيسة الرومانية المتهمة من قبل القساوسة الشبان بالتواطؤ مع الأنظمة السياسية الديكتاتورية الحاكمة في أمريكا الجنوبية.

وكان الأسقف ألبير كاميرا في البرازيل يعدّ حامل لواء الثورة اللاهوتية التي قادت إلى التقارب بين الكنائس والمنظمات الثورية الماركسية في البرازيل والأرجنتين والشيلي وبوليفيا وأمريكا الوسطى كما هو معروف.

وهنا وجد جارودي ضالته؛ لأنه كان يحلم دوماً كفيلسوف، وكمنظر(2) سياسي في التوصل إلى التوفيق بين تعاليم المسيح، وتعاليم ماركس، وبين الإنجيل ورأس المال.. في محاولة منه لتكوين عقيدة دينية جديدة يمكن وصفها بأنها عقيدة سماوية أرضية.. تأخذ من الشرائع الربانية مبادئها العامة فقط تاركة للناس حرية التشريع والتطبيق.

لكن هذه النظرية الدينية الفلسفية أُجهضت في النهاية؛ لأن جارودي لم يجد لها أتباعاً كثيرين في أوربا.. حيث قوي نفوذ الكنيسة الرومانية منذ أن تولى البابا بولس الثاني مسؤولية إدارتها في عام 1978م، ولا في أمريكا الجنوبية التي شهدت منذ بداية الثمانينيات انهيار الأنظمة العسكرية الديكتاتورية، وزوال المنظمات الثورية الماركسية في آن واحد، وأصبح الاقتصاد والتنمية هما الجامع المشترك لكل الناس.

ولما جاء جارودي إلى الإسلام استقبله المسلمون بالتهليل والترحيب كما لو كان مولوداً جديداً، وأسرفوا في إطرائه، وكانوا يتنافسون على دعوته لزيارة بلدانهم، ومنحه الجوائز الكبيرة.. ولم يخطر على بال أحد أن يمتحن الرجل أو يناظره في مسألة من مسائل الدين كما كان يفعل علماء الإسلام في كل العصور.. وخصوصاً مع من هناك أدنى شك في صحة دينه وتهاونه في أداء الواجبات الدينية على الوجه الصحيح.

غضب جارودي أشد الغضب من المرحبين الأوائل بإسلامه، وراح يهاجم علماء الإسلام، ويكيل لهم الشتائم، وأقام علاقات وثيقة مع إيران عكرت قضية سلمان رشدي صفوها، لكن الرجل لم ييأس (رغم أن سنه تناهز الرابعة والثمانين).. وفي حين يتحدث لزائره مستلقياً على ظهره على كرسي مستطيل من شدة التعب والمرض لم ييأس من لعب دور بارز في تحديث الإسلام، وتطويره كما يدعي.. تراوده فكرة مفادها أن يكون هو الرجل المهدي الذي يجدد للمسلمين دينهم على رأس الألف سنة الجارية، وهو ما يبدو أقرب إلى العبث والضلال منه إلى العلم الصحيح والاهتداء إلى خدمة الإسلام والمسلمين» ا.هـ.

قال أبو عبدالرحمن: في كل لحظة ضحكة صليبية أو صهيونية نقابلها بسذاجة وحسن نية، وقد أبلغتُ العذر في نفيي لإسلام جارودي بكتابي المذكور من صريح نصه.. وها هو من جديد يفصح عن تشبثه بدعوى الإسلام على الرغم من أنه لم يدخل فيه؛ ليأنس له سذج المثقفين من المسلمين فيتقبلوا كفره وزندقته.. يقول عن دعوى اعتناقه الإسلام: «أولاً وقبل كل شيء أنا لا أحب كلمة «اعتنق» وأرفض استعمالها؛ لأنها لا تعني شيئاً بالنسبة لي؛ لذلك فأنا لم أعتنق الإسلام، لكني جئت إلى الإسلام؛ لأنه بدا لي من خلال النص القرآني وكأنه دين ليس بجديد.. ولو كان الإسلام ديناً جديداً لأصبح في تناقض كامل مع الديانات السابقة.. بمعنى أن الإسلام جاء مكملاً للديانات الأخرى وملخصاً لها؛ لأن أصل الدين واحد، وإنما الاختلاف في طرق وأساليب تبليغه إلى الناس من جانب الأنبياء.. والإسلام بالمعنى اللغوي والمعنى اللاهوتي بدأ مع إبراهيم، فهو أول المسلمين.. وأنا أيضاً عندما جئت إلى الإسلام بدأت مشواري معه من عهد إبراهيم ملتزماً في ذلك بالنص القرآني فقط وتاركاً ما عداه».

قال أبو عبدالرحمن: إسلام إبراهيم عليه السلام تاريخ مضى وليس واقعاً معيشاً إلا من الأثارة الصحيحة التي ورد بها الخبر في ديننا الصحيح، فعلمنا إسلام إبراهيم من ديننا، وعلمنا شيئاً من شريعته من ديننا.

ودعوى أن الإسلام بإطلاق دين جديد، أو دين غير جديد مغالطة.. بل هو عقيدة موافق لكل ما صح من الأديان السماوية، وهو في الخبر عن الحقائق موافق لكل خبر سماوي

صحيح سبقه؛ لأن العقائد والأخبار عن الحقائق والأخلاق لا تُنسخ.. وهو شريعة يتضمن شرائع سماوية صحيحة سابقة، ويتضمن شرعًا جديدًا زائدًا على ما سبقه.. وهو مسقط لشرائع سبقته، ومبين لأشياء من الكذب المدَّعى على الأديان السماوية السابقة.. والإيمان بالقرآن فحسب والكفر بالوحي غير المتلو مُخرجٌ من الملة، مسقط للإيمان بالقرآن نفسه معطل له؛ لأنه لا يتم العمل بالقرآن إلا ببيان المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ويقول عن دينه الافتراضي باتباع دين إبراهيم عليه السلام: «لأن إبراهيم هو أول من دعا إلى دين التوحيد بالنموذج الذي استمر فينا إلى اليوم، ولم يزد الأنبياء منذ عهد إبراهيم على كونهم بلّغوا إلى الناس دينه.. كل واحد منهم بلغة قومه، وحسب ظروف حياتهم وعقلياتهم، فكان موسى وعيسى ومحمد وغيرهم.. هذا بصورة عامة.. أما بصورة خاصة فأنا جئت إلى الإسلام بفضل كتب الفيلسوف الألماني كير كجارد الذي كان قد ألف عدة كتب دينية حول موضوع قربان إبراهيم وافتدائه دينه بابنه، ففي 1933م قبل ستين سنة كنت طالبًا في الجامعة قسم الفلسفة، وكنت أتردد على بعض القساوسة البروتستانت، فناولوني كتب كير كجارد، واقترحوا عليَّ قراءتها واستيعاب ما فيها.. في وقت كانت أوربا تعاني أزمة قيم خطيرة بدأت مع نهاية الأزمة الاقتصادية 1929م ووصول الحزب النازي في ألمانيا إلى الحكم بزعامة أدولف هتلر.. وبالرغم من كوني أنحدر من وسط عائلي محافظ ولا ديني - كان أبي وأمي ملحدين - إلا أن أفكار الفيلسوف كير كجارد اجتذبتني، وأعجبت بسيرة إبراهيم، وقوة شخصيته، فقلت لنفسي: هذا رجل أعطى مدلولاً (معنى) لحياته ويجب أن يكون مثلاً يُحتذى لكل إنسان يريد أن يكون لحياته معنى.. والدين بالنسبة إليَّ - أي دين كان - ليس قيمته في كونه دينًا (ألفاظًا ومعاني يحتوي عليها كتاب مُنزل) بل في التالي: ماذا يصنع هذا الدين من أتباعه، وإلى أي حد يصبح الواحد منهم واعيًا بمعنى وجوده ومدلول حياته؟».

قال أبو عبدالرحمن: ليس إبراهيم عليه السلام أول من دعا إلى التوحيد، بل التوحيد ملة جميع الأنبياء.. قال تعالى: *وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنَّه لا إله إلا أنا فاعبدون*. **الأنبياء**:25. وإنما لكل نبي شريعته.. قال تعالى: *لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجًا*. **المائدة**: 48، وقال تعالى: *شَرَعَ لكم من الدِّين ما وصَّى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّينَ ولا تتفرقوا فيه*. **الشورى**:13.

قال أبو عبدالرحمن: إذن ملة الأنبياء واحدة (وهي التوحيد)، وشرائعهم - وهي الأحكام العملية وبعض الأحكام القولية - مختلفة، ووصية الله لهم واحدة بأن لا يتفرقوا في الدين الذي أوحي إليهم عقيدة وشريعة.. وصية الله لهم وصية لأممهم.

وبنو إبراهيم من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم على ملته.. ملة التوحيد.. قال تعالى: *ومَن يَرغبُ عن ملَّة إبراهيم إلاَّ مَن سَفهَ نَفْسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربُّه أَسْلمْ قال أسلَمتُ لربِّ العالمين. ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بَنيَّ إن اللّه اصطفى لكم الدِّين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون. وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولَّوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم. صِبْغَة الله ومن أحسنُ من الله صِبْغةً ونحن له عابدون. قل أتحاجُّوننا في الله وهو ربنا وربكم ولَنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحنُ له مخلصون. أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون*. **البقرة**:130-141.. وقال تعالى: *ومن أحسنُ دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتبع ملة إبراهيم حنيفًا*. **النساء**:125.. إلا أن لمحمد خصوصية بأبيه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام من كون قبلتهما واحدة، وكون شيء من شريعته من شريعة إبراهيم كسنن الفطرة، وكون العرب قبل ابتلائهم بالأوثان على دين إبراهيم وإسماعيل.. إلا أننا لا نستطيع أن نُعيِّن من شريعتنا ما كان شرعًا لإبراهيم قبلنا إلا بالنص.. قال تعالى: *قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا اللّه ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون اللّه فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. يا أهل الكتاب لم تحاجُّون في إبراهيم وما أُنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون. ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجُّون فيما ليس لكم به علم واللّه يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتَّبعوه وهذا النبي والذين آمنوا واللّه ولي المؤمنين*. **آل عمران**:64- 68، وقال تعالى: *ثم أوحينا إليك أن اتَّبع ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين*. **النحل**:123، وقال تعالى: *وجاهدوا في اللّه حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملَّة أبيكم إبراهيم هو سمَّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدًا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير*. **الحج**:78، وقال تعالى آمرًا نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم: *قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينًا قيِّمًا ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين*. **الأنعام**:161، وقال تعالى: *وإذ جعلنا البيتَ مثابة للناس وأمنًا واتَّخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طَهِّرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذ قال إبراهيم ربِّ اجعل هذا بلدًا آمنًا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم اضطره إلى عذاب النار وبئس المصير. وإذ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبَّل منّا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمَين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سَفهَ نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أَسْلمْ قال أسلمتُ لرب العالمين. ووصَّى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بَنيَّ إن اللّه اصطفى لكم الدين فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهًا واحدًا ونحن له مسلمون. تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون. وقالوا كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين. قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون. فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولَّوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم اللّه وهو السميع العليم*. **البقرة**:125-137.

وآخر كلام جارودي مراوغة ملحد خبيثة إذ يفصل بين الدين نصًا (لفظًا ومعنى) جاء به كتاب مُنزل وبين المتلقين للدين.. ماذا يصنع الدين فيهم؟.

قال أبو عبدالرحمن: هب أن الأمة سادها الجهل والإلف وسياط الإرهاب الفكري فانحرفت عن الدين؟.. فهل نطرح الدين ونقول: ليس قيمة في كونه دينًا؟!.. أم نقول: الدين هو النص لفظًا ومعنى، وهو القيمة هداية ورحمة وإحسانًا وعلمًا وحكمة، وإنما المجتمع ضل عن سبيل ربه!!.

ويقول: «أنا جئت إلى الإسلام كما ذكرت نتيجة اقتناع شخصي وتجربة ذاتية، وبعد

مسيرة طويلة تنقلت فيها بين الفلسفة المحضة والمسيحية والماركسية، وانتهيت إلى الإسلام من دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة، وقناعاتي الفكرية؛ لأن انتقالي إلى الإسلام لا يُعدّ انقطاعًا عن ماضيَّ، بل هو تواصل لذلك الماضي الطويل الذي عشت فيه تجارب كثيرة.. والدين الذي أنا عليه اليوم هو توفيق بين الإسلام وما سبقه من ديانات.. أنا على دين إبراهيم.. ولما لم يكن إبراهيم يهوديًا ولا مسيحيًا ولا بوذيًا ولا مسلمًا (بالمعنى التاريخي للكلمة) فأنا كذلك: مسلم بالمعنى العام، وليس الخاص لهذه الكلمة.. وكوني أصبحت مسلمًا فهذا لا يعني أني تخليت عن اعتقاداتي الدينية والفلسفية، والإسلام بهذا المعنى يجمع بين أتباع كل الرسل منذ عهد إبراهيم.. أي الذين نادوا بدين التوحيد؛ لذلك فأنا عندما أنشأت متحف قرطبة للحضارة الإسلامية قبل ست سنوات في إسبانيا قمت في هذه المناسبة بعقد مؤتمر ديني إبراهيمي أسندت رئاسته بالتساوي إلى ثلاث شخصيات إسلامية ومسيحية ويهودية وهي: السنجالي مختار أمبو مدير عام اليونسكو السابق، والبرازيلي الأسقف البير كامرا، ويهودي مبنوهين عازف الكمنجة العالمي المعروف».

قال أبو عبدالرحمن: لا يهمنا أن يكون باطن جارودي اليهودية أو النصرانية، إنما المهم أن ما أعلنه هو ديانة المزج بالريح التي كرمت بها العقيدة الصهيونية السياسية على الجوييم في كواليس الماسونية.. وإنما أقول للسذج: بيَّن ربنا في موضع أن الدين عنده الإسلام، وبيَّن في موضع آخر أنه من يتبع غير الإسلام دينًا فلن يُقبل منه.. والإسلام ليس على وفاق مع الماركسية.. والماركسية كيد صهيوني وليست دينًا نتبعه.. والماركسية تقول: لا إله، والدين أفيون.. والإسلام ليس على وفاق مع النصرانية إلا فيما صحَّ عندهم من العقيدة والأخبار والأخلاق مما شهد له ديننا.. وما عدا ذلك شرع منسوخ، أو دين مبدل.. والفلسفة المحضة في الإلهيات والأخلاق ليست على وفاق مع الإسلام، وليست فكرًا واحدًا، وليست دينًا مبدلاً!.

وأقول لمن استغربوا حكمي - في طبعة كتابي الأولى - بأن جارودي لم يسلم: إنه ليس مسلمًا بالمعنى الذي يعنيه الإسلام.. وإذن فلا مجال للاستغراب!.

وصدق الله وكذب جارودي في دعواه أن إبراهيم لم يكن مسلمًا بالمعنى التاريخي للكلمة.. فالإسلام استسلام لله، وانقياد إليه بالطاعة، واعتقاد بالله ودينه وكتبه ورسله، وإعلان بأداء شرائعه.. ولم تكن شريعته شريعة اليهود والنصارى، وله شريعته الخاصة بمقتضى قوله تعالى: *لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا*.. ولكن محمدًا صلى الله عليه وسلم على شريعته في كثير من الأمور بمدلول قوله تعالى: *إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه*.. الآية، وبكون العرب على بقايا من شريعة إبراهيم، وبكون النص ورد على أننا على شريعته في أمور كالمناسك وسنن الفطرة.

وليس لإبراهيم عليه السلام دين قائم اليوم - لا عقيدة ولا شريعة - غير ما ورد به النص الصحيح من ديننا، فتديُّنه بدين إبراهيم من غير شهادة ديننا تَدَيُّن بمعدوم، وانصراف بعناد ومراوغة عن الدين الحاضر الموجود الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، وجعله للناس كافة، ناسخًا للشرائع، ولم يقبل غيره.. وكل ما نص الله على أنه ملة إبراهيم أو شريعته يتعذر معرفته من مصدر إلا من خلال الوحي المتلو وغير المتلو الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأن ربنا تكفل بحفظ دين الإسلام، ولم يتكفل بحفظ الأديان الأخرى، بل استحفظهم إياها فضيَّعوها.

ودين الله ليس توحيدًا فحسب يتحدد في الاعتقاد المعطل عن العمل، بل هو شعائر وشرائع تؤدى.. يظهر بأدائها صدق المعتقد، والعبودية لله، والعمل بمراده مقدمًا على آرائنا وأهوائنا وشهواتنا.

ويمعن جارودي في الضحك بعقول القراء فيقول: «الإسلام كما هو معروف دين توفيقي؛ لأنه يجمع بين الديانات السابقة، ويمكن أن يكوِّن معها عقيدة توحيد توحد ليس فقط بين المسلمين، ولكن بين جميع الناس الذين أعطوا مدلولاً خاصًا لحياتهم، فأصبحت ذات معنى، والذين لديهم شعور قوي بوجوب التضامن مع الآخرين والتعاون معهم.. والإسلام عندي أعم وأشمل مما يقول المسلمون.. لكن ما نلاحظه اليوم هو أن الإسلام لا يلعب هذا الدور الكبير المطلوب منه، فبدل أن يكون عنصر تقارب وتوحيد بين المسلمين وغير المسلمين نجده يمثل عامل تفرقة.. لماذا؟.. لسبب هام جدًا في نظري وهو قيام المسلمين بالخلط بين مبادئ الشريعة وبين الفقه الإسلامي في حين لا يوجد هناك مبرر ولا داع لذلك».

قال أبو عبدالرحمن: أراد جارودي من المسلمين أن يكونوا كفارًا، فسمى لهم الكفر إسلامًا.. وما الإسلام في دين ربنا إلا طاعة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه، فمن لم يتبعه فعلاً وتركًا اتباعًا لأمره ونهيه فليس مسلمًا وإن ادَّعى الإيمان بالرسل والأديان الأخرى!!.. والاتباع لغيره من الرسل مجرد دعوى؛ لأن الرسل قبله بشروا به وأمروا باتباعه، ولأن ما جاؤوا به منسوخ أو مبدل من بعدهم.. والله بيَّنَ الدين الذي رضيه اليوم.. قال تعالى: *ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبعَ ملَّتهم*. **البقرة**:120.. و: *فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمِّي الذي يؤمن بالله وكلماته واتَّبِعُوه*. **الأعراف**:158.. و: *الذين يَتَّبِعُونَ الرسول النبي الأمِّي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلُّ لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعَزَّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي له مُلكُ السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمِنُوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتَّبِعُوه لعلكم تهتدون*. **الأعراف**:157- 158.. و: *وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا*. **سبأ**:28.. و: *قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا*. **الأعراف**:158.

ثم افترى جارودي الكذب على الله وعلى رسله فقال: «الشريعة هي مجموع الأحكام السماوية (قانون الرب) التي نزلت بها الكتب المقدسة، وقام الأنبياء بتبليغها إلى أقوامهم، وتدعو إلى التوحيد المطلق للذات الإلهية، ويمكن تلخيص هذه الأحكام في ثلاثة مبادئ أساسية:

1- الرب يملك والإنسان يتصرف.

2- الرب يحكم والإنسان يطيع.

3- الرب يعلم والإنسان يجتهد.. في حدود معارفه ومقتضيات عصره.

هذه المبادئ الثلاثة موجودة حرفًا ومعنى في التوراة والإنجيل والقرآن؛ لذلك فهي تمثل مصدر التشريع في كل الأديان، وفي كل العصور، وهي ثابتة لا تتغير وما عداها متغير ومتجدد، ويستطيع كل إنسان منا الرجوع بنفسه إلى مصدر التشريع الأساسي الذي هو الكتاب السماوي.. سواء كان التوراة، أو الإنجيل، أو القرآن.. ويستنبط منه القوانين والأحكام التي توافق عصره، ولا تكون صالحة لعصور أخرى لاحقة».

قال أبو عبدالرحمن: لست والله أدري كيف يكون جارودي متبعًا للقرآن برجوعه إلى التوراة والإنجيل، وقد نص القرآن على تحريفهما وتبديلهما، ونص القرآن على اتباع النبي الأمي؛ لأنه اتباع للرسل قبله الذين بشروا به، ونص على نسخ الشرائع، ونص على أنه لا دين بعد محمد صلى الله عليه وسلم غير القرآن، ونص على أن الحق لا يختلف.. والإحالة إلى تلك الكتب إحالة إلى مختلف متناقض غير متعين.

الحواشي:

1- بينتُ في مقدمة كتابي «مبادئ في نظرية الشعر والجمال» فساد هذا التعبير.

2- الصواب: بصفته فيلسوفًا ومنظرًا، وقد بينت في أكثر من مناسبة أن كاف التشبيه في مثل هذا السياق لحن؛ لأن المراد حقيقة الوصف، وليس المراد الصفة المقاربة بالتشبيه.



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س هل ورد مصدر الفعل في القرآن الكريم كأحد أقسام الاسم مسايراً في ذلك التعريف اللغوي للاسم ؟

أحمد فهمي محمد أحمد الرمادي ـ المحامي
الإسكندرية، مصر.

VIA AIR MAIL
PAR AVION

المصدر: هو اللفظ الدال على الحدث مجرداً عن الزمان متضمناً أحرف فعله لفظاً مثل: نَصَرَ نصراً، أو تقديراً مثل قاتل قتالاً والأصل: قيتالاً بقلب الألف إلى ياء لكسر ما قبلها ثم حذفها تخفيفاً.

وهو اسم إذ يقسمون الاسم إلى جامد ومشتق. ويقسمون الجامد إلى نوعين: اسم ذات كإنسان وذئب، واسم معنى كفَهْم وشجاعة وهو المصدر.

واسم المعنى إما وجودي كالعِلْم والجود، وإما عدمي كالجهل والبخل.

وللاسم تقسيمات أخرى موجودة في كتب العربية.

ويبدو أن السائل الكريم يريد أن يسأل: هل المصدر الذي هو اسم معنى مُدرَك في الذهن ورد في القرآن الكريم اسم ذات محسوسة؟

فإن كان تقديرنا للسؤال صحيحاً فالجواب:

نعم ورد المصدر في بعض الآيات دالاً على اسم الذات، وهناك مصادر ثلاثة مشهورة وردت على ذلك، وغيرها كثير، وهي: القرآن والكتاب والفرقان.

فالقرآن في أصلها مصدر للفعل قرأ تقول: قَرَأَ قراءةً وقَرْءاً وقُرآناً، ثم استُعمل «القرآن» علماً شخصياً على الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. يقول تعالى: *ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى*. **طه**:2، ويقول سبحانه: *إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون*. **النمل**:76.

وكذلك الكتاب فهو مصدر للفعل كَتَبَ.

تقول: كَتَبَ كِتَابَةً وكَتْباً وكِتَاباً وكِتْبَةً، ثم استُعمل الكتاب علماً شخصياً على هذا الكتاب الكريم. قال عز من قائل: *ذلك الكتابُ لا ريب فيه هُدًى للمتّقينَ*. **البقرة**:2. وقال سبحانه: *هو الذي أنزلَ عليكَ الكتابَ منهُ آياتٌ مُحْكَمَاتٌ*. **آل عمران**:7.

وكذلك الفرقان فهو مصدر للفعل فرق، جاء في المصباح المنير: «والفرقان القرآن وهو مصدر في الأصل»، ثم استُعمل علماً شخصياً على القرآن. قال جلّ جلاله: *تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا*. **الفرقان**:1.

وقال أيضاً: *نزَّل عليك الكتاب بالحق مصدِّقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل. من قَبْلُ هدًى للناس وأنزل الفرقان*. **آل عمران**: 3-4.

ولابد من الإشارة إلى أن في السؤال غموضاً لأن للاسم أقساماً كثيرة، فهو ينقسم إلى جامد ومشتق، كما ذكرنا، وينقسم إلى مُجَرَّد ومزيد، وإلى مفرد ومثنى وجمع، وإلى مذكر ومؤنث، وينقسم إلى نكرة ومعرفة، ومبنيّ ومعرب إلى آخر هذه التقسيمات الكثيرة.

وفي السؤال تعبيرٌ مَحَلُّ مؤاخذة عند أهل العلم بالعربية، وقد دخل علينا من اللغات الأجنبية، وهو قول السّائل: كأحد أقسام الاسم. فالكاف عندنا للتشبيه، والمصدر لا يُشبَّه بأحد أقسام الاسم، بل هو اسم قائم بنفسه، ومنه تُشتَقّ الأسماء والأفعال كلها حسب رأي نُحاة البصرة.

د. محمد بن لطفي الصباغ

لم يُعرِّف سيبويه الاسم بل مثّل له قال: «فالاسم: رجل، فرس، وحائط» (سيبويه، الكتاب، 12/1)، وهذا التمثيل لا يستغرق ما ينطبق عليه مصطلح الاسم عند النحويين؛ فلا نجد المصدر ممثلاً له هنا على الرغم من أن سيبويه يصنفه في الاسم؛ إذ قد يسميه «اسم الحدثان» (انظر في تتبع مفهوم مصطلح المصدر عند سيبويه: وسمية المنصور، أبنية المصدر في الشعر الجاهلي، 27-29). غير أنّا نجد بعد ذلك عناية متواصلة لتعريف الاسم أو حَدّه، والتعريفات أو الحدود تنطلق أساساً من تصنيف قائم مستقر للاسم باستثناء ألفاظ يسيرة كانت محل جدل بينهم. ويذكر العُكْبَريّ طائفة من التعريفات التي كانت محصلة اجتهاد المتأملين في المصطلح النحويّ؛ قال: «اختلفت عبارات النحويين في حدّ الاسم، وسيبويه لم

يصرح له بحدّ. فقال بعضهم: الاسم ما استحق الإعراب في أول وضعه، وقال آخرون: ما استحق التنوين في أصل وضعه. وقال آخرون: حَدّ الاسم ما سَمَا بمُسَمَّاه، فأوضحه وكشف معناه، وقال آخرون: الاسم كل لفظ دلّ على معنى مفرد في نفسه، وقال آخرون: هو كل لفظ دلّ على معنى في نفسه ولم يدل على زمان ذلك المعنى، وقال ابن السراج: هو كلّ لفظ دلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان محصّل، وزاد بعضهم في هذا الحد دلالة الوضع» (العكبري، التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين، 121-122). وقد ناقش العكبري تلك الحدود التي ذكرها مبينًا الصالح منها والفاسد اعتمادًا على مفهوم الحَدّ الذي يجب أن يكون جامعًا مانعًا وأن يكون مطّردًا منعكسًا، والسبب في فساد بعض الحدود هو الخلط بين ما يصلح أن يكون حدًا وبين ما للمحدود من علامات وما له من أحكام، على أن العبارة التي اشتهرت هي عبارة قريبة من عبارة ابن السراج بعد الإضافة التي أشار إليها العكبري وهذا نص العبارة: «كلمة دلت على معنى في نفسها غير مقترنة بزمن معين وضعًا» (الفاكهي، شرح الحدود النحوية، 73-74). وينطلق هذا التعريف من الدلالة، ونجد تعريفًا آخر ينطلق من الوظيفة التي يشغلها الاسم في التركيب، وهو: الاسم ما أخبر به وأخبر عنه. ولكن هذا معترض بأنه غير جامع فمن الأسماء ما لا يُخبر عنها أو بها مثل الضمائر المتصلة، ومن الأسماء ما يلازم الظرفية أو النداء أو الحلية فلا يكون مسندًا. (انظر: الدماميني، تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد، 69/1).

موقع المصدر من الكلام:

يشكل المصدر بعض الإشكال إذا نحن تأملنا دلالته فهو يدل على الحدث كما يدل الفعل؛ ولذلك وجدنا من يطلق عليه لفظ (الفعل) أو (اسم الفعل)؛ ولكن انطلاقًا من النظرة الواسعة لأقسام الكلم صنّف النحويون (المصدر) في الأسماء، فهو وإن دلّ على الحدث كالفعل إلا أنه مختلف عنه؛ إذ لا تقترن بنيته الصرفية بالزمن. ومما يعزز تصنيفه في الأسماء أنه يشغل وظائف الأسماء في السياق؛ إذ يكون مبتدأ وخبرًا وفاعلاً ومفعولاً به ومفعولاً مطلقًا ومفعولاً لأجله وتمييزًا وحالاً، ومجرورًا بالحرف أو بالمضاف. ويتصف المصدر بأحكام الاسم فهو يُنعت كالأسماء وهو يضاف ويضاف إليه وهو يُصَغّر وقد يُثَنّى ويُجمع. ومما يؤيد تصنيفه في الاسم أنه تظهر عليه علامات الأسماء، ذكر الحيدرة أنها ثلاثون علامة. (انظر: علي بن سليمان الحيدرة، كشف المشكل في النحو، 173/1). على أن أشهرها ما أجمله ابن مالك في قوله:

بالجر والتنوين والندا وأل

ومسند للاسم تمييز حصل

وهذه العلامات وغيرها تدل على الأسماء بالجملة؛ وليس بلازم ظهور كل العلامات على الاسم، إذ وجود العلامة دليل على الاسمية، أما تخلفها فليس بدليل على عدم الاسمية، فقد تظهر علامة أو أكثر في اسم، وتتخلف في غيره، مثال ذلك الاسم (ذو مال)؛ فهو اسم لا يمكن دخول (أل) عليه ولا يمكن أن يُنون؛ ولكنه يضاف ويضاف إليه، ويُجَرّ بحرف الجر، ويُسند إليه، ويُنادى. ومثال ذلك الضمائر فهي لا تقبل (أل) ولا التنوين؛ ولكن منها ما يُسند إليه، ومنها ما يقع موقع المجرور.

المصدر في القرآن الكريم:

تحفل لغة القرآن الكريم بشواهد على مجيء المصدر في وظائف الاسم المختلفة؛ إذ جاء مبتدأ في قوله تعالى: *الحَمْدُ للّه*. **الفاتحة**:2، وخبرًا في قوله تعالى: *نساؤُكُم حَرْثٌ لكم*. **البقرة**:223، وفاعلاً في قوله تعالى: *قل جاء الحقّ*. **سبأ**:49، ومفعولاً به في قوله تعالى: *أَوْفُوا الكيل*. **الأنعام**:152، ومفعولاً مطلقًا في قوله تعالى: وعدَّهم عدًا. **مريم**:94، ومفعولاً لأجله في قوله تعالى: *وادْعُوهُ خوْفًا وطمعًا*. **الأعراف**:56، وحالاً في قوله تعالى: *ثُمَّ ائْتوا صفًا*. **طه**:64، وتمييزًا في قوله تعالى: *ولن تبلغ الجبال طولاً*. **الإسراء**:37.

وتحفل لغة القرآن الكريم أيضًا بشواهد على تحقق علامات الاسم في المصدر، فهو يُجَرّ بالحرف كما في قوله تعالى: *وبعولتهن أحق بردّهنّ*. **البقرة**:228، وبالمضاف في قوله تعالى: *سيجعل اللّه بعد عسر يسرا*. **الطلاق**:7، وهو يضاف ويضاف إليه كما في قوله تعالى: *ذكْرُ رحمة ربك عبده زكريا*. **مريم**:2، وهو يُنَوّن كما في قوله تعالى: *ولا تأكلوها إسرافًا وبدارًا أن يكبروا*. **النساء**:6، وينادى كما في قوله تعالى: *يا بشرى هذا غلام*. **يوسف**:19، ويُحَلّى بـ(أل) كما في قوله تعالى: لا يحب *اللّه الجهر بالسوء من القول*. **النساء**:148.

وفي القرآن أيضًا شواهد على أحكام خاصة بالاسم فتحققها في المصدر دليل أو علامة عليه، ومن ذلك أن المصدر يُصَغّر كما تُصَغّر الأسماء، جاء ذلك في قوله تعالى: *وأَمهِلهُمْ رُوَيْدًا*. **الطارق**:17، ويُجمع كما في قوله تعالى: *من همزات الشياطين*. **المؤمنون**:97، ويُنعت كما في قوله تعالى: *فلا تمار فيهم إلا مِرَاءً ظاهرًا*. **الكهف** :22.

ويتبين مما سبق أنّ في القرآن من الشواهد ما يؤيد عدّ المصدر قسمًا من أقسام الاسم وفقًا لتعريف علماء اللغة القدماء. ومن المحدثين مَن جعل المصدر قسيمًا للاسم لا قسمًا منه اعتمادًا على تضييق دائرة الاسم بناء على سماته التي تخرج المصدر والضمائر من الاسم، وليس في شواهد اللغة من القرآن أو الشعر أو النثر ما يدفع تقسيم القدماء أو المحدثين للكلم، فالفرق بين التقسيمين يعود إلى التوسع أو التضييق في مفهوم أقسام الكلم. فالقدماء نظروا إلى الألفاظ فوجدوا أسماء مرتبطة بمسمياتها، ووجدوا ألفاظًا لغوية أخرى تُعامل معاملة الأسماء لأنها إما صفات لها وإما كناية عنها؛ فجعلوا كل ما يقع من تلك الألفاظ موقع الاسم فيؤدي في الجملة وظيفته من الاسم على نحو من التعميم. أما المحدثون فنظروا في طائفة الأسماء فرأوا أنّها تتباين من حيث علاماتها ومن حيث أحكامها وعلاقاتها بغيرها من الألفاظ في الجملة معنى ومبنى؛ فجعلوها أقسامًا مختلفة، وجعلوها نظائر للأسماء والأفعال والحروف (انظر في تفصيل مذهب المحدثين: فاضل الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة). ومن أجل ذلك وجدنا المصدر قسمًا من أقسام الاسم حسب تصنيف القدماء، ووجدناه قسيمًا للاسم والفعل وغيرهما حسب تصنيف المحدثين.

د. أبو أوس إبراهيم الشمسان

مصطفى أيرخارد

نور الإسلام يبدأ من القلب

هو مهندس ميكانيكي، مولده كان عام 1956م، تقول بطاقته: الجنسية نمساوي، والديانة التي ورثها عن والديه: النصرانية على المذهب الكاثوليكي. وصفه أصدقاؤه بأنه كان أحد القلة القليلة الملتزمة عقيدتها النصرانية، قبل أن يمنّ الله عليه بالهدى، وتشرق نفسه بنور الإسلام.

شاب ملتزم

ذلك هو المهندس النمساوي مصطفى أيرخارد، الذي جاء إسلامه قبل قرابة 18 عامًا ليشكل صدمة لمحيطه وأصدقائه في مجتمعه النصراني المتعصب لنصرانيته، حتى لو تحرر من كل تعاليمها. فلا فارق هناك بين نصراني متدين ونصراني غير ملتزم، فالجميع حين يتعلق الأمر بالنصرانية يجمع بينهم الحقد والتعصب المقيت وانغلاق العقل.

كانت الدلائل تشير إلى استحالة إسلام شاب مثل أيرخارد. فهو ملتزم النصرانية، شديد الحرص على ارتياد الكنائس، وترديد ما يقوله القسس، وهي أقوال تجعل من يسمعها يشعر بنفور شديد من الإسلام، أو على أقل تقدير يبعد من ذهنه مجرد التفكير في الدخول إليه واعتناقه.

إلا أن مشيئة الله كانت الأغلب، فقد أدت أقوال القسس والرهبان عن الإسلام إلى نتيجة عكسية تمامًا، إذ لم يفت أيرخارد ما تحفل به من تناقض، مما ولّد لديه شعورًا بأهمية أن يكتشف بنفسه حقيقة الإسلام عبر القراءة الجادة الواعية المتمحصة.

زيارة لتركيا وإقامة بأندونيسيا

وحدث أن زار أيرخارد مع صديق له تركيا، ذلك البلد المسلم الذي يسكنه شعب مؤمن بدينه، معتز بتراثه. وفي تركيا شاهد المسلمين الذين طالما نعتهم مواطنوه بالتخلف ورموهم بالوثنية. وعلى قصر زيارته، إلا أنه بحث حوله فلم يجد مظهرًا واحدًا لعبادة وثنية، بل أعجبه تمسك المواطن التركي البسيط بقيمه وتحليه بالعديد من الأخلاق الإسلامية الحميدة.

وحين بعثت به شركته ليعمل في فرع لها بجزيرة سومطرة، تلك الجزيرة الحالمة الواقعة في جنوب شرقي آسيا، تصادف أن جاء وصوله مع حلول شهر رمضان المبارك، فرأى بأم عينيه كيف يحتفي الأندونيسيون - على فقرهم وقلة حيلتهم - بهذا الشهر الفضيل، فتعجب، وبخاصة مع علمه بأن أندونيسيا التي تعد أكبر دولة إسلامية من حيث التعداد تتعرض لأكبر قدر من النشاطات الكنسية التي ترمي إلى إدخال فقرائها إلى النصرانية، أو على الأقل جعلهم مسخًا بلا عقيدة يؤمنون بها، فهذا - في رأي المنصرين - أخف ضررًا من بقائهم مسلمين.

وتعرف أيرخارد إلى فتاة أندونيسية مسلمة، وتزوجها، مع أن شريعة الإسلام لا تبيح زواج المسلمة بغير المسلم، لكنه الجهل والواقع السيئ المعيش الذي يحياه كثير من المسلمين خارج المنطقة العربية، وهو ما يوقع بهم في حبائل أمور لا يرضاها الله، ولا تقرها شريعته.

قراءة ترجمة معاني القرآن

انتهت مدة عمل أيرخارد في سومطرة، وأخطرته الشركة بالعودة إلى النمسا، فلم ينس، وقد أثّر فيه الإسلام، أن يأخذ معه ترجمة لمعاني القرآن الكريم لعله من خلالها يطلع على إجابات طالما عصفت بكيانه عن حقيقة الإسلام ومزاعم النصرانية.

عاد المهتدي الجديد إلى بلاده، وكان أول ما فعله بعد أن استقرت أحواله من جديد في النمسا أن بدأ يقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم، وتوقف عند معنى قوله تعالى في سورة آل عمران: ما كان إبراهيم يهوديًا ولا نصرانيًا ولكن كان حنيفًا مسلمًا.

هزته معاني تلكم الكلمات الربانية، فبحث حوله ليعرف أكثر، حتى تمكن من معرفة عنوان جمعية الخدمة الإسلامية في فيينا، وكانت - آنذاك - المنظمة الوحيدة في النمسا التي تعنى بالإسلام، فذهب إليها، وتعرف إلى مسلم من الشرق أخبره بمعلومات عن الإسلام كان فيها الإجابات عن تساؤلاته.

إشهار إسلامه

ولم يلبث أيرخارد طويلاً وقد هداه الله عقلاً مفكرًا ونفسًا نقية، وأشهر إسلامه متخذًا اسم «مصطفى». وكان أمرًا طبيعيًا ومتوقعًا أن لاقى قراره باعتناق الإسلام ردة فعل عنيفة من أهله وأصدقائه ومجتمعه، فحدثت فجوة بينهم وبينه في محاولة منهم لرده عن دين الحق، وقد اعتقدوا خطأ أنه يمر بنزوة ستنتهي إن عاجلاً أو آجلاً، إلا أن توقعهم خاب، وكان كل يوم يحمل لمصطفى أيرخارد مزيدًا من القناعة بالإسلام، حتى بات لا يدع فرضًا إلاّ أداه، دون أن يعوقه عن ذلك كونه أوربيًا لم يتعود ما يفرضه الإسلام من عبادات على المؤمنين به.

الدعوة واحتياجاتها

وما يقلق مصطفى أيرخارد اليوم يتمثل فيما يراه من سلبية كثير من المسلمين، فلا يوجد اهتمام كبير لديهم بتبليغ دينهم إلى غيرهم من أهل الديانات الأخرى في النمسا، مع أن الإسلام يجعل المسلم مطالبًا بأن يفعل ما يستطيع - في حدود قدراته - لتعريف الآخرين شريعة الله. فإذا أضفنا إلى هذه المسألة عدم وجود كتب كافية باللغة النمساوية، وعدم توافر الأئمة والدعاة والمساجد، لأدركنا مدى التقصير في تبليغ رسالة الله إلى البشرية، وهو ما يؤلم مصطفى، وبخاصة مع ما يلمحه من استهتار كثير من المسلمين - ومعظم هؤلاء للأسف الشديد توارثوا الإسلام - في أداء فروض دينهم، وظهورهم بصورة تعطي انطباعًا سيئًا عن الإسلام لدى غيرهم.

ويرى مصطفى أيرخارد أن هناك مجالاً واسعًا للدعوة الإسلامية في صفوف الشباب النمساوي والمرأة النمساوية بخاصة، ولكنه مجال لم يستثمر لنقص الدعاة أو لقلة خبرتهم.

قصيدة

لا..
ليس في فشل المثابر عار

شعر: محمد محب الدين شمسي باشا

«هزائم متوالية مؤلمة، ونكسات أشد إيلامًا وقف أحد أولادي أمامها صامدًا، ما لانت له عريكة، وما وهت منه عزيمة، بل كان يخرج بعد كل هزيمة أشد تصميمًا على متابعة الدرب، حتى يتحقق له الفوز والنجاح، إلى أن بدا أمامي يومًا وكأنه يستسلم لها، ويضعف أمامها، فبدأت أنفخ فيه روح العزيمة والأمل والتفاؤل وأحثه على متابعة دربه، هذا الذي تعثّر فيه، فكانت هذه الأبيات، وقد تحقق له بعون الله ما أراده».

عزمُ الرجال - وإن ونى - جبّارُ ... فالبحرُ بعد سكونه هدّارُ
لا.. ليس ضعفًا أن عثرتَ، فإنما ... تحت الرماد تكون دومًا نارُ
أعتى العواصف جابَهَتْكَ ولم تلن ... إذ أنت أنت الريحُ والإعصارُ
بل أنت كالنار التي لا تنطفي ... ومَعينُ عزمك - إن خبَتْ - مسْعارُ
كن يا بنيّ كما عهدتُك صامدًا ... سمةُ الرجال العزمُ والإصرارُ
ولأنت عندي مثلُ طَود شامخ ... أرأيت طودًا شامخًا ينهارُ
صبرًا بُنيّ، فأنت أقوى همّةً ... من أن يُضعضع ساعديك خَسارُ
قسمًا بربي لم تقصّرْ.. إنما ... شاءَ الإلهُ وشاءت الأقدارُ
وبذلتَ جهدكَ، لم تكن متوانيًا ... لا.. ليس في فشَلِ المثابرِ عارُ
فلكلّ سيفٍ في المعامع نَبْوَةٌ ... ولكل مُهْرٍ في السباق عِثارُ
موج البحار - وإن طما - ستخوضه ... ولئن عتا في وجهك التيّارُ
والدربُ مهما طال سوف تجوزه ... حتى ولو شطّتْ بك الأسفارُ
والنهر إن جفّتْ مياهُ مسيله ... فغدًا يفيض وتُغدقُ الأمطارُ
والسيف إن فُلّتْ مضاربُ حدّه ... فغدًا سيُشْحَذُ حدُّهُ البتّارُ
والروضة الخضراء، إن ذَبُلَتْ فقد ... يسخو الغَمَامُ وتورقُ الأشجارُ
إنَ السماء إذا تجهّم وجهُها ... يومًا فسوف تَزينُها الأقمارُ
وسيشرق الصبح المنيرُ وإن يطلْ ... وسيُعقبُ الليلَ البهيمَ نهارُ
فصل الشتاء، وإن تَطُلْ أيامه ... فلسوف يُقبلُ بعده آذارُ
إن النُضارَ يَظل دومًا لامعًا ... حتى وإنْ يومًا علاهُ غبارُ
لا! لم يقلّلْ ذاك من لَمَعَانه ... فعلى كلا الحالين فهو نُضارُ
كنْ يابنيّ بعون ربّكَ واثقًا ... مَنْ يستعنْ بالله ليس يُضَارُ
وهو النصيرُ إذا الخطوبُ تتابعتْ ... وانفضّ عنك الصحبُ والأنصارُ
والفوز آتٍ، إنّما في حينه ... ويكلّل الهامَ الشّموخَ الغارُ
وحصادُكَ المأمولُ خيرٌ كلّه ... وجَنَاكَ شهدٌ، والقِطافُ ثمارُ

طريق الهدى

فضيلة الشيخ

د. عبدالله الجبرين

عيادة المرأة للمريض

بعض العادات الاجتماعية توجب على المرأة عيادة المريض رجلاً كان أم امرأة. فهل هناك ما يمنع أن تؤدي المرأة هذا الواجب الاجتماعي ملتزمة الحجاب الإسلامي؟

سميرة محمود

القاهرة، مصر.

لا بأس في أن تعود المرأة المريض الذي له قرابة بعصبة أو رحم أو مصاهرة كابن، العم وإن نزل، وابن الخال وأخي الزوج وزوج الأخت وسائر أحمائها وكذا أهل الصداقة والجوار الذين تتجرأ على أحدهم وتستطيع مخاطبته، فلا مانع من عيادته حال المرض بشرط عدم الخلوة؛ بل يكون معها أحد المحارم أو عنده بعض نسائه، وبشرط كمال الاحتجاب والتستر الذي يستر جميع بدنها وعدم إبداء شيء من زينتها، وبشرط عدم الخضوع في القول والبعد من الخوض في أمر النساء والعورات ونحو ذلك. وتكون العيادة بقدر الحاجة بضع دقائق مثلاً دون الإطالة التي تضجر المريض وتقض مضجعه، وسواء كان العائد رجلاً أو امرأة؛ إلاّ إذا عُرف محبته لإطالة الجلوس عنده فلا بأس بذلك. والله أعلم.

كرة القدم.. والفطر

إذا كانت لعبة كرة القدم أو أي لعبة أخرى مصدر رزق للشخص، فهل يجوز له إفطار نهار رمضان إذا كانت هناك مباراة مهمة في ذلك النهار، على أن يقضيه فيما بعد؟

أحمد حامد عبدالعزيز

الرياض.

لا يجوز ذلك حيث إن الفطر إنما أبيح لعذر السفر والمرض دون العمل. ولا شك أن كل أو جل المسلمين يكون عندهم أعمال في شهر رمضان هي مصدر رزقهم بتوفيق الله، ومع ذلك لم يُرَخّص لهم في الإفطار ولو كان العمل شاقًا كالبنائين وأهل الحرف اليدوية من صناعة ونجارة وهندسة ونحو ذلك. ثم إن الواجب على المسؤولين عن المباريات والألعاب ونحوها تخفيفها في رمضان؛ إما بتقديمها أول النهار أو إلى الليل، وإما تأجيلها بعد رمضان أو اختصارها، مع أن اللعب أيضًا في العادة لا يكون أشق من الحرف اليدوية التي تستغرق النهار أو أكثره، ومع ذلك يتحمل أصحابها الصبر والصوم. ولو نالتهم مشقة أو ظمأ أو جهد، فإن ذلك أعظم لأجر العبادة. والله أعلم.

الصلة واختلاق الأعذار

أضطر أحيانًا إلى اختلاق بعض الأعذار حين أقصِّر في زيارة قريب أو صديق حتى أطيب خاطره، فهل في هذا ما يضير؟

مصطفى محمد حلمي

القاهرة، مصر.

عليك بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وننصحك أن تقوم بحقوق ذوي القربى من الزيارة والاتصال والمكالمة والاستزارة والاستضافة وأداء حقوق الأقارب، فإن غلبك عذر أو غياب أو انشغال أو تهاون فأخبر بالحقيقة واعتذر بما يُقبل منك. وإن احتجت إلى أعذار تُقبل منك فلك استعمال الكلام المجمل والاعتذار بكثرة الأعمال أو تكلف الزيارة أو قلة الفراغ أو البعد أو المشقة ونحو ذلك مما يُقبل منك دون الكذب واختلاق أعذار لا حقيقة لها، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ثم إنه يصير ديدنًا وعادة فكونوا مع الصادقين.

الحجاب الشرعي للمرأة

ما حجاب المرأة الشرعي، وهل يشمل الوجه واليدين؟

محمد عبدالغفار رفاعي

دمشق - ص.ب 36292

الحجاب الشرعي للمرأة عن الأجانب هو تغطية جميع بدنها ويشمل ذلك الوجه والكفين والقدمين وذلك لعموم الأدلة التي تلزم المرأة بالتستر عن الأجانب كقوله تعالى: وليضربن بخُمرهن على جيوبهن. والخمار هو ما يُستر به الرأس. والمعنى أنها تدليه من رأسها حتى يصل إلى صدرها ويستر فتحة جيبها ولا شك أنه يستر الوجه ثم يستر الجيب. فالوجه هو مجمع المحاسن وهو الذي تحصل به الفتنة. وقال الله تعالى: ولا يبدين *زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن*... الآية فهؤلاء تُبدي لهم زينتها كالوجه واليدين والقدمين والثديين عند الإرضاع. أما غيرهم فلا تُبدي له هذه الزينة. وقال تعالى: *قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذَين*. والجلباب هو الرداء الذي تلتف به المرأة فيغطي جسمها بما في ذلك وجهها ويديها حتى تُعرف بعفافها فلا يؤذيها أحد ولا يتعرض لها الفسقة. وفسر الصحابة قوله تعالى: ولا يبدين *زينتهن إلا ما ظهر منها*، بأنها الثياب الظاهرة فهي التي يعفى عن إظهارها ولا يجوز غيرها. والله أعلم.

حقوق الإنسان

بين التكريم والامتهان!

د. خيرالدين عبدالرحمن

كلما تصاعد صراخ آلة الإعلام الغربية - بشقيها الأمريكي والأوربي - هائجًا متوعدًا، أو باكيًا نادبًا حقوق الإنسان المنتهكة في هذا البلد أو ذاك، تستعيد ذاكرة العقل الهادئ الرصين الكلمات التي لخص «رايت ملز» بها أزمة العصر في كتابة «الصفوة الحاكمة في أمريكا» إذ قال: «إن كل ما تم تشريعه من قوانين تشيد بحقوق الإنسان قد ظلت مجرد حبر على الورق، بحيث لا يؤمن الفرد بأي شيء، ويصبح لقمة سائغة للذين يريدون صياغة تفكيره حسب أهوائهم، فلا يعود له من هدف في هذه الحياة سوى تحصيل اللذة أيًا كانت الوسيلة، والإيمان بالقوة والعنف، وهذا هو سر القلق الذي يجتاح نفوس كثير من الناس».

لم يقف ملز وحيدًا في ملاحظته هذه. لقد صفعت كثيرين غيْره ملاحظتُهم أن إجماع كل النظم والفلسفات والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية الوضعية على ادعاء الإنسان هدفها الأسمى ومحور اهتمامها لم يوقف الصراع الأزلي الذي واكب حياة البشر فقسّمهم ما بين مظلومين وظالمين، مقهورين وقاهرين. اختلف الصراع ودعاويه، وتنوعت وسائله وأشكاله، لكن حقوق الإنسان التي يدعيها كل طرف عنوانًا لدعوته وهدفًا لصراعه ظلت محور خيبة أمل جمعية في معظم المجتمعات، عقب كل جولة صراع، وفي نهاية كل تجربة ومرحلة. وهكذا، فعلى الرغم من تجدد غوايات تزيين هذا الستار/العنوان؛ فإنه لم يعد يغطي سوى فوضى عميقة مضطرمة، لا تكاد تسقط نظرية في خضمها، أو تتراجع تجربة، حتى تتقدم أخرى زاعمة أنها البديل الصحيح والخلاص المنتظر، فلا يعطي الانتظار آخر الأمر غير سقوط جديد.

انهارت التجربة الماركسية بعدما ادّعت أنها طريق خلاص البشرية، على الرغم من هيمنتها - فلسفة أو أنظمة حكم - على نصف سكان الأرض. وما إن انهارت تلك التجربة حتى ازداد عري نقيضها الذي ادعى نفسه المنتصر التاريخي بسقوطها، فتكشفت تناقضاته أكثر، ، وارتفع قرع الأجراس من مختلف أرجاء معسكره إنذارًا بخطر النهاية، ودعوة إلى البحث عن مسوّغات جديدة تحل محل المسوّغات القديمة لمجتمعاته، تملصًا من التيه والمهانة، وسعيًا إلى معالجة استشراء الخلل والنخر في عالم الأشخاص المسيطر، وفي عالم الأفكار المهيمن، وفي عالم العلاقات والسلوك السائد. ومع ذلك يحمل أكثر ما نستشرف آفاقه في زحام الحلول المدّعاة خلاصًا للبشرية، مما يصلنا من الآخر، إشارات ترجح انهيارات جديدة أشد سرعة، فتلك الحلول تحمل بذور فنائها في أحشائها.

نحاول التواصل مع الآخر الذي يتوهج هيامه بتجربته الحضارية فيحسبها المنتهى، مدللاً بتجسيداتها المادية وهيمنتها على شؤون عالم اليوم، إلى حد التجرؤ على إعلان نهاية التاريخ وتوقفه عند تلك التجربة، فلا نجده أحادي النظرة وقطعي الرؤية فحسب، ولا تصدمنا تربيته الشوهاء الطاغية التي أوهمته بأنه هو عالم البشر وبأن باقيهم كائنات دونية سوف تبقى في قعر سلم التطور، ومن ثم لا تستحق حقوق الإنسان، فقط، وإنما تصفعنا مفارقات وتناقضات لا تنتهي في سلوك ذلك الآخر ومواقفه.

أليست مفارقة صارخة أن مجتمعات تصر على وصف نفسها أنها موئل حقوق الإنسان وسدنتها، والمؤهلة فطريًا ورساليًا لدور القاضي الذي يقرر من يستحق تلك الحقوق، وكيف يمارسها، وبم يعاقب منتهكها، هي ذاتها التي تتبنّى اغتصاب العقول وامتهان الكرامة الإنسانية، والتمييز العنصري المفضوح والمستتر، ونهب ثروات الأمم الضعيفة ومواردها وجهودها وإبادة ثقافاتها، ونشر الشذوذ الجنسي وفوضى الجنس، وعبادة المال والنفاق، جاعلة من هذا كله اتجاهًا قسريًا وحيدًا للجدارة بحقوق الإنسان ومدخلاً للتمتع بها؟

أليست فضيحة متجددة وممجوجة أن يقام ميزانان مختلفان إلى حد التناقض التام للحالة الواحدة، بل حتى للمتهم الواحد؟ كان هياج الغرب بشقيه الأمريكي والأوربي وامتداداتهما عنيفًا ضد الحكومة الأندونيسية مثلاً في مطلع التسعينيات، بدعوى عدم احترامها حقوق الإنسان. نستذكر على الفور أن هؤلاء الهائجين أنفسهم قد هللوا للنظام ذاته ودعموه بقوة في العام 1965م،

ودافعوا عنه بشراسة في وجه الذين انتقدوا انقلابه العسكري البطيء الذي واكبته حملات أسفرت عن مقتل ثلاثة ملايين إنسان. كان تعليل الداعمين آنذاك، الذين هاجوا وتوعدوا بعد ربع قرن، أن تلك الحملات ضرورية لقطع الطريق على احتمال تسلل الشيوعيين إلى الحكم، وهكذا وفر سدنة حقوق الإنسان مساندة مادية وحصانة معنوية وسياسية للنظام الجديد في ذلك الوقت. نحاول أن نبحث عن الدوافع الحقيقية لهياج هؤلاء السدنة على النظام نفسه بعد ربع قرن، بعيدًا من الذرائع الواهية التي طرحوها، والتي لا تشكل سوى هنات هينات بالمقابلة مع الذي حدث مع بداية حكم ذلك النظام، لا نجد سوى نجاح أندونيسيا في تحقيق قدر مهم من التنمية الاقتصادية وشيء من الاستقلال السياسي الحقيقي الناجم عنها. ويتشعب السر، لكن بعض جوهره كامن في تململ الأندونيسيين من تفاقم النشاط التبشيري النصراني المتهود في بلادهم، وتمادي وسائله وأساليبه في امتهان قيم المجتمع والسعي إلى تفتيته، في مقابل هلع سدنة حقوق الإنسان من التقدم العلمي والصناعي والازدهار الاقتصادي في أكبر المجتمعات الإسلامية عددًا في السكان.

تتكرر الفضيحة عندما يغمض المدافعون عن حقوق الإنسان أعينهم عن مذابح الجيش الروسي ضد الشيشان، ومذابح الصرب ضد المسلمين في البوسنة والهرسك، والمذابح اليهودية ضد المصلين في الحرم الإبراهيمي في الخليل وضد اللبنانيين المستجيرين بمركز الأمم المتحدة في قرية قانا، بل والمذابح التي حصدت الملايين في رواندا وبوروندي، بينما كان المدافعون أنفسهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها كلما اتفق أن اضطرت سلطات الاتحاد السوفييتي السابق إلى مساءلة يهودي من مواطنيها على تخريب قام به ضد بلده، أو على نشاط تجسسي مارسه لمصلحة أجهزة استخبارات خارجية.

يتلاحق اللهاث بحثًا عن صيغة تضمن تجسيدًا عمليًا لاحترام حقوق الإنسان والحرص عليها، لكن البحث يدور حول نفسه ويعود إلى نقطة البدء، مادام يدير الظهر لقبس يشع من

جملة تبدأ بها الآية السبعون من سورة الإسراء: *ولقد كرّمنا بني آدم*. إذ تظهر هذه الجملة آفاق القيمة الهائلة لذلك المخلوق الذي كرّمه خالقه، ومن هذه القيمة يكون الانطلاق.

إن التكريم الإلهي للإنسان هو الفيصل الحاسم، فليس لقوة أن تمتهن الإنسان الذي كرّمه الخالق. لقد جاء التكريم الإلهي للإنسان مطلقًا، شاملاً، أزليًا، بدأ مع خلق الإنسان في أحسن تقويم عطاء إلهيًا من غير مقابل سبقه أو رافقه. تم تأكيد هذا التكريم الإلهي مقرونًا بالتفضيل على مخلوقات أخرى: *وفضّلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً*. **الإسراء**:70 تجسّد هذا التكريم بصيغة عظيمة الدلالة مع اللحظة الأولى لخلق الإنسان الأول: *وإذ قُلنا للملائكة اسجدُوا لآدَمَ فسَجَدُوا إلا إبليس أبى واستكبَر وكان من الكافرين*. **البقرة**:34، وإذ بذلك السجود الذي جسّد إحدى صيغ التكريم الإلهي للإنسان يتحول إلى فيصل بين إيمان الملائكة وكفر من كان واحدًا منهم.

شاءت حكمة الله عز وجل مع تكريمه للإنسان أن يجعل الخطيئة والصواب خيارًا إنسانيًا، ذاتيًا ومسؤولية فردية للإنسان بدأت فور خلقه. فكان إطلاق قوى الوعي الإنساني والحض على حسن استعمالها ليواجه خصمه الذي أبى السجود له، والذي اختار أن يمارس غواية الإنسان وإفساده: *وإذ قُلنا للملائكة اسجُدُوا لآدمَ فسجدوا إلا إبليسَ قالَ أأسجُدُ لمَنْ خلقتَ طينًا. قال أرأيْتكَ هذا الذي كرّمتَ عليّ لئن أخّرتنِ إلى يوم القيامة لأحْتَنِكَنَّ ذُرّيته إلا قليلاً*. **الإسراء**:61-62. لم يتوقف التكريمَ الإلهي مع سقوط الإنسان الأول في الامتحان وارتكابه الخطيئة الأولى، وإنما تجدد هذا التكريم فكان الصفح والعفو، على الرغم من الإخفاق الإنساني في استخدام قوى الوعي الذاتية استخدامًا صائبًا يتحاشى المنزلق: *فتَلقّى آدمُ من ربه كلمات فتاب عليه إنهُ هو التوّاب الرحيم*. **البقرة**:37. لقد تلاحقت فصول التكريم واتصلت استخلافًا للإنسان في الأرض، لكنه يظل مقترنًا بامتحان دائم للجدارة به ومدى استحقاقه. هكذا

الاستخلاف في الأرض امتحان مستمر لجدارة الإنسان بحمل الأمانة والمحافظة عليها وحسن استخدامها، بعدما وفر له الخالق عز وجل أسباب الوفاء بالتزاماتها

ترسخت مع الاستخلاف في الأرض مسؤولية الإنسان تجاه ما استخلفه الخالق به، أي اتجاه الذات، وتجاه باقي البشر، وتجاه سائر المخلوقات: *إنّا عرَضْنا الأمانةَ على السّماوات والأرض والجبَال فأبَيْنَ أنْ يحملْنَها وأشْفَقْنَ منها وحَمَلها الإنسانُ إنّه كانَ ظَلُومًا جهُولاً*. **الأحزاب**:72. إن الاستخلاف في الأرض امتحان مستمر لجدارة الإنسان بحمل الأمانة ومحافظته عليها وحسن استخدامها، بعدما وفر الخالق له أسباب الوفاء بالتزاماتها، وأطلق له حرية الاختيار بين الحق والباطل، موضحًا له الحدود والنتائج والعقابيل المترتبة على اختياره، حاضًا إياه على حسن استخدام ما أنعم عليه به من قوى الوعي والتمييز الكفيلة باتخاذ القرار الصائب والاختيار السليم. كان الامتياز بأن خص الله الإنسان بحمل الأمانة تكريمًا، وكانت حرية اختيار الإنسان بعد النظر في الأبدال والمفاضلة بينها والانتقاء منها مسؤولية، وكان التبيان الواضح للضوابط والحدود والعواقب حصانة. بعد هذا جعل الله للإنسان حرية الاختيار، وتحميله نتائج اختياره، حرية حتى للاختيار بين الإيمان والكفر: *وقُل الحقُّ من ربِّكُم فمَنْ شاءَ فليُؤمِنْ ومن شاء فليَكْفُر إنّا أعْتَدْنا للظالمين نارًا أحاطَ بهمْ سُرادقُها*. **الكهف**:29. إن إطلاق حرية الاختيار على هذا النحو، مقرونةً بتوضيح العواقب، جزء من الامتحان وجوهر له. لذلك ليس لمخلوق أن يحجر على هذه الحرية: *لا إكراهَ في الدين قد تبيّنَ الرُشدُ منَ الغَيّ*. **البقرة**:256. لكن التذكير بعواقب كل اختيار ونتائجه وآثاره مطلوب باستمرار: *فذَكّر إنما أنْتَ مذكّر. لستَ عليهم بمُسَيْطر*. **الغاشية**:21-22. لا يمكن أن تكون حرية الاختيار الإنساني أكثر إطلاقًا بعد التحذير من إكراه الناس - حتى على الإيمان الذي فيه خلاصهم وسعادتهم -: *ولو شاءَ ربّكَ لآمَنَ مَنْ في الأرض كُلُّهُم جميعًا أفأنْتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يكونوا مُؤمنين*. **يونس**:99. إنها حرية واضحة لقرار ذاتي يتحمل صاحبه نتائجه: *مَن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أخرى*. **الإسراء**:15. وفي كل الأحوال: *إنّ الله لا يَظلِمُ الناسَ شيئًا ولكنَّ الناسَ أنفُسَهُمْ يَظلمون*. **يونس**:44.

لقد أنزل الله عز وجل معظم آيات القرآن الكريم لاستحثاث الإنسان على حسن استخدام تلك الوسائل التي أنعم عليه بها لتكفل الاختيار الصحيح والقرار الصائب بعد تقصّي الحقيقة والمفاضلة بين الأبدال. تلك الوسائل الذاتية الفردية هي البداية: *واللهُ أخرَجَكُمْ من بُطُون أمّهاتكم لا تَعلمون شيئًا وجَعَلَ لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ لعلكم تَشكُرُون*. **النحل**:78. والشكر إنما يكون بحسن استخدام هذه النعم، وتحمل نتائج سوء استعمالها: *ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ به علمٌ إن السمعَ والبَصَرَ والفؤادَ كلُّ أولئكَ كانَ عَنهُ مسؤولاً*. **الإسراء**:36. لكن سلامة الفطرة الإنسانية معرضة لتداخلات وغوايات ذلك الذي قال: *لأحتنكَنَّ ذريته إلا قليلاً*. وكذلك تلك النفس الأمارة بالسوء، مما يجعل قوى الوعي الذاتي الفردية بحاجة إلى حصانة إضافية يوفرها تفاعل الفرد مع الجماعة عبر التزام الأمر الإلهي بالتعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، وبأن يكون «أمرهم شورى بينهم»؛ بحيث تتوازن المسؤولية الفردية وتتفاعل مع المسؤولية الجمعية، في إطار حصانة كبرى شاملة يوفرها التزام الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم.

إن ما يحكم هذا التوازن والتفاعل المتبادل بين الفرد والمجموع حقوق فردية وأخرى عامة تتكامل فيما بينها مشكلة الضرورات التي تحتمها سلامة الحياة الإنسانية وسلاستها، في مقابل واجبات فردية وأخرى جمعية يأثم من يتهاون بها أو يفرّط فيها، فردًا كان أم جماعة،

بحيث ينتهك المسلم إسلامه إن انتهكها أو تخاذل في أدائها. وتظل الغاية التي تجمع ما بين تلك الحقوق والواجبات وتوازنها هي حفظ العقل والنفس والدين والمال؛ أي كفالة حق الحياة وسلامة الجسد والمساواة في المعاملة وحرية التفكير والاختيار والعمل، والحماية من التعذيب والإهانة والاضطهاد تجسيداً لقاعدة تربط صلاح أمر الدين بصلاح أمر الدنيا. هذا الربط والتكامل جوهر الأمانة التي عرضها الخالق على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، بينما حملها الإنسان إذ استُخلفَ في الأرض متحملاً مسؤولية سلامة ما فوقها وما في جوفها.

لم يقتصر تكريم الخالق للإنسان على توفير قوى وعيه الذاتية التي تؤهله لحسن حمل الأمانة، ولا على تبيان شروط التفاعل المتوازن ما بين الفرد والجماعة وجعله جزءاً من الفطرة الإنسانية، وإنما تواصل التكريم واتّسع تسخيراً لوسائل هائلة خارجة عن ذات الإنسان: *وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون*. **الجاثية**:13. *ألم ترَ أنّ اللهَ سخّر لكم ما في الأرض والفُلْكَ تجري في البحر بأمره ويُمْسِكُ السماءَ أن تَقَع على الأرض إلا بإذنه*. **الحج**:65؛ *وسخّر لكم الشمسَ والقمرَ دائبَين وسخّر لكم الليل والنهارَ*. **إبراهيم**:33. لقد صاحب هذا التسخير تحذير واضح: *ولا تُفْسِدُوا في الأرض بعدَ إصلاحها*. **الأعراف**:56، بحيث بات تجنب الإنسان الإفساد في الأرض مقياساً لمدى وفائه وشكره لنعمة التكريم الإلهي له، ولمدى جدارته باستخلاف الخالق له في الأرض، ولمدى أهليته لحمل الأمانة. وإذا كان التنوع

جعل سعادة الآخرين هدفًا وغاية هو السبيل إلى السعادة الذاتية الحقة التي تعكس احترامًا لقيمة الإنسان، والاستهتار بتلك القيمة يقود إلي انهيار الحضارات

والتباين والاختلاف من سمات الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: *إنّ سَعْيَكم لشتّى*. **الليل**:4، *وكان الإنسانُ أكثر شيءٍ جدلاً*. **الكهف**:54، فإن تجنب الإفساد هو الحد والمنطق للحكم على سلامة اختيار الإنسان ما بين الخير والشر، وما بين السعادة والشقاء، ملخصاً المسؤولية الكبرى الدائمة للإنسان في إطاريها الفردي والجمعي، عبر تكامل الوعي الفردي وتآلفه مع الوعي الجمعي؛ بما يضمن صواب الاختيار وحسن التنفيذ اللذين يعتمدان على إرادة فردية متوافقة مع الإرادة الجمعية

في المقاصد. إن التعاون على البر والتقوى يلي في التسلسل الزمني والترتيب العملي التعارف والحوار والتفاعل الفكري: *يا أيها الناسُ إنّا خلقْنَاكم من ذكر وأنثى وجعَلْناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفوا إنّ أكرمَكُم عندَ الله أتقاكم*. **الحجرات**:13. إن من أوضح تجسيدات التقوى تجنب الإفساد، وأخطر خصائص الإفساد أنه يبدأ بفرد ثم ينتشر سريعًا بين الآخرين، منتقلاً من فساد ذات فردية منحرفة التفكير والسلوك، إلى إفساد متسلسل العلاقات والتعامل والسلوك على مستوى جمعي. لا نحتاج إلى عناء لاكتشاف مدى انتشار الفساد والإفساد في عالمنا، مما بات سمة طاغية لعصرنا: استشراء للنفاق وعبادة الذات والمال والفرد، وخللاً فاحشًا في العلاقات والمسلكيات الأسرية والمجتمعية أخذ تسارعه أبعاداً كارثية، ناهيك عن تخريب هائل للبيئة والموارد الطبيعة تجاوز الخطوط الحمر؛ فتلوث الهواء والماء والتراب انعكاسًا لتلوث النفوس، وتكاثرت الأوبئة وتوالدت نماذج جديدة، وأبيدت أنواع من المخلوقات، بينما تواجه أنواع أخرى من الأحياء الحيوانية والنباتية تهديداً جماعيًا شاملاً ساحقًا. وعلى الرغم من كل هذا، تختنق أصوات أجراس الإنذار المتلاحقة في زحام التدافع المحموم على الاستئثار بالثروات والسلطان واحتكار الموارد، والتباهي بالخضوع للشهوات والنزوات والأطماع المفرطة الجامحة: *كلا إنّ الإنسانَ ليطغى. أن رآه استغنى*. **العلق** 6-7. يتمادى الطغيان في اقتناء وسائل التدمير الجماعي الشامل. وبعدما ضاقت الأرض بها، انتقل العبث إلى كواكب أخرى في صراع لاستخدام الفضاء الخارجي ميدانًا للهيمنة على الأرض، إطلاقًا لجموح نزعة الإفساد إلى مداها، وتجسيداً لطغيان لا تستوعبه الأرض ولا يُشبع سكانها نهمه.

هل تجدي حصانة، والحال هذا شأنه، ما لم تكن رادعًا ذاتيًا يحد من النزعة إلى الإفساد، ويحض على حسن استخدام قوى الوعي جهاداً للنفس وتطويعًا لنزواتها وتغليبًا لمصلحة الجماعة على أطماع الفرد، ولمصلحة البشرية على أطماع بعضها؟ هل من بداية غير تقديم (نحن) على (أنا) لأن الأولى تتضمن الثانية حكمًا، بينما تقديم الثانية يغتصب حقوق الأولى، فما بالك إن وصل الفساد تخوم إلغاء الأولى لإشباع نهم الثانية؟ هذا التقديم شكل جوهر النمو السليم للحضارات على امتداد التاريخ الإنساني: *ويُؤْثِرُونَ على أنفسهم ولو كانَ بهم خَصَاصةٌ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئكَ هُمُ المفلحونَ*. **الحشر**:9. إن جعل سعادة الآخرين هدفًا وغاية هو السبيل إلى السعادة الذاتية الحقة التي تعكس احترامًا لقيمة الإنسان، بينما يقود الاستهتار بتلك القيمة حتمًا إلى انهيار الحضارات والمدنيات والمجتمعات، على نحو ما يتلاحق في عالمنا كلما: *ظَهَرَ الفَسَادُ في البرّ والبحر بما كَسَبَتْ أيدي الناس ليذيقَهم بعضَ الذي عَمِلُوا لعلّهم يَرجعُون*. **الروم**:41. إن إبقاء درب الرجوع عن الفساد والتراجع عن الإفساد مفتوحًا سالكًا عبر التوبة والتصحيح استمرار للتكريم الإلهي لبني آدم. أول ذلك الدرب كبح الأهواء والسيطرة على نزوات النفس وتطويع غرائزها واحترام المساواة التي أرادها الله بين البشر، وإدراك أن الامتحان والاختبار مستمران متجددان: *فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذرَّة خيرًا يَرَه. وَمَنْ يَعْمَلْ مثْقَالَ ذرَّة شرًا يَرَه*. **الزلزلة**:7-8. هذه المراجعة دور دائم لقوى الوعي الذاتي للإنسان: رجوع عن الغي، ومحاسبة لتقويم الاعوجاج، ويقظة لتحاشي غوايات الانزلاق، ومساءلة لتصويب الاتجاه، وتدقيق لتحسين الأداء، وتدبر لاستبدال الأداة، ومقارنة لتطوير الأسلوب أو تغييره - فرديًا وجمعيًا - حيث لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن التوزيع النسبي لمقاصد آيات القرآن الكريم ومدلولاتها يوضح أولويات حقوق الإنسان وواجباته: عرَضت ثلاثمئة وعشرون آية بالظلم والظالمين، وأمرت أربع وخمسون آية بالعدل، وشددت مئة وخمسون آية على المساواة بين الناس، وأوصت ثمانون آية بحفظ الحياة وتوفير أسبابها، ونهت سبعون آية عن القتل وحددت شروط القتال، بينما تضمنت عشرون آية تكريمًا للإنسان وحضًا على صون كرامته، ونهت عشر آيات عن الإكراه وأطلقت حرية الفكر والاعتقاد والضمير. ومن جوهر الأمر حفظ شعلة الأمل متقدة عبر إبقاء باب المراجعة والتوبة والتغيير مفتوحًا. لكن التغيير لا يكون بغير إدراك ذاتي للنقص والخلل والخطأ وتبصّر في الأسباب والعواقب، وتحاشي الخضوع لاستعباد المادة أو قهر الآخر، وتجنب الاستسلام لغواية القيم المدمرة والنزوات العبثية.

لقد جعل التكريم الإلهي من الإنسان - بالفطرة - نقيضًا للخضوع لقهر الآخر واستعباده. فمن سخّر الله له الشمس والقمر وما في السماوات والأرض، لا يجوز تسخيره لمنافع وأغراض وأطماع تحط من قيمته وتمتهن كرامته. ومهما أوغل الناس في متاهات الجدل حول حقوق الإنسان والتشدق بادعاء الدفاع عنها والحرص عليها، فلن يتوقف الاستغلال البشع لهذه الحقوق، واستخدامها ستاراً لصراعات مدمرة تسبب للبشر عذابات هائلة، ما لم يجعل الناس نقطة الانطلاق الإحاطة الواعية والالتزام الطوعي بمدلولات جوهر قيمة الإنسان، متمثلاً بقوله تعالى: *ولقد كرّمنا بني آدم*. ليس لمخلوق أن يمتهن مَنْ كرّمه الخالق.. هذه هي البداية والديدن، وبغير هذا فإن ادعاء الحرص على حقوق الإنسان، بالانتصار لها حينًا وغض الطرف عن انتهاكها أحيانًا، وفقًا للمصالح والأهواء، هو لغو وإفك وامتهان لقيمة الإنسان.

في الذكرى الرابعة لوفاته:

الشيخ عبدُ العزيز الرِّفاعي

د. عبدالسلام الهراس

في السعودية رجال أفذاذ ذوو فكر ورأي وتبصر وحكمة وأناة وغيرة وكفاءة وتقدير للمسؤولية مع أدب جم وخلق كريم وتواضع حميد وشجاعة متزنة.

وقد أتيح لي أن أعرف أول شخصية سعودية في بيروت في أثناء صيف 1954م وأنا بعد طالب على أبواب الجامعة. ذلك هو العلامة السلفي المصلح الشيخ محمد نصيف رحمه الله، وعرفني به أستاذنا المربي أبو عمر محمد الداعوق رائد جماعة عباد الرحمان الذي حثّنا ـ نحن شباب الدعوة ـ على أن نغتنم فرصة زيارة الشيخ نصيف لبيروت للتعرف إليه والاستفادة منه، وقد كان الشيخ نصيف رحمه الله يوزع على كبارنا كتبًا لابن تيميه لعله هو الذي كان يقوم بالإنفاق على طبعها.

وأول شاب سعودي عرفته في حياتي هو الدكتور عبدالله النافع المدني الذي التحق بمصر للدراسة بكلية دار العلوم سنة 1955م، فكان أخًا عزيزًا لا يفارقنا ولا نفارقه، وانضم إلى حلقات أستاذنا مالك بن نبي سنة 1956م الذي كان يسكن معنا في البيت. وكان من أسرتنا الطلابية الكاتب عمر كامل مسقاوي ـ وزير النقل بلبنان حاليًا ـ، والشيخ ناصر إبراهيم الصالح رئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي ببيروت، والأستاذ عبدالرحيم طريف أستاذ بالمقاصد الإسلامية.

لكن رحلتي إلى الحج سنة 1394هـ فتحت لي أبواب التعارف على مصاريعها مع أعلام من رجال المملكة العربية السعودية بفضل أستاذنا الشيخ محمد المبارك رحمه الله وشيخنا أبوعمر محمد الداعوق الذي صادف أن حججنا معًا في هذه السنة بعد غياب طويل.

وفي سنة 1395هـ/ أكتوبر 1975م أقيمت في الرباط ندوة عالمية بمناسبة الذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون شارك فيها أعلام كبار من الشرق والغرب بأبحاث ومساهمات أدبية وتاريخية مهمة أتذكر منهم: الدكتور نقولا زيادة والدكتور ناصرالدين الأسد والدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي والدكتور عبدالله الطيب والدكتور علي عبدالعظيم والدكتور مصطفى الشكعة والدكتور شوقي ضيف والدكتور إحسان عباس والدكتور مختار الوكيل والدكتور شارل بيلا، ومن الشعراء محمد المهدي المجذوب من السودان ومحمد بهجة الأثري من العراق ومفدي زكريا من الجزائر (وكان مقيمًا بالمغرب) وعدنان مردم من سورية وحسن كامل الصيرفي والعوضي الوكيل من مصر. وكنا نحن المغاربة مهتمين بضيوفنا، لكن الوفد المصري استبد بوقتنا أكثر إذ كنا نقضي معظم أصباحنا وأماسينا معه لتناول مواضيع مهمة من الأدب، قديمه وحديثه، ونستمع لقصائد عديدة يلقيها علينا الصيرفي والعوضي الوكيل الذي أشبعنا من أهاجيه في أصحابه وأصدقائه. وهذا النوع من الهجو الخاص بالأصدقاء والأحباء يربو على عشرة آلاف بيت. ومع ذلك كنت أحاول أن أتعرف إلى باحثين آخرين لكن لم تتح لي الفرصة لتوثيق الصداقة معهم، فقد سلمت مرة أو مرتين على أخينا الدكتور عبدالله الطيب، وقد جنى علينا جهلنا به فضيعنا الارتباط به والإفادة منه حتى قيض الله لنا إقامته بيننا نحوًا من تسع سنوات، كما جالسنا بعض الأدباء السعوديين، ومنهم شيخنا الكريم الشاعر الباحث عبدالعزيز الرفاعي، وكان فيما أتذكر منتحيًا مكانًا خاصًا يجالس أفرادًا مختارين.

لكن الذي كان يجالسنا أكثر هو الشاعر السفير حسن عبدالله القرشي الذي لم يسلم من دعابات أصدقائه الشعراء المصريين حضورًا وغيبة.

ومن الشخصيات الكريمة والمفكرة التي عرفتها سنة 1974م الأديب الكبير الشيخ أحمد محمد جمال ـ رحمه الله ـ الصديق العزيز للشيخ عبدالعزيز ورفيق دربه في الأندلس (انظر رحلته مع التأليف صفحات 19-21)، ومعه الدكتور محمد العروسي الذي ما تزال أواصر المحبة قوية بيننا إلى الآن.

وتكرر لقائي وتعارفي بالشيخ أحمد محمد جمال بملتقى الفكر الإسلامي بتلمسان بالجزائر، وقد شهدت له هناك مواقف شجاعة يجب عليّ ذكرها إن شاء الله في فرصة سانحة.

وبعد ثلاثة عشر عامًا شاء الله أن يتجدد التعارف بيني وبين الشيخ عبدالعزيز إذ قمت بزيارة لندوته الخميسية مرتين وكان الضيف الأول فيهما: الأخ الدكتور المهدي بنعبود، والضيف الثاني الشاعر الكبير عمر بهاءالدين الأميري، ثم توثقت العلاقة بيننا؛ فكثرت اللقاءات والمراسلات والجلسات، وكان من أهم ما يجمعنا اهتمامنا بالأندلس أدبًا وتاريخًا وحضارةً، وقد تصادف أن كتبنا موضوعين مختلفين عن شخص واحد هو طارق بن زياد كما فعلنا سابقًا في الكتابة عن ابن زيدون. وقبل تناول الحديث عن هذا الموضوع أرى ضرورة الإشارة إلى أن الشيخ عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ كان مهتمًا بالأندلس اهتمامًا كبيرًا، وقد استقر في مصطاف جميل من ربوعها في بلدة سهيل أو مدينة فوينخيرولا Fuenjerola حيث كان يقضي فيها أشهرًا. وما أظن اختياره لهذه البقعة من الأندلس كان مصادفة؛ فلقد آثرها لما تمتاز به من هدوء وسكينة أولاً، ولا يتوافر هذا في المدن السياحية الأخرى المجاورة ذات الشهرة الكبيرة التي يكثر فيها العج والضجيج إلى آخر مطلع الفجر. وأمر آخر كان وراء ميله للاصطياف والارتباع أحيانًا في سهيل أنها بلد العالم الأديب الشاعر أبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي (508-581هـ) صاحب «الروض الأنف» وغيرها من الكتب القيمة.

وما إن حلَّ بسهيل حتى امتدت يده الكريمة إلى الخير

والأندلس

فصار يساعد بعض المسلمين الإسبان المخلصين ويتودد إليهم ويأخذ بيدهم. وقد أسهم مع بعض أصدقائه الخُلّص في مشروع شراء مقبرة للمسلمين، غير أن حواراً جرى بينه وبين بعض المهتمين بالإسلام في الأندلس حول مدى جدوى هذا المشروع جعله يتحرى عنه وعن حاجة المسلمين الإسبان والجالية الإسلامية بإسبانيا إليه، وعلم أنهم بدلاً من ذلك في أمس الحاجة إلى مدرسة في المستوى اللائق.

والشيخ عبدالعزيز من أولئك القلائل الذين لا يقتنعون بادي الرأي ولو كان مخاطبهم ثقةً ما لم يدرس الموضوع دراسة وافية من جميع جوانبه مع تأن وتبصر وهدوء وموضوعية، وهو - رحمه الله - صامت كاتم سرَّه إلى أنْ يفاجئك بقراره الذي انتهى إليه، ولا يأنف من الاعتراف لمحاوره بالحقيقة وكذلك كان. فقد أصبح يفكر هو وثلة من المصطافين السعوديين والكويتيين وغيرهم في إنشاء مركز إسلامي في بلدة سهيل، وقد شجعه على ذلك إلحاح بعض المصطافين للاهتمام بهذه المدينة التاريخية المهمة وكون مسجد «ماربيا» الذي أسسه ويرعاه الأمير سلمان بن عبدالعزيز حفظه الله يصعب الوصول إليه لصلاة الجمعة لاكتظاظ الطريق إليه بالسيارات والازدحام الشديد ذهاباً وإياباً بين المدينتين. ومن حكمة الشيخ عبدالعزيز - رحمه الله - أنه استعان على مشروعه المهم بالقنصل السعودي بمالقة الأستاذ بشير كردي، وهو من خيرة الدبلوماسيين المسلمين بإسبانيا الذين يمتازون بالحكمة والتعقل والمعرفة والنشاط الدائب مع تواضع وحسن خلق وحرص على النفع العام مما جعل له رصيداً كبيراً من السمعة الطيبة في تلك الأوساط. كما أن الشيخ عبدالعزيز - رحمه الله - سارع إلى استشارة الأمير سلمان بن عبدالعزيز وإخباره بهذا المشروع وبمسوغاته ليكون معززاً لمسجد ماربيا، فما كان من الأمير الكريم إلا أن بارك المشروع وشجّع عليه وسانده مادياً ومعنوياً؛ مما أعطى المشروع دفعة قوية للأمام إلى أن استوى كاملاً شاملاً شامخاً. وقد حدثني الشيخ عبدالعزيز عن حسن استقبال سمو الأمير له وترحيبه بالمشروع وثنائه على أصحابه.

والمركز يتكون من عدة أقسام أهمها المسجد وقاعة للمحاضرات وحجرات للدراسة ومكتبة مهمة، تحتل الكتب الكثيرة التي أهداها إليها الشيخ عبدالعزيز مكانة بارزة فيها. وعلى ذكر المكتبة، فإن الشيخ عبدالعزيز - رحمه الله - اصطحب معه كتباً كثيرة من المكتبة الأندلسية لقراءتها في إثناء إقامته بسهيل ومنها كتب اشتراها بالمغرب. ومنذ ثلاث سنوات تقريباً بعثتُ إليه بمصورة مخطوط أدباء مالقة وفقهائها لابن عسكر، وهو كتاب نفيس، كنت أود أن أتحفه به محققاً تحقيقاً رائعاً قام به الدكتور عبدالله المرابط الترغي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، وهو سليل العلماء والفقهاء بقرية تارغة بقبيلة بني زيات الغفارية، وإن كان الكتاب نُشر هذه السنة محققاً بتحقيق غيره!!

وكان الشيخ عبدالعزيز - رحمه الله - منكبّاً على قراءة التراث الأندلسي من جديد مزمعاً أن يكتب في ذلك، وكان مهتماً بصفة خاصة بالإمام السهيلي، وإن كان موضوع الأندلس ليس جديداً عليه؛ لأنه ما من عربي

السبعين من عمره). وتجاذبنا أطراف الحديث وأوسطه عن خطبة طارق وعن إحراق السفن فكان الاتفاق والاختلاف، أما الاتفاق فكان في كون طارق قد خطب بالعربية خلافاً لمن ينفي ذلك، وأما الاختلاف فكان في إحراق طارق السفن. وقد تكرم على عادته مع أحبائه فأتحفني بإهدائي كتيبه عن جبل طارق والعرب وقد تناول فيه قصة الجبل (ص4)، وأشار إلى أن بعض المفسرين ذكر أن مضيق جبل طارق أو مضيق طنجة هو مجمع البحرين الوارد في سورة الكهف، دون أن يغفل عن الرأي الذي ذكر أنه ملتقى خليج السويس بخليج العقبة. ثم تساءل عن طارق؟ وأجاب عن السؤال بإيجاز، واسترسل في ذكر الفتح واستراتيجية جبل طارق في التاريخ القديم والجديد، وعن جغرافيته وتاريخه وآثاره. وقد صحح بعض الأوهام. وختم البحث الصغير بقوله في آخر مقدمة الطبعة الأولى فيما أحسب: «على أن جبل طارق وإن مثّل نقطة انطلاق الفتح العربي الإسلامي إلى الأندلس فقد مثّل من جانب حضاري البوابة الرئيسة الكبرى التي التقى فيها الشرق



مالك بن نبي



عبد العزيز الرفاعي



حسن عبدالله القرشي



عمر بهاء الدين الأميري

مسلم غيور إلا ويهتم بالأندلس ذلك القطر العظيم الذي يقع في جنوب أوربا حالياً (وكان يقع حسب خريطة الإدريسي في الشمال) ضيعه المسلمون عندما ضيعوا أنفسهم بالخلافات والتنازع والتآمر على بعضهم والاستعانة بأعدائهم على أنفسهم.

ومن نتائج هذا الاهتمام رسالته - رحمه الله - عن جبل طارق والعرب، يقول في كتابه الصغير «رحلتي مع التأليف» ص25، 26: «وقد حفزني ما لقي هذا الكتيّب من تشجيع (سلسلة الكتب الصغيرة) على أن أختار مقالاً طويلاً بعض الشيء نشرته لي مجلة قافلة الزيت (القافلة الآن) عن جبل طارق والعرب، ويشكل هذا المقال جزءاً من مشروع كتاب كنت أنوي تأليفه عن «أبواب الفتح» بدأته بجبل طارق ثم كتبت بعده شيئاً عن جزيرة قبرص وأهميتها للفتح الإسلامي.. وكان أن طبعت المقال الخاص بجبل طارق بالأسلوب نفسه، ولقي من التشجيع ما لقي الكتيب الأول». وعندما التقينا في المرة الثالثة بالمغرب بعد اللقاء الأول سنة 1975م اطلع - رحمه الله - على بحثي الذي كتبته عن طارق بن زياد وخطبته (الذي أهديته لشيخ العربية محمود محمد شاكر - رحمه الله - بمناسبة بلوغه

بالغرب. نفذت منها الحضارة العربية الإسلامية بكل إشراقاتها الروحية والفكرية حيث قعدت أوربا هناك مقعد التلميذ من الأساتذة المسلمين فنهلت عنهم الطب والفلك والفلسفة وغيرها من العلوم، وفتحوا أمامها آفاقاً جديدة من العلوم والمعرفة» (ص.ع).

وقد جعل هذه الكلمة الرائعة على ظهر الغلاف، وأضاف قائلاً (ص39): «وفي جبل طارق متحف لآثاره، ولكن القسم الصغير المخصص للآثار العربية في هذا المتحف لا يعطي فكرة واضحة عن الحضارة العربية خلال فترة حكم العرب للجبل». ويهمني أن أشير إلى أن باب الحوار بيننا ظل مفتوحاً حول إحراق السفن حيث كان يميل - رحمه الله - في الطبعة الأولى إلى أن قصة الإحراق قد وقعت، ولكنه تراجع عن هذا الاقتناع وترجح لديه أن المعقول هو أن يوليان استعاد سفنه، وقد استرعى نظره إلى ضعف قصة الإحراق صديقه الأستاذ الجليل محمد سعيد العامودي (ص15تعليق).

ويبدو أن نفي قصة الإحراق يحظى بتأييد جمهرة كبيرة من الباحثين وأشياعهم مثل الدكتور محمود علي مكي الذي يعدّ عمدة في الأندلسيات. وآخر مقال نُشر

في ذكرى وفاته الرابعة

الشيخ عبدالعزيز الرفاعي والأندلس

في موضوع النفي هذا كتبه الدكتور عبدالحليم عويس بأسلوبه الشائق ومرافعاته الرائعة، وكذلك الباحث الكبير مؤلف الفتوحات الإسلامية وأبطالها الأخ العزيز اللواء الركن محمود شيت خطاب، لكن مع ذلك فإني لا أرى حتى الآن سببًا وجيهًا يجعلني أرجح النفي على الإثبات، ولعل الله يوفق للكتابة في هذا الموضوع الذي ما أظن أننا سنصل فيه إلى رأي حاسم بالأدلة النقلية أو بالرواية والدراية كما وفق الله في بحثنا عن خطبة طارق، لكن قد ننتهي إلى أن نفي القصة ليس يرتفع إلى مستوى اليقين أو الظن الغالب، وإنما يظل الأمر وجهة نظر تحتمل الصواب كما أن الإثبات وجهة نظر مخالفة تحتمل الخطأ، والله أعلم بالحقيقة ما دامت النصوص الواضحة الصريحة الصحيحة غائبة في الموضوع.

ولذلك كله كان الشيخ عبدالعزيز - رحمه الله - محقًا عندما قال في إهدائه هذا البحث إليّ على سبيل الدعابة: إلى منافسي في التحقيق عن جبل طارق الصديق العزيز الدكتور عبدالسلام الهراس ذكرى زيارة للمغرب كان أحد أركانها.

من المؤلف (التوقيع) فاس 5 رجب 1406هـ.

أما البحث الآخر عن الأندلس وهو الأول في الترتيب الزمني فهو «تلميحات شواهد ابن زيدون»، كتبه وهو يضطلع بمهمته السامية بديوان رئاسة مجلس الوزراء، وهذا البحث جديد متميز ينضم إلى بعض الأبحاث الأصيلة المتميزة التي قُدِّمت بمناسبة الذكرى الألفية لميلاد الشاعر الكاتب الوزير ابن زيدون القرطبي ثم الإشبيلي (394-463هـ). وقد شاركتُ في هذه الندوة ببحث حاولت أن أتناول فيه جانبًا متصلاً بشخصية ابن زيدون وعلاقته بقضايا أمته ووطنه ومدينته قرطبة. وكذلك طبيعة حبه لولادة وكان عنوانه: «ابن زيدون: الأنا المفرطة» وهو بحث يتسق مع البحث الذي أعالجه - وقد أنجزت بعضه - عن مأساة ضياع الأندلس.

والبحث الذي تناوله الشيخ عبدالعزيز يرتبط ارتباطًا وثيقًا بشخصية ابن زيدون واعتزازه بنفسه، وقدرته في شعره ونثره على أن يقول من وراء السطور ووراء الكلام ما لا يسوغ له قوله من خلال السطور مباشرة.. ولذلك لجأ إلى مخزونه العظيم من النصوص الشعرية وغيرها ليستعين على تبليغ رسالته إلى مخاطبه بالتصريح والتلميح.

وقد لاحظ أديبنا الكبير الشيخ عبدالعزيز أن اهتمام الباحثين بشعر ابن زيدون قد طغى على اهتمامهم بنثره، فلا نجد من الباحثين المعاصرين من عُني بإلقاء أضواء كثيرة على ذلك النثر، اللهم إلا قلة قليلة. وهم إنما فعلوا ذلك - غالبًا - في سياق الحديث عن ابن زيدون شاعرًا. ويعتقد أن الذي وصلنا منه قليل. ثم يعقد موازنة بين رسالتي ابن زيدون الجدية والهزلية: فقد اتفقتا منهجًا وافترقتا أسلوبًا، فإن كلا منهما تمتلئ بالمعلومات والشواهد النثرية والشعرية والأمثال والحكم والإشارات (ص4).

ويرى أن الحس الإبداعي استولى على قلم ابن زيدون وطغى على عاطفته في الرسالتين مما جعلهما متنًا أدبيًا مثيرًا للإعجاب، وكان هذا الإعجاب للثروة الكبيرة التي حشدها الكاتب في النصين (ص4). وقد اهتم الشيخ عبدالعزيز بالرسالة الجدية التي حدد مكانها وزمانها وطرفها الثاني، وأهم سماتها المنهجية والفنية الاستكثار من الشواهد قرآنًا كريمًا وسيرة نبوية معطرة وأقوال صحابة وأعلام رجال وحكمًا وأمثالاً عربية (ص5).

وعلى اهتمام الشراح بهذه الرسالة فإن أحدًا منهم لم يُعْنَ بالجانب النقدي إلا لمامًا وبخاصة شرح الصفدي (ت:764هـ) وشرح أبي بكر محمد عليم (ت:1918م)، لكن الشيخ عبدالعزيز بنى رسالته هذه على التأمل في النصوص التي استشهد بها ابن زيدون لما لها من المرامي والمقاصد والإشارات التي تنأى بالرسالة عن تهمة غياب شخصية ابن زيدون وذاتيته في الرسالة؛ لإيراده تلك الشواهد الكثيرة والمتزاحمة وإغراق رسالته بها؛ إذ كان له وراء ذلك مقاصد وإشارات وأهداف يعرفها الأديب المتمرس الذواقة.

وقد أفضى بالشيخ عبدالعزيز تأمُّله في هذه النصوص إلى إثارة هذا السؤال: هل كانت سطور ابن زيدون تخفي معاني وأهدافًا خلفها بحيث يصح أن نزعم أن هناك ما يسمى «خلف السطور» أو أن الكاتب كان يعني هذه السطور الخلفية (ص7)، وكانت هذه المحاضرة جوابًا عن هذا السؤال، وتمثل هذا الجواب في تحليل شخصية ابن زيدون التي تتشابه من وجوه مع شخصية المتنبي، كذلك يتشابهان في بعض الظروف التي نشأت عنها الشكاوى والعتب، لذلك كثر استشهاده بشعر المتنبي تعزيزًا لأفكاره بها وتعميقًا لمعاني العتب والشكوى (ص11).

> **كان عبدالعزيز الرفاعي من القلائل الذين لا يقتنعون بادي الرأي، ولو كان مخاطبهم ثقة، ما لم يدرس الموضوع دراسة وافية من جميع جوانبه**

ولم يكن ابن زيدون بمختزن في حافظته وذاكرته ذلك العدد الهائل من هذه النصوص دون أن يكون واعيًا مدركًا لمراميها وعلاقاتها المختلفة وصلاحيتها لاستخدامها في أغراضه في أثناء صراعه مع خصومه دفاعًا وهجومًا وإقناعًا. وهو إذ يستشهد بآية أو بيت شعر أو بمثل أو بكلمة يدرك أن صاحبه - وهو هنا ابن جَهْوَر - أديب شاعر في مستوى إدراك المرامي البعيدة التي يرمي إليها أو يلمح إليها، فالظاهر يساند الخفي ويدعمه، وهذا الأسلوب أبلغ في العقاب واللوم وربما التقريع (ص8)؛ لأن الكلمة - شعرًا أو نثرًا - التي سيقت للاستشهاد لم تأت يتيمة عارية وحدها؛ وإنما هي مرتبطة بالكلام كله والقصة كلها. فإذا كانت بيتًا فليس المراد هو ذلك البيت وإنما القصيدة كلها والموضوع كله والموقف بتمامه والقصة بحذافيرها؛ لذلك ساق الشيخ عبدالعزيز أهم الأبيات من القصيدة المستشهد ببيت من أبياتها كقول ابن زيدون: «وغضضت عني طرف حمايتك بعد أن نظر الأعمى إلى تأملي لك وسمع الأصم ثنائي عليك»، إشارة منه إلى قول المتنبي:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
وأسمعتْ كلماتي من به صممُ

وهي من قصيدته التي مطلعها:

واحرَّ قلباهُ ممن قلبُهُ شَبِمُ
ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

والقصيدة في عتاب سيف الدولة.

إذا تأملنا هذه القصيدة - ولا بد أن أبا الحزم بن جهور قد فعل ذلك - نرى أن المتنبي يقول فيها ما يصح أن يقصده ابن زيدون. وقد رأينا أنه هنا تجنب إيراد أبيات المتنبي مكتفيًا بالإيماء إليها ومكتفيًا بفطنة ابن جهور لاستعراض القصيدة كلها وما يتصل بها من ظروف وملابسات. وقد أورد الشيخ عبدالعزيز كثيرًا من أبيات القصائد الوارد فيها الاستشهاد محللاً وموازنًا ومستنتجًا وباسطًا أفكار ابن زيدون التي ألمح إليها ببراعة واعيًا بما يريد وبما يحققه هذا الأسلوب، وكذلك استشهد ببعض أبيات البحتري التي رآها وافية بالمراد مؤدية للمقاصد المتوخاة. ويختم الشيخ عبدالعزيز محاضرته القيمة بقوله: «وبعد، فهذه وقفات عابرة عند بعض شواهد ابن زيدون، ولم تكن محاولة استقصاء، وهي وقفات تأمل وليست نظرات يقين. وقد أحببت أن أضع هذه الوقفات بين يدي الباحثين لعلها تلقي ضوءًا أو تفتح طريقًا، وحسبي أنني قضيت بها أيامًا طويلة في صحبة ابن زيدون أتنقل فيها من رائق شعره إلى بديع نثره لأزداد هنا يقينًا بأن شخصية ابن زيدون شخصية فذة فريدة وأن أدبه عظيم».

إن الشيخ عبدالعزيز الرفاعي - رحمه الله - عاد في آخر حياته للاهتمام بالأندلس يقرأ كثيرًا عن آدابها وإنتاجها الفكري والعلمي معتكفًا في مصطافه بسهيل، وقد نشر بعض المقالات الرائعة من هناك قبل إنجاز مشروعه الكبير الذي كان يحدثني عن شيء قليل منه، لأنه - رحمه الله - كان كثير التواضع والاختفاء والتأني لما يخشاه أن يكون إعجابًا بالنفس، لذلك كثيرًا ما يصف أبحاثه وأشعاره وإنتاجه بأنها ليست بذاك على جدتها وإبداعها وروعتها، ومن ذلك ديوانه الأخير - فيما أظن - «ظلال ولا أغصان»، يقول في مقدمته: «إن معظم هذه الأشعار إن صح أن أسميها أشعارًا هو من زهر الصبا ونضارة الشباب».

إن الشيخ الرفاعي كان يمثل الجيل الذي استمر في البناء الثقافي والأدبي في عدة مجالات من شعر ونثر بالمقالة والقصة والبحث وإنشاء الندوات الأدبية لجعلها منابر للمفكرين والأدباء والعلماء، لذلك فقدنا بموته الشيخ عبدالعزيز ركنًا مهمًا وعمادًا شامخًا قويًا من أركان الفكر والثقافة والأدب. ولنا عودة إلى دراسة بعض آثاره الأخرى، رحمه الله رحمة واسعة.

رؤية نقدية

قصتي مع فعل «إخال»



د. غسان حتاحت

بدأت قصتي مع فعل «إخال» مذ كنت طالبًا في المدارس الثانوية، فقد كان مقررًا علينا حينذاك دراسة قصيدة أبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي (ت:نحو27هـ) المشهورة في رثاء بنيه الخمسة الذين أودى بهم الطاعون في عام واحد والتي مطلعها:

أمن المنون وريبها تتوجعُ
والدهر ليس بمُعتِب من يجزعُ

وفيها البيت:

فَغَبَرْتُ بعدهم بعيش ناصب
وإِخال أني لاحق مُستَتبع

وشاء سوءُ طالعي أو حسنه أن يكلفني الأستاذ قراءة هذه القصيدة، وعندما وصلت إلى كلمة إخال لاحظت ـ باستغراب ـ كونها مكتوبة بهمزة مكسورة، وكما هو معلوم فليس الأمر الشائع في اللغة العربية أن تبدأ الأفعال المضارعة بهمزة مكسورة. وبعد أن قرأتها كما هي مكتوبة صححها لي الأستاذ وقال: أخال.

وهنا كان لدي واحد من ثلاثة خيارات: إما أن يعدل الأستاذ عن رأيه، أو أن أصحح الكتاب، أو أن يخرج الشاعر من قبره فيشير علينا باللفظ الصحيح.

وغني عن البيان أن الأمر الأول كان أصعب هذه الخيارات، لذلك رضيت من الغنيمة بالإياب، وإن كان بقي في نفسي شيء من إخال. وعندما راجعت ـ فيما بعد ـ أكثر من قاموس ومعجم تبين لي أن الشائع والأفصح هو أن تكون الهمزة مكسورة حقا.

ومرت سنوات، وأصابتني حرفة الكتابة في المجلات والدوريات ومازال في نفسي شيء من إخال، فكنت بسبب اهتمامي بهذا الفعل أكثر من كتابته، وأضع الهمزة المكسورة وأشكلها، ومع ذلك لم تكتحل عيناي مرة واحدة برؤيتها مطبوعة في مقالاتي بهذا الشكل. إذ كانت الهمزة تنتقل بقدرة قادر من أسفل الألف إلى أعلاها ما بين مصحح ومدقق، حتى لقد يئست تماما من ذلك، وغدت الهمزة المكسورة في فعل إخال تعاودني كالوسواس المقيم.

وأنا عادة عندما أحكم على مقالة ما، أهتم بموضوعها وبشكلها في آن واحد. وأذكر أن كاتبًا صحفيًا كبيرًا مشهورا نال عدم ثقتي بما يكتب وبه شخصيا، لأسباب كثيرة، منها أنه لم يكن يراعي مواضع كسر همزة إن وفتحها، خاصة في مقولة القول، إذ قلّ أن توجد في كتبه صفحة لاترد فيها عدة مرات: قال أن عوضًا عن قال إن. مما ولد في نفسي انطباعا أن من يقلب قواعد لغته ولا يراعيها، هو أشد ميلا لقلب الحقائق وعدم مراعاة الصدق في الوقائع، ومن هنا كان عدم إعجابي بالكاتب شخصا وكتابة، ولا إخال أنني كنت مخطئًا في ذلك.

وأعود إلى فعل إخال فقد ملأتني همزته المفتوحة بالأسى وظننت أنني لن أراه أبدا بهمزة مكسورة.

وجاء الفرج أخيرًا إذ دُعيت إلى تقديم بضع فقرات طبية في التلفاز، وسجلت عدة حلقات كي تذاع منجّمة على أسابيع، وفي إحدى هذه الحلقات جاء لفظ إخال مرتين، ولا أدّعي أن ذلك جاء عرضا، وشعرت بكثير من الرضا، فمهما كان مسؤول «المونتاج» بارعا فإنه لاشك عاجز عن أن يقلب همزة إخال من كسر إلى فتح، وعُرضت الحلقات كلها إلا حلقة واحدة، هي التي ذكرت فيها فعل إخال. وأخذت أنتظر إذاعتها، فأخيرًا سأريح ضميري وأعيد إلى فعل إخال همزته المكسورة. ولكن ألم أقل لكم إن في نفسي شيئًا من فعل إخال، لقد توقف البرنامج التلفازي الذي كان يتضمن فقرتي الطبية قبل أن تذاع تلك الحلقة، وكانت هي الوحيدة بين جميع الحلقات المسجلة التي لم تعرف طريقها إلى الجمهور. على أنني لا أريد أن أترك لدى القارئ انطباعًا خاطئًا بأنني أحب الصعب والغريب من الكلمات، فأنا على العكس من ذلك أحب اليسر والسهولة، ولقد تلقيت الدرس والعبرة في محبة هذه الأمور من موت بيت من الشعر.

فمن المعلوم أن الشعراء يحبون أن يوهموا أنفسهم وقراءهم أن الشعر خالد إلى الأبد، ولعلهم في ذلك على صواب إلى حد بعيد، ولكن من الشعر ما يخلد ومنه ما لا يخلد، وكثير منه ـ خاصة في الوقت الحاضر ـ ما يولد وسرعان ما يموت، أو يموت قبل ولادته، أمَّا أن يموت بيت من الشعر الرائع، لشاعر كبير معروف فذلك أمر آخر.

فمما يروى أن الشاعر سَلْم بن عمرو بن حماد بن عطاء (ت:186هـ) المعروف بسَلْم الخاسر(1) كان من أصحاب بشار بن برد، وصار يقول شعرا أرق من شعر بشار مما أثار سخط الأخير، وعندما قال بشار بيته:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتكُ اللهجُ

أخذ سَلْم معاني ذلك البيت وصاغها بأسلوبه العذب فقال:

من راقب الناس مات غَمًّا
وفاز باللذة الجسور

فكان أن غضب بشار غضبا شديدًا، وقال: ذهب بيتي والله. لا أكلت اليوم شيئا ولا نمت. إن سلمًا أخذ المعاني التي تعبت فيها فكساها ألفاظا أخف من ألفاظي، لا أرضى عنه أبدا. فمازالوا يسترضونه حتى رضي عنه.

ربما قال قائل: كيف تعد أن بيت بشار مات وهو مايزال يُقرأ ويُذكر؟ وجوابي عن ذلك أنني لست أنا من نعيت ذلك البيت، بل إن صاحبه هو الذي نعاه وحزن عليه وأقام عليه الحداد، وموت الشيء لايعني أنه لايُذكر أبدا. ونعرف بالتأكيد أن هذا البيت قد مات عندما نظر إلى انتشار بيت سَلْم الخاسر الذي ملأ الأسماع والأبصار. حتى إنه قلَّ أن يمر يوم دون أن يطالعنا ذلك البيت أو شطره الأول على الأقل في محلات الباعة والتجار، أو مكتوبا على سيارات الأجرة والشاحنات والحافلات.

ولقد رأى بشار ذلك بعين البصيرة عندما حزن على بيته، وفي هذا درس وعبرة لكل شاعر وكاتب، ذلك أن سهولة الألفاظ وعذوبة الكلام ورقة المبنى إضافة إلى جودة المضمون وحسن المعنى، هي التي تكفل الخلود للشعر والأدب حقًا.

لكننا ونحن نبحث عن ذلك لانرضى بعدم مراعاة قواعد لغتنا الحبيبة، أو أن تبدل همزة مفتوحة بهمزة مكسورة.

ولعلي بهذه المقالة أجذب بعض الانتباه إلى همزة إخال، ولعله أن يتاح لي أن أراها ـ ولو مرة واحدة ـ مكسورة كما ينبغي أن تكون، وعندها سيزول ما في نفسي من فعل إخال(2).

الهوامش:

1ـ جاء في وفيات الأعيان: سالم. وضُبط في القاموس بفتح السين وسكون اللام، وهو المشهور. وقيل: لُقب بالخاسر لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا.

(2) جاء في لسان العرب (مادة: خيل) قوله: «.. وتقول في مستقبله: إخال بكسر الألف وهو الأفصح، وبنو أسد يقولون: أخال بالفتح وهو القياس، والكسر أكثر استعمالاً، ونقل عن التهذيب: «تقول خلته زيدًا إخاله وأخاله..» ونرجو بهذا أن يزول ما يؤرق الكاتب من همزة إخال (التحرير).

دعاءٌ مُستجاب

محمد حامد حسنين

الصلاة والسلام عليك ـ يا سيدي يا رسول الله ـ يأتي صداه من الطرف الشمالي لقرية حلفا دِغيم من مسجد الإمام الحسين. ولو قدِّر لأحدٍ سماع ذلك التهليل وآذان الفجر من صاحب الصوت الشجيِّ النديِّ محمد سالم لما وسعه إلاّ النهوض من فراشه وتلبية نداء «أن الصلاة خيرٌ من النوم».

يبدأ الناس في القرية يومهم مع الفجر. فبعد الصلاة يتوجه كلٌّ إلى عمله. وفي صباح ذلك اليوم أعدَّت شريفة إفطار ابنها اليتيم سليمان الذي مات أبوه منذ شهرين تقريبًا. وكان إخوته قد رحلوا إلى مصر قبل ذلك بقليلٍ طلبًا للرزق. وإنْ نسي سليمان لا ينس جاره وصديقه وزميله في العمل صادق كنينة.

تستقبل المدينة زوّارها الوافدين إليها من كل فجٍّ، رجالاً وركبانًا مطلع كل يوم. تستقبلهم بترحاب ومحبة أكثر مما تفعل أية مدينة في الدنيا. وهل يكون الترحاب أكثر مِنْ أنْ يجد كل طالب عمل عملاً وأن يبيع كل صاحب بضاعة ما لديه ويشتري ما يريد؟

أما سليمان وصديقه فقد توجها إلى جبل دبروسه، أحد أحياء المدينة، حيث يعملان بالمياومة بمصنعٍ صغيرٍ للطوب يملكه مصري عجوز. وعلى غير العادة لم يجداه حيث يكون دائمًا على كرسي خشبي قديم أمام بيته. ووجدا زوجته التي أخبرتهما أن المعلِّم مريضٌ، ولن يقدر على العمل. وعليهما العودة إلى بيوتهم اليوم ومزاولة العمل في صباح الغد. وأعطتهما أجرهما كاملاً عن ذلك اليوم. وعندما همَّا بالانصراف سمعا صوت المعلِّم من الداخل:

ـ يا أولادي لا تتأخَّروا في المدينة، ولا تلعبوا في الطريق. فهذا موسم الدميرة والنيل هائجٌ فلا تقربوا منه. ارجعوا إلى أهلكم وأراكم غدًا إن شاء الله.

تحرَّكا صوب القرية سالكين طريقًا لا يمرُّ بالمدينة إلا من طرفها الجنوبي الشرقي عند جنينة الحكومة. وحين وصولهما الجنينة لمحا مفتش المركز الإنجليزي قادمًا نحوهما على ظهر جواده الأبيض. فابتعدا من الطريق المسفلت قليلاً خوفًا من المفتش أكثر منه احترامًا له. ولما مرَّ بهما توقف وقال:

ـ تعال هنا يا ولد.

لم يكمل المفتش كلماته إلاّ وكان صادق قد أطلق رجليه للريح. أما سليمان فاستجاب للمفتش وذهب نحوه يبدو متماسكًا وهو في أعماقه يرتجُّ خوفًا:

ـ أيوه يا سعادة البيه.

حوَّل المفتش مساره إلى الجنوب من حيث جاء نحو ورشة السكة الحديد. وأمر سليمان أن يتبعه ففعل. تزاحمت التساؤلات دونما حدٍّ أو ترتيب في رأس سليمان:

«ماذا يريد المفتش من مواطنٍ بسيطٍ مثلي؟ هل سيقوم بجلدي لأني لم أتوقف عندما مرَّ بي؟ أم تراه أشفق على حالي وسيعطيني نقودًا؟ وهل هنالك ثمة علاقة بما حدث صباح اليوم ـ أجرٌ كاملٌ دون عملٍ؟ ـ وما صلة ذلك كله بما ظل يردّده ـ أو بالأحرى يُغنّيه ـ في الآونة الأخيرة الشيخ متولي كلّما لقي سليمان:

يا سلام سلِّم سليمان..

سليمان أدخلوه الديوان..

وألبسوه التيجان..».

أفاق سليمان من شروده هذا عند مدخل الورشة على أنين البوابة الضخمة حينما فُتحت، وعلى صوت الآلات وطرقها في جميع الأرجاء.

دخل المفتش مكتب الباشكاتب وجلس جلوس من لا يريد المكوث طويلاً. أشعل غليونه وقال:

ـ يا بهجت أفندي الولد ده أنا عايزه يشتغل هنا.

أجاب الباشكاتب:

ـ حاضـر. بَسْ، جنابك نـحن لا نعرف أي شيء عن هذا الولد. وحسب القوانين والنظم لا يعمل في الحكومة إلا أبناء الأعيان والعمد والمشايخ وكبار الموظفين وأقرباؤهم. وأشار إلى ثلاثة يقفون على باب مكتبه وقال:

ـ ودُول حضرتك أولاد أخت العمدة داود والشيخ صالحين. ومعهم توصيةٌ من سعادتك. ولم يبق غير إجراءات بسيطة رُوتينية لتعيينهم. ولا توجد وظائف عمَّالية شاغرة أخرى.

ردَّ المفتش بقوله:ـ

ـ الولد ده يتعيِّن وبعدين نشوف أولاد صالحين.

وسليمان يتابع ما يدور ويزداد حيرةً وتعجبًا مما يحدث ـ من الأقدار وتصاريفها ـ في إصرار المفتش على إلحاقه بالحكومة دون سابق معرفة به ودون توصية من أحد، وهو الذي لو علم مقدار الكراهية التي يكِّنها له ولأبناء جلدته لأمر بقتله. وهذا الباشكاتب الذي ما إن رآه حتى ركبته شياطين الأرض جميعًا. وأخذ يضع العقبات في سبيله، ويبذل جهداً خارقًا لإبعاده. حتى إنه ليكذب. فالثلاثة الذين ذكرهم هم جيران سليمان ولا تربطهم أدنى صلة بالعمدة، أو بالشيخ صالحين!

تظاهر بهجت أفندي بكتابة قرار التعيين وفي ظنِّه وأمنيته أن المفتش لن يمكث إلاّ قليلاً وينصرف فيقوم هو بطرد سليمان. وفي هذا الأثناء تلاقت عينا بهجت أفندي وسليمان فأومأ إليه بأن ينصرف. استجمع سليمان كلَّ شجاعته، وقد استفزَّته قسوة الباشكاتب وقُبح سلوكه، وقال:

ـ أنا جيت ما جناب المفتش وما حامشي إلاّ بأوامره.

ويبدو أن المفتش قد فهم تمامًا ما يرمي إليه الباشكاتب فأمر بإتمام التعيين فورًا. خرج بهجت أفندي من مكتبه مهرولاً لكتابة القرار وهو يتميز غيظًا. وما هي إلاّ دقائق معدودة وكان قرار تعيين سليمان بورشة الحوض قد صدر ممهورًا بخاتم حكومة الملك المعظم وأصبح نافذًا من تاريخه.

وحسب توجيهات المفتش أن يختار سليمان المهنة التي يريدها بنفسه، فقد قضى يومه متنقلاً بين أقسام الورشة المختلفة: نجارة، حدادة، خراطة.. إلى أن استقرَّ به المقام بقسم اللحام. ولعلَّ وجود صديقه حسن بلول بالقسم شجَّعه على اختياره هذا.

أجمع الذين شاهدوا سليمان مع المفتش بأنفسهم أو سمعوا بخبر تعيينه في السكة الحديد على أن في الأمر سرًا كبيرًا. تجمَّع كلُّ هؤلاء ومثلهم ممن تجمعهم رحلة العودة إلى القرية أمام بوابة الورشة بعد انتهاء العمل لمعرفة حقيقة ما سمعوه.

وما إن ظهر سليمان حتى أمطره الناس بوابل من الأسئلة. فحكى لهم القصة كاملة فلم يصدِّقه إلاّ القليل. ليس هذا فحسب، بل لم تزد الرواية من فرط بساطتها الأمر إلاّ غموضًا.

تلقت شريفة الخبر بقليل من التصديق وكثير من الخوف. وكيف تُصدِّق خبرًا كهذا، وهنالك في القرية رجالٌ في عمر والد سليمان حفيت أقدامهم بحثًا عن وظيفةظ في الحكومة حتى يئسوا منها. وهنالك كثيرٌ من أنداده، حاول شيخ القرية مرارًا إلحاق بعض أقربائه منهم بوظيفة حكومية دون جدوى. بل إن العمدة نفسه لم يفلح أن يجد مكانًا لابن أخيه بالورشة على الرغم من محاولاته العديدة التي كانت أخرها ليلة زفاف أحد أبناء الأعيان التي أُقيمت بالقرية في شعبان المنصرم، وحضرها أهل القرى المجاورة وجمعٌ غفيرٌ من كبار الموظفين على رأسهم المفتش نفسه. انتهز العمدة فرصة جلوسه بجانب المفتش وذكره بوعده بخصوص ابن أخيه فردَّه ردا غير كريم. أما خوف شريفة فمن حسد الناس، ولاسيما عين جارهم خليل دهيبه الذي ما عاين أحدًا إلاّ كان سببًا في هلاكه كما تظن النساء وكثيرٌ من الرجال. وما جفَّت بعدُ دموع نسوة الحيِّ على فقيد الشباب عبده صليحة آخر ضحاياه.

بحلول المساء كان قد تناهى خبر سليمان والمفتش إلى سمع أهل القرية كافةً رجالاً ونساءً. فتناولوه تأويلاً وتحليلاً إذ الحدث غريبٌ في كلِّ شيء. ومنذُ اختفاء أحد الشباب في ظروف غامضة قبل عشرين عامًا لم يحدث في القرية شيءٌ مثيرٌ كهذا.

انقضت أيامٌ وأسابيع ولا حديث لأهل القرية غير قصة سليمان. وقد ذهب الناس مذاهب شتَّى في تفسير القصة ودلالاتها. فمنهم من يرى أن والد سليمان كان رجلاً صالحًا مستجاب الدعوة. وكان يُكثر من الدعاء له، ويعلن في غير من مناسبة رضاه عنه. ومنهم من قال إن شجاعة سليمان هي التي ساقت ذلك الخير إليه. وعزا آخرون الأمر لمجرد المصادفة. أما سليمان نفسه فكان يقول: «هذه بركة دعاء الوالدين، وإن الأرزاق بيد الله يهبها لمن يشاء بغير حساب».

على أن القصة ألقت بظلالها على تصرفات جيل الشباب وعقليته بصورة مكثَّفة. فأصبح الأب يطلب من ابنه البحث عن عمل بدلاً من إضاعة الوقت بالجلوس تحت ظل شجرة دقن الباشا صباحًا ومساءً، فتأتيه الإجابة تنضح سلبيةً:

«هل نسيت يا أبي ما حدث لسليمان؟ والمثل يقول: أجري جري الوحوش...»!

والغريب أن يكون سليمان هو الاستثناء الوحيد الذي لم يزده الأمر إلاّ تمسُّكًا بالأسباب.

هذا الكون..
ماذا نعرف عنه؟
للدكتور راشد المبارك

د. معتصم إبراهيم خليل

لا بد أن نعترف بأن المعرفة العلمية محجوبة عن الإنسان العربي بقدر من حاجز اللغة - يقل أو يكثر - ما دام يتلقى تلك المعرفة بلغة غير لغته، مواجهاً صعوبة إدراك دلالات كلمات تلك اللغة وجملها، مصطدماً بغرابة المُدْرَك في حد ذاته؛ فتلك الكلمات والجمل الدالة على المدركات الحديثة جاءت نحتاً صاغه واضعوه من تكوين عقلي خاص بهم متأثراً بثقافتهم وموروثهم وتصورهم للكون والحياة.

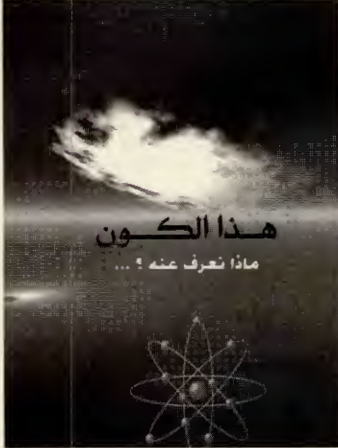
ومما يزيد الطين بلة تقديم المعرفة العلمية للقارئ العربي بلغة عربية متعثرة لا تُقرِّب المعنى، بل إنها تطمسه.

ومع إيماننا بضرورة الترجمة العلمية ودواعيها، فإنها يجب ألاَّ تكون بديلاً عن انطلاقنا من اللغة العربية؛ أي أن نبدأ من اللغة العربية تفكيراً وتعبيراً لا ننقل إليها. وهو منهج نادر بين علمائنا الأفاضل، ولم أعثر على كتاب عربي يحققه حتى صدر كتاب «هذا الكون.. ماذا نعرف عنه؟» للدكتور راشد المبارك.

المعرفة العلمية.. بين التبسيط وحقائق العلم

فإذا كان نقل المعرفة العلمية يجب أن يكون مبسطاً بقدر يُقرِّب السلوك المعقد للظاهرة الطبيعية إلى ذهن القارئ وفي الوقت نفسه لا يفقد العلم عمقه، فإن ذلك عين ما فعله د. راشد المبارك في هذا الكتاب القيِّم. ولقد تحقق له ذلك بفضل امتلاكه ناصية اللغة وغوصه العميق في الحقائق والمفهومات والنظريات العلمية، ونظرته الاستقلالية لتلك المعارف، فجاء الكتاب، بأسلوب الأستاذ المتمكِّن، مبدعاً في اختيار كلماته ومصطلحاته العلمية المؤدية للمعنى والمدلول العلمي، واضعاً معياراً للأسلوب الذي تُكتب وتُنقل به المعرفة العلمية.

إن الجهد الذي قام به الدكتور راشد المبارك في كتابه «هذا الكون..» يمثل عملاً يجب أن يُشكر له أولاً، وأن يخضع للدراسة والتحليل ثانياً وثالثاً؛ ففيه تكامل للمعرفة، وربط بديع بين ميادينها المختلفة، وكسر للحاجز الاصطناعي الذي يفصل بين فروعها المتعددة؛ فالقارئ يجد وثاقاً قوياً بين الفلسفة



غلاف الكتاب

والرياضيات والفيزياء والكيمياء والتقنية والبيئة والفلك وعلم الاجتماع والسياسة والدين حتى صارت كلاً واحداً لا يتجزأ، أو كما يقول الكاتب: «فإذا انفصل العلم عن الفلسفة صار جسداً بلا روح، وإذا انعزلت الفلسفة عن العلم صارت بناء لا تسنده من الواقع دعائم أو لبنات».

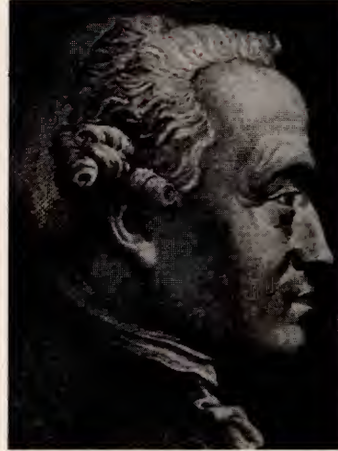
إنه - في نظري - يُنبه ويلوِّح إلى أولئك الذين تقوقعوا داخل تخصصاتهم الدقيقة متسترين بذلك الحاجز الصناعي، مكتفين بالقليل المحدود من المعرفة.

رحلة علمية ممتعة عبر العصور

والكتاب رحلات متعددة ممتعة؛ فهو رحلة في العلم والفلسفة من عهد فلاسفة اليونان إلى عهد «كانت» و«بلانك» و«شرودينجر» و«أينشتين» و«هوكنج»؛ ففيه سرد لتاريخ العلم والفلسفة عبر العصور، من العصر الحجري إلى العصر الحديث مروراً بالعصور الوسطى، وفيه تتبّع لظهور النظريات العلمية وأفولها، وهو رحلة في التخوم البعيدة السحيقة والكون الفسيح، وهو رحلة في أعماق المادة وذراتها، وهو فوق ذلك كله رحلة مع عقل مبدع ونفس يفوح منها الشذا.

يقول عن رحلته في الكون الفسيح: «إنها ارتياد للأبعاد وإطلالة على المجاهل، وتعرف على الظواهر، وإلمام بالسنن والقوانين المودعة في الكون»، ويكون بذلك قد حدد لنا معالم الشخصية المحبة للعلم والمعرفة وصفاتها؛ فهي


د. راشد المبارك


إيمانويل كانط

عنده تلك الشخصية المغامرة، التوّاقة للمعرفة، القادرة على الاستنتاج من المشاهدة. وفي مكان آخر هي الشخصية المشتاقة لكشف المجهول وتجلية الغامض وحل ما يظهر من مشكلات، وهي شخصية «تكتشف بقدر ما تستطيع أن تقرأ»، ويدلها كيف تقرأ، بأن تقرأ الحرف وتعرف دلالة الرمز، وتحل المعادلة، وتستخلص نتائج التجربة.

تقريب المعنى وتأصيل المصطلح العلمي

إنك تجد إبداعًا في التصوير وتقريبًا للمعنى في كل ما طرقه من غوامض ومجاهيل؛ ففي رحلته داخل الذرة يبدو الغموض الذي يلف حقيقة الإلكترون جليًا لنا حين يصفه بأنه «هو الكائن المعلوم المجهول، الحاضر الغائب، الحقيقة والخيال، المادة والمعادلة». وفي مكان آخر «هو نسق من الوجود»؛ فما أبدعه من تصوير.

وفي توضيحه لمشكل اتصال الطاقة عند الفيزيائيين القدامى و«تفاصلها» عند المحدثين من أهل آلية الكم يبسط الصورة قائلاً: «طلقات متموضعة وليست سائلاً ينسكب من صنبور». وبذلك يكون هو أول من أصّل مصطلح «التفاصل» في قاموسنا العربي العلمي. ونجد هذه الريادة سمة مميزة لأسلوب د. راشد، فلقد أصّل في كتابه هذا المصطلحات العلمية العربية، واختارها ناطقة بالمعنى والمدرك العلمي المقصود بها، فقرّب لنا المفهومات والنظريات العلمية بكامل عمقها وأهداها لنا على طبق من ذهب. فعندما يربط بين أصغر الأشياء وأكبرها في الكون مدللاً على ذلك «التناغم والانسجام المبثوث في أجزائه والمؤلف بين وحداته»، يؤصِّل لعدة مصطلحات علمية عربية جديدة. اسمعه يقول: «النواة وما يحيط بها من كهارب تدور في أفلاكها، مشدودة إلى مركز الدوران بفعل الجذب ومنبوذة بفعل الطرد، ليست سوى صورة مصغرة للمنظومة الشمسية»؛ فأصّل لمصطلح «الكهارب» بدلاً من «الإلكترونيات»، و«الأفلاك» بدلاً من «المستويات والأغلفة»، و«الشد» بدلاً من «الجذب»، و«النبذ» بدلاً من «اللا ارتباط» و«الفعل» بدلاً من «الأثر»، و«المنظومة» بدلاً من «المجموعة».

كما أنه يهدينا مصطلح «الدفقات الضوئية» بدلاً من «الفوتونات»، و«الطاقة المتصلة» ليوضّح بجلاء مكامن الاختلاف بين قوانين الفيزياء التقليدية وآلية الكم كما مر ذكره. ويقنعنا ببيانه البديع أن نقبل مصطلح «التعذّر» بدلاً من «الريبة»، و«اللازمة» لتحل محل «الحد والشرط»، و«العجلة» بدلاً من «معدل التغيّر». واقتنعتُ أن للمعادن «شرقًا» و«حطة».

من السمات البارزة في الكتاب تأصيل المصطلحات العلمية العربية، واختيارها ناطقة بالمعنى العلمي المقصود بها؛ مما أسهم في تقريب المفهومات والنظريات العلمية بكامل عمقها

وبدلاً من التمركز نجده يُطلق مصطلح «الموضعة»، والمكان عنده «تحيُّز»، واضمحلال النظرية والفكرة عنده «غيوم الفكرة» و«نتائج التجربة» عنده «الكشوف التجريبية»، وبدلاً من أن نقول «أثبتنا النظرية» قال: «دللّنا عليها».

أما ما نعرفه من حقائق ومعلومات فعنده «دائرة المألوف من المدركات»، كما أهدانا مصطلحات: الحتمية، والإطلاق، والوثوق، والاحتمال. وفي صياغته البديعة للقوانين الطبيعية يبين لك «دلالتها البالغة وإيجازها الفريد» ويصف الثابت منها بالدقة والصرامة والشمولية والمنطقية. ويوضح لنا «الغائية» و«العلة» و«الغاية» في مدلولها العلمي. ولا يسمح لي المجال أن أشير إلى كل مواقع الإبداع اللغوي العلمي؛ فهي في كل صفحة من هذا الكتاب.

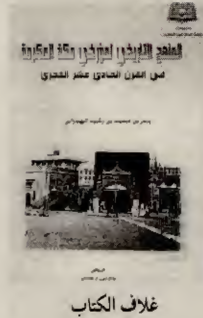
التكامل بين العلم التجريبي والفلسفة

وعلى الرغم من أن د. راشد ينتمي إلى العلماء التجريبيين تخصصًا؛ أي إنه من الذين يبحثون في خواص المادة والعلاقة بين وحداتها مدللاً عمله بالتجربة؛ إلا أنه لا ينكر إمكان الحصول على المعرفة القائمة على النظر والعقل، ويعول كثيرًا على الحدس وقوة العقل ويؤكد ذلك في قوله: «... فإن من أسرار المادة وأعماقها ما يقع داخل سور لا يخترقه سوى أشعة الفكر ويتعذّر اجتيازه إلا بوثبات الخيال». ويأتي لنا بالدليل قائلاً: «إن جوانب من المعرفة صاغها الفكر كشفت عن الواقع»؛ وبذلك يكون قد أكد الوثاق المتين والتكامل بين العلم التجريبي والفلسفة.

وبعد إبداعه المتكامل هذا ينبه على مخاطر تطبيقات العلم والكشوفات الحديثة ويقرع الأجراس منبهًا على الخطر المحدق بأرضنا، معززًا بالأرقام حقيقة «الطبقية الشعوبية» إن صح التعبير.

وأخيرًا، كم أتشوق لقراءة «هذا الكون.. ماذا نعرف عنه؟» مرة رابعة.

العنوان: المنهج التاريخي لمؤرخي مكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري.
المؤلف: د. بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني.
الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1418هـ - 1997م، 597ص.


غلاف الكتاب

«إن الاهتمام بتاريخ مدينة ما يدل أعمق دلالة على ما وصلت إليه تلك المدينة من شهرة في جميع المجالات السياسية والعلمية والاقتصادية والعمرانية وغيرها من المجالات، وإن لم تكن كذلك فإن تاريخها يدل على نبوغ بعض أبنائها ووفائهم لبلدتهم، حيث يؤرخون لها في كتب تبقى على مدار العصور ومر الأجيال، ما لم تعبث بها يد الفقد والضياع».

بهذا التمهيد يؤكد المؤلف الرابط الوثيق بين مكانة بلد ما والاتجاه نحو العناية بتاريخ ذلك البلد. وإذا كان هذا البلد المعني هو «مكة المكرمة»، فلا شك أنها تجمع كل ما ذُكر آنفًا وأكثر من ذلك، وما كانت لتكون كذلك لولا تميزها، بأن فضلها الله على ما سواها من البلدان، واختارها لتحتضن البيت العتيق، وتصبح مهوى الأفئدة، ومحور اهتمام المسلمين. فصار تسجيل تاريخها ورصد مراحل تطور مجتمعها سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا جزءًا من التعبير عن العلاقة العقدية، واعتزاز المؤرخين المسلمين بهذه المدينة المقدسة.

وهذا الكتاب الذي يشتمل على خمسة أبواب وستة وعشرين فصلاً، وتتبع فيه المؤلف المنهج التاريخي لمؤرخي مكة في القرن الحادي عشر الهجري، يعكس مبلغ عناية المسلمين بأم القرى، ولاسيما أن الكتاب غطى مجالات تاريخية مختلفة، كما قام المؤلف بدرس كتب مهمة لنحو خمسة عشر مؤرخا من الذين تصدوا لتأريخ أيام مكة. فقد ناقش في الباب الأول المنهج التاريخي المكي العام ووصف الحرم المكي وما حوله، وتناول في الباب الثاني المنهج في كتب السيرة، وتضمن الباب الثالث المنهج في كتب الطبقات والتراجم، واحتوى الباب الرابع على المنهج في كتب الفضائل والمناقب»، ورصد في الباب الخامس المنهج في وصف وتاريخ المدن والأماكن.

ويلاحظ أن الكتابة التاريخية قد اختلفت من قرن إلى قرن؛ ذلك لأن مكة المكرمة تتميز بكونها - عبر الزمان - ملتقى كثير من رجالات العلم والأدب من بقاع الدنيا، منهم من يقيم، ومنهم من يجاور مدة من الزمن، ومنهم من يحج أو يعتمر، وهو ما ينتج حركة علمية متطورة، لأنها تجمع العديد من التأثيرات العلمية والحضارية من مختلف بلاد الإسلام. واستنادًا إلى هذه الخلاصة، التي تعبر بدقة عن حيوية مكة المكرمة، لاحظ المؤلف أن أهم التطورات في المدرسة التاريخية بمكة المكرمة في القرن الحادي عشر الهجري أمران اثنان: الأول: تطور في منهج الكتابة التاريخية، والآخر: تطور في الموضوعات والاهتمام. وهذا الأمران، فضلاً عن أنهما يعكسان سنة التطور في الحياة، فإنهما يشيران إلى أن تناول المؤرخين تاريخ مهبط الوحي يتناسب مع المكانة السامقة لهذه البقعة الطاهرة المباركة.

العنوان: أدب الأشجار ومنافعها في جزر فرسان.
المؤلف: إبراهيم عبدالله مفتاح.
الناشر: المؤلف نفسه، ط1، 1418هـ - 1997م، 174ص.


إبراهيم عبدالله مفتاح



غلاف الكتاب

محور محتوى هذا الكتاب هو المنظور (المحلي) عن الأشجار في جزر فرسان. وقد حرص المؤلف منذ البداية على أن يضع القارئ بين يدي هذا المفهوم الذي عالج موضوع الكتاب من خلاله، وما حمل المؤلف على تأكيد ذلك سوى رغبته في النأي بإصداره عن المنحى العلمي التسجيلي المطروق، وما يتطلبه هذا النوع من الإصدارات من منهجية خاصة.

ومع أن موضوع الكتاب علمي في الأساس، إلا أن المؤلف قد أفلت من أسر الطرح العلمي البحت، وذلك بصوغ العنوان بأسلوب يلقي على الموضوع ظلالاً أدبية، فجاء الكتاب مزجًا بين نتاج قراءات

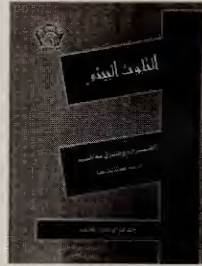
ومشاهدات، وما سمعه المؤلف وأدركه من خلال حياة مجتمع بسيط، وهو ما أوجزه في أن الكتاب «لا يخلو من تجربة عفوية لم تمر - من خلال حدسي وتصوراتي - مرورًا عفويًا».

وهكذا يبدأ الكتاب بتقديم وصف جغرافي لأرخبيل فرسان: مجموعة الجزر الواقعة في الجنوب الشرقي من البحر الأحمر، في الركن الجنوبي الغربي من المملكة العربية السعودية، وتمتد 180 كيلا في اتجاه الشمال الغربي. ويضم الأرخبيل أكثر من مئة جزيرة أكبرها فرسان الكبرى (38100 هكتار)، تليها السقيد المعروفة بفرسان الصغرى (14900هكتار)، وهناك جزر أخرى مثل: سولين، أبو شوراية، وعبلات، وذو الراكة، وأحبار، وجزر آمنة، ودمسك، وقماح، وزفاف، وساسوة، والدسان.

ويذكر المؤلف أنه أعد مادة الكتاب من منطلقات ثلاثة: الأول: يتعلق بجغرافية الأرخبيل «التي ظلت إلى وقت قريب غير متاحة للقارئ العادي». الثاني: أنه بوصفه من مواطني فرسان لمس في تعامل الناس مع الأشجار واستخدامهم لها في حياتهم أشياء قد تكون جديدة أو طريفة، تستحق تسجيلها. وعن المنطلق الثالث، يقول المؤلف: «حرصت على أن تكون توثيقاتي - هذه - جديدة وطازجة على القارئ، فابتعدت عن الرجوع إلى المصادر التي توضح خصائص ومميزات ما عُرف عن هذه الأشجار - إلا فيما ندر - وتعمدت أن تكون محلية بحتة...».

وداخل هذا الإطار من التعريف بمنهج الكتاب ومنطلقات الكتابة فيه تناول المؤلف تسعًا وأربعين شجرة من الأشجار في جزر فرسان، وأسماءها، وتعريفًا موجزًا باستخداماتها - ثمارًا وفروعًا وجذوعًا -، وإشارات إلى مواسم الحصاد وانعكاساتها الاجتماعية، وتوظيف بعض الشعراء هذه الأشجار في أعمالهم الشعرية.

العنوان: التلوث البيئي: أضراره وطرق معالجته.
المؤلف: أحمد بن إبراهيم الحميد.
الناشر: نادي أبها الأدبي، ط1، 1418هـ - 1997م، 155ص.


غلاف الكتاب

بدأ الباحث كتابه منبهًا على مفارقة اجتماعية مثيرة للانتباه، هي: أن قنوات المجتمع كافة - البيت، والمدرسة، والمسجد، والحي، والإعلام - تولي اهتمامًا كبيرًا بالبيئة وحمايتها، إلا أننا «كأفراد سلبيون مع البيئة نسمع ونقرأ ونوجه ولكن لا نطبق».

وقد حاز البحث المركز الأول في جائزة أبها الثقافية لعام 1417هـ، وقام نادي أبها الأدبي بنشره تعميمًا للفائدة. وقد أوضح الناشر مسوغات اختياره لهذا البحث بأنها تقوم على أن الموضوع «يتعلق بجانب حيوي ومهم من حياة الإنسان ولمجتمعنا السعودي، على وجه الخصوص، حيث أصبحنا ندفع ضريبة الحضارة المعاصرة والتمدن الحديث، بما يخلّفانه أو ينفثانه من مواد وعناصر تعكر الأجواء وتسمم الهواء والماء والثمار، فالتلوث البيئي.. مشكلة قائمة وخطيرة، لابد أن تتضافر الجهود وتُستنفر القوى من أجل مكافحتها والحد من شرورها ومخاطرها».

جاء الكتاب شاملاً من حيث تناوله ملوثات البيئة ورصدها والتعريف بها، من خلال تسعة أبواب وتقرير وملحق صور. تضمن الباب الأول تناولاً عامًا وتعريفًا بالبيئة والتلوث وإيضاح مفهومهما في اللغة العربية والدين. وعالج الباحث في الأبواب الثاني والثالث والرابع ملوثات الهواء والمياه والتربة، وتناول في الباب الخامس الغابات والمراعي ودور الحيوانات في الحفاظ على النظام البيئي، وتضمن الباب السادس إيضاحًا لمصادر التلوث الضوضائي، وتناول في الباب السابع التلوث بالمواد المشعة، وخصص الباب الثامن للحديث عن الحروب والأسلحة الكيماوية وأثرها في البيئة، وأثر الطائرات والصواريخ في تلويث بيئة الفضاء الخارجي، أما الباب التاسع فقد أفرده لتناول الدور الرائد للمملكة العربية السعودية في الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث، وأشار إلى بعض الهيئات والمؤسسات المتخصصة بهذا المجال، مثل: الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، والهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس، ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة. واختتم البحث بإيراد تقرير عن التلوث في مدينة الرياض وأرفق به بعض الصور، كما أشار إلى رأي الطب في الملوثات، وسجل حقائق رقمية عن واقع مشكلات البيئة.

تجدر الإشارة إلى أن الباحث قد أكد في مطلع بحثه أن المراجع التي تتناول قضية البيئة «متوافرة بكثرة» وأن ما يواجه الباحث من صعوبة يكمن في الاختيار من بين هذه المصادر والمراجع، الأمر الذي يؤكد ما بدأنا به هذا العرض وهو أن المجتمع - بقنواته كافة - مهتم بقضية البيئة، ولكن على مستوى الأفراد.. من يقرأ ويطبق ما قرأ؟!



الإذاعي أيوب صديق

القنوات الفضائية لم تستطع إلغاء دور المذياع

حاوره في تجربته: **حسين حسن حسين**

عندما تتوافر الموهبة لدى إنسان ما، فإنه يظل في حاجة إلى من يوجهه إلى طرائق صقلها وتنميتها. هذا ما تؤكده تجربة الإذاعي السوداني أيوب صديق، الذي يشير - في هذا الحوار عن تجربته - إلى الأساتذة الذين كانوا وراء توجهه مبكرًا إلى العمل الإذاعي، ويتناول كذلك الخطى التي قادته من قلب أم درمان، حيث يوجد مبنى الإذاعة والتلفاز السودانيين، إلى العاصمة البريطانية لندن، حيث القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية، وما استشعره من فوارق بينهما في أسلوب العمل. كما تطرق الحوار إلى جوانب أخرى من تجربته

ما المؤثرات الأولى التي أدت دورًا في توجيهكم نحو العمل الإذاعي؟

* كنتُ تلميذًا في المرحلة الأولى من التعليم، بقرية من قرى ما كان يُعرف بالمديرية الشمالية من السودان، وهي التي تُعرف اليوم بولاية النيل، ووجَّهتنا المدرسة، آنذاك، بأن نستمع إلى برامج الإذاعة السودانية. وتنفيذًا لهذا التوجيه أخذنا نواظب على الاستماع إلى الإذاعة. ولكنني، وأنا في ذلك العمر الغض، أخذ يشدني عدد من الإذاعيين من قُرّاء الأخبار، لجودة أصواتهم وحسن قراءتهم، وهم أبوعاقلة يوسف ومحمد صالح فهمي - رحمهما الله -، وصلاح أحمد الذي صار دبلوماسيًا فيما بعد، وعبدالرحمن زياد الموجود الآن بإذاعة صوت أمريكا - أطال الله عمريهما -. ومنذ ذلك الوقت أخذ ينمو اهتمامي بالإذاعة، وأصبحتُ مستمعًا جيدًا لها، وقارئًا منتظمًا لمجلة «هنا أم درمان» التي كانت تصدرها الإذاعة. وعندما ذهبتُ إلى الخرطوم لدراسة المرحلة الثانوية نظمت لنا المدرسة زيارة إلى دار الإذاعة بأم درمان، والتقيتُ فيها رجلا كنت أُعجب بقراءته أيضًا، وكان قد التحق بالإذاعة في تلك المرحلة، هو أبوبكر عوض - رحمه الله -، الذي ربطتني به صداقة قوية بعد التحاقي بالإذاعة، حيث أصبحنا أخوين أكثر من زميلي عمل. وهو أول من قدم برنامجًا عن فلسطين اسمه «صوت فلسطين»، وبعد تلك الزيارة بعثتُ إليه قصيدة من نظمي لتذاع في برنامجه، فأذاعها فتوطدت العلاقة بيني وبينه. ولاهتمامي بالأدب قدمني أحد الإخوة إلى إذاعي أديب هو الأستاذ المبارك إبراهيم - رحمه الله - وكان يقدم برنامجًا أدبيًا، فكتبتُ إليه موضوعًا بعنوان: «شوقي في نظر النقاد» وهو عن أمير الشعراء أحمد شوقي، وموضوعًا آخر عنوانه: «هل نفدت أغراض الأدب في هذا العصر؟» فأُعجب المبارك بالحديثين وأمرني بتسجيلهما دون اختبار لصوتي. فسجلتهما فأثنى على قراءتي وصوتي. وسمعني مراقب الإذاعة، آنذاك، أبوعاقلة يوسف - رحمه الله - فأثنى على خامة صوتي وقراءتي وشجعني على مزيد من التعاون مع الإذاعة، وهو الذي أخذ يشجعني على الالتحاق بالإذاعة فيما بعد.

كل هذه الظروف مجتمعة هي التي حملتني إلى هذا الطريق الذي ما زلت أسلكه، مستعينًا بالله على «مطباته» الكثيرة.

- لكم تجربتكم في العمل الإذاعي في السودان فما الذي استفدته من هذه التجربة؟ ومن هم الذين كان لهم تأثير كبير في إغناء تجربتكم؟

* عملي الإذاعي في السودان ليس مجرد تجربة، وإنما هو بداية تعرفي إلى الإذاعة. وأنا بالطبع مدين للإذاعة السودانية بكثير من العرفان، إذ لولاها لما عرفت طريقي إلى العمل

الذي أمتهنه في أكبر الإذاعات العالمية. أما فائدتي منها فهي، كما ذكرتُ، أنني درجت على أعتابها - أي الإذاعة السودانية -، ثم بعد ذلك التحقت بالتلفاز السوداني، حيث عملت به قارئًا للأخبار ومقدمًا لكثير من البرامج والمقابلات، وعندما تركتُ السودان إلى حيث أنا الآن تركته وأنا إذاعي محترف. أما الذين كان لهم تأثير في إغناء تجربتي فهم الذين دربوني على أبجديات العمل الإذاعي، وعلى رأسهم السيد محمد خوجلي صالحين الذي كان كبيرًا للمذيعين عندما التحقت بالإذاعة، حيث عقد لنا دورات تدريبية، ثم الزملاء القدامى الذين ترسمنا خطاهم، وهم كثر.

- ما قصة انضمامكم إلى هيئة الإذاعة البريطانية؟ وما أهم ما جذب انتباهكم عند بدء خطواتك فيها؟

* كنتُ، قبل التحاقي بالإذاعة السودانية في أم درمان، أستمع إلى القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية، إذ كان أحد أقربائنا يحرص على الاستماع إليه، ثم بعد التحاقي بالعمل الإذاعي واظبتُ على الاستماع إليه، فقد أصبح الاستماع للإذاعات العالمية ضربًا من واجب إغناء التجربة الإذاعية، وتوسيعًا لمداركنا الإذاعية. وفي عام 1973م عملتُ مراسلاً للقسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية من الخرطوم إلى جانب عملي في الإذاعة والتلفاز. وفي تلك الحقبة فكرتُ في الحصول على دورة تدريب فيه، ومن حسن الحظ حضر مدير القسم العربي، آنذاك واسمه تشارلس ماكللاند، في زيارة إلى السودان في عام 1976م، وعن طريقه قُبل طلبي لقضاء مدة تدريب في لندن، طلبتُ أنا بأن تكون مدتها عامًا. ولما كان العام مدة طويلة اشترط عليّ اجتياز الامتحان المعروف للإذاعة الذي يجب أن يجتازه الذين يرغبون في التعاقد مع القسم العربي. واجتزتُ ذلك الامتحان وقضيت عامًا مع القسم العربي، ثم مكثتُ عامًا آخر. وفي نهاية العام الثاني عرض عليَّ القسم العربي العمل فيه فتعاقدتُ معه بعد أن رجعتُ إلى السودان، ووجدتُ موافقة وتشجيعًا على ذلك من السيدين إسماعيل الحاج موسى الذي كان وزيرًا للإعلام، والفاتح التجاني الذي كان وكيلاً لوزارة الإعلام في ذلك الوقت، بوصف عملي مع إخواني العرب في القسم العربي سيكون إغناء للتجربة الإعلامية السودانية عمومًا. أما أول ما جذب انتباهي عند بدء العمل في لندن، والبدء هنا أعني به مرحلة التدريب التي تحدثت عنها، فأقول: إن أول ما جذب انتباهي هو المساحة الواسعة من الحرية أمام الإذاعي، وهو يجلس أمام (المايكروفون). فهو يخاطب المستمع بحرية لا تتوافر له بالطبع في إذاعته مثل التي جئت أنا منها، حيث هي جزء من وزارة الإعلام. ثم قس على ما يرد من مادة في هذا الجو المهني الحر المتاح للإذاعي، ثم المبنى الكبير الذي يضم الإذاعات الخارجية التي هي هيئة أمم مصغرة، فالمرء يجد نفسه جزءًا من كلٍّ متنوع الألسن والسمات والمنابع والاتجاهات.

- كيف واجهت فوارق الحياة بين الشرق والغرب؟ وهل تعرضت لما يعرف بصدمة الحضارة؟

* كنتُ مستعدًا لمواجهة تلك الفوارق التي هي كبيرة بالطبع، ووطنتُ نفسي منذ اليوم الأول بألا أقع فيما قيل إن الغراب قد وقع فيه، حين أراد أن يقلد مشية الطاووس فلم يستطع، وأراد أن يرجع إلى مشيته الأصلية فلم يستطع. فقد ظللتُ عربيًا قرويًا طوال هذه السنوات في بلاد الغرب. وزيادة على ذلك لعل وجودنا نحن مجموعة من العرب في محيط واحد هو عامل تخفيف لوطأة الغربة، ثم مخاطبتنا لمجتمعنا العربي الواسع عبر الأثير هو عاملُ رَبْط لنا بذلك المجتمع، وإن كان ربطًا ذا اتجاه واحد، إلا أنه يجعل في نفس المرء شيئًا من السلوى والألفة والانتماء غير المنقطع.

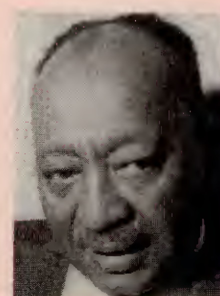
- عَرَفَ الطيب صالح العرب من خلال عمله بالإذاعة البريطانية كما يقول، هل حدث الشيء نفسه لك؟

* لعل الزمن الذي التحق فيه الطيب صالح بالعمل في لندن غير الزمن الذي التحق فيه شخصي الضعيف؛ ففي عهدنا وهو متأخر عن الطيب صالح، تداعت الحواجز إلى حد كبير بين البلاد العربية، وبين العربي وأخيه في البلد الآخر، وتيسرت سبل تعرُّف بعضنا بعضًا، وهذه الظروف جعلت معرفتي بأهلنا العرب الآخرين تبدأ قبل التحاقي بالإذاعة في لندن، وإنما كان التحاقي بالعمل في لندن تقوية لتلك الآصرة وتوسيعًا لمداركي عن بلادنا العربية الأخرى، التي جاء منها زملائي ولم يتح لي زيارتها كلها.

- الآن بعد هذه السنوات الطويلة في الغرب كيف تنظر إلى خطى الإذاعات العربية، هل هناك مواكبة للجديد؟

* إن سنَّةَ التطور تسري على كل شيء، والإذاعات العربية غير مستثناة بالطبع، فالتقدم الذي طرأ على وسائل الاتصال المختلفة كان عاملاً مفيدًا لتلك الإذاعات فائدة كبيرة. وأنا لا أزعم أنني أعرف كل الإذاعات العربية أو أستمع إليها كلها، ولكن إذا أخذتُ الإذاعة السودانية مثالاً فأجد أنها تقدمت تقدمًا كبيرًا في أوجه كثيرة، وللتقدم التقني دور كبير في ذلك.

- ماذا بقي للإذاعة في ظل الطفرة التي تحققت للإعلام المرئي بوجود هذا العدد الكبير من القنوات الفضائية؟ وهل تتفق مع من يقولون إن زمن الإذاعة قد ولى؟



محمد أحمد محجرب



إسماعيل الأزهري



الطيب صالح

الإذاعي أيوب صديق

القنوات الفضائية لم تستطع إلغاء دور المذياع

* إن الطفرة التلفازية، من فضائيات ومحليات، أثرت بالطبع في حجم الاستماع للإذاعة وبالذات ليلاً، ولكن إذا أخذنا في الحسبان أن التعامل مع المذياع أسهل كثيراً من التعامل مع التلفاز، نجد أن مكانة المذياع ما زالت قائمة. فالمذياع يحمل في اليد وفي السيارة وعلى الدابة، ويُستمع إليه في كل مكان دون تهيئة مجلس أو تحضير موضع. تستمع إليه ربة البيت وهي تعمل في مطبخها، والعامل وهو يبني أو يفلح الأرض، وسائق السيارة، ولا يحتاج لتيار كهربائي بالطريقة التي يحتاج إليها التلفاز ولا إلى توصيلات وأسلاك وصحن استقبال (دش) الآن. وزيادة على ذلك إذا نظرنا إلى أرجاء كثيرة من بلاد العالم هناك قرى وفياف وبواد ومجاهل لم يصل إليها التلفاز بعدُ وهي مواطن لا يعرفون فيها غير المذياع. لذا فالقائلون: إن زمن الإذاعة قد ولى، هم من بعض أهل المدن فحسب.

- يعتز كل إعلامي ببعض البرامج التي يراها علامات في تاريخه، ترى ما البرامج التي تمثل علامات في تاريخك الإذاعي؟ وما السبب في ذلك؟

* أول برنامج قدمته كان في الإذاعة السودانية وكان اسمه «من أرشيف الإذاعة». كنت أبحث فيه عن المواد القديمة التي انقطع عهد المستمعين بها، أكتب لها مقدمات وأذيعها ذاكراً تاريخ تسجيلها، وأول مرة أذيعت. ومما لا أنساه في هذا الصدد أني وجدت (أسطوانة) مع عدد كبير من الأسطوانات التي أُلقيت في مكان ما بغية التخلص منها، وكان بتلك الأسطوانة صورة صوتية لافتتاح أول جلسة للبرلمان السوداني، وكان الأستاذان أبوعاقلة يوسف - رحمه الله - ويس معني - أمد الله في عمره - يصفان موكب رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري وزعيم المعارضة محمد أحمد محجوب - رحمه الله -، وهما يسيران نحو مبنى البرلمان، وكان لتلك الحلقة صدى واسع عند المستمعين. هذا على سبيل المثال لا الحصر. كما وجدت في ذلك (الأرشيف) أغنيات ومقابلات، وكثيراً من المواد الممتعة. وما زالت هناك صور من هذا البرنامج تقدم تحت مسميات متعددة من وقت إلى آخر. والذي اقترح عليَّ تقديم هذا البرنامج كان الأستاذ الطيب صالح عندما جاء إلى الإذاعة السودانية خبيراً منتدباً من هيئة الإذاعة البريطانية مدة قصيرة من الزمن. ثم قدمتُ برنامجاً ما زلت أذكره أكثر من غيره وكان عنوانه «اخترت لكم»، كنت اختار موضوعاً واحداً ثم أتناوله من جوانب مختلفة، وكان ذلك يحملني على كثير من البحث. وأول حلقة قدمتها من هذا البرنامج كانت عن القمر، فتناولت القمر وذكره في القرآن الكريم وفي أشعار العرب وفي الأدب الشعبي السوداني، ثم من منظور العلم الحديث بعد أن هبط عليه الإنسان، ثم في الغناء السوداني المعاصر. وأذكر أنني اخترت لختام تلك الحلقة أغنية الفنان عثمان حسين التي ألف كلماتها الشاعر السوداني حسين بازرعة والتي مطلعها:

يا ليالي القمر يا ليالي الغرام
طاب فيك السمر ما لعيني منام

- بعض المواقف لا ينساها المرء مهما تباعد الزمن، فما أهم تلك المواقف في مشوارك الإذاعي؟

* إن كنت تعني بالمواقف ما يسمى بـ(المطبات) فهي كثيرة، ولكن أكثرها حرجاً بالنسبة لي اثنان: أولاً كنت اقرأ الأخبار في التلفاز السوداني، وكان أحد الأخبار مكتوباً في صفحتين. فانتهى الجزء الأول من الخبر في السطر الأخير من الصفحة الأولى بعبارة «وقال السيد..» وعندما رفعت الصفحة لم أجد الصفحة الثانية فما كان عليّ إلا أن قلت: «أو كما قال». أما المطب الثاني فحدث أوائل أيام التحاقي بالعمل في لندن. فقد اكتشفت أنني لم أترك موجز الأخبار في الاستديو لأقرأه الساعة الخامسة عصراً، ولما أخذت الساعة تدق اكتشفت أنه ليس أمامي أي موجز، فما كان عليَّ إلا أن أعمل شيئاً واحداً، أو لا يكون هناك موجز أخبار، وهو أن أقرأ ذلك الموجز من ذاكرتي، وقد فعلت وكان موقفاً عصيباً إلا أن الله تعالى أعانني عليه فله الحمد.

- للإذاعي الناجح صفات ينبغي أن يتسم بها فما تلك الصفات في رأيك؟

* الصفات نوعان: طبيعية وكسبية. أما الطبيعية فهي أن يكون ذا صوت مقبول خال من العيوب اللفظية، وذا بديهة سريعة تساعده في التغلب على بعض المواقف وبالذات عندما يكون هناك ظرف غير طبيعي، كما تسعفه في استخلاص بعض النقاط التي يثيرها في لقاءاته ومقابلاته مع من يتحدث إليهم، وأن يكون متواضعاً. أما الكسبية فهي التي تتوافر بالقراءة المستمرة في مختلف ضروب المعرفة وفنونها، ليكون ذا إلمام بقدر معقول من كل طرف، وأن يكثر الاطلاع على ما تحمله وسائل الإعلام استماعاً ومشاهدة وقراءة. وهذا بالطبع يكون عوناً مهماً له في القيام بعمله. وفوق ذلك أن تكون له الرغبة في العمل نفسه، وأن يكون مستعداً لتحمل تبعاته وما أكثرها.

- أساتذة كانوا قدوة لك في مشوار حياتك من هم؟

* بقولك أساتذة أحسب أنك تعني من درسوني أيام الطلب. فأنا أذكر منهم في هذا الصدد رجلاً أفادني كثيراً، ووجدت منه تشجيعاً كبيراً في كتاباتي وقراءاتي، وذلك في المرحلة الثانوية التي بدأ يشتد فيها عندي عود نظم الشعر، فكنت أنظمه وأنشره وأكتب موضوعات أخرى غير الشعر وأنشرها في الصحف. ذلك الأستاذ هو تادرس يعقوب الفرشوطي، الذي توفاه الله قبل سنوات. كان شاعراً مجيداً، يحرص على النظر في ما أنظم من شعر ويوجهني هنا وهناك، ويُسمعني من الثناء ما لا يترك للتثبيط في نفسي محلاً، ومن النقد ما لا يترك للغرور إلى نفسي سبيلا. وكل ذلك كان عوناً لي في هذا الدرب، كما كان يحرص على سلامة النطق بالعربية. وقد حباه الله تعالى صوتاً واضح النبرات، حلو المخارج، تساعده في ذلك معرفة واسعة بعلوم العربية وفنونها.

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر
أنت على موعد دائم مع

الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL

تقرأ فيها باستمرار:



- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.
- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.



- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.



لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق
مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

المكتبات في سويسرا

ثابت عيد

الحديث عن المكتبات بصفة عامة له جوانب متعددة. فأولا: لا تقوم الحضارات ولا تزدهر إلا بالعلم، ولا علم بلا كتب، والمكتبات هي دور الكتب، وأحد أهم مظاهر تقدم الأمم. وثانيا: لا يمكن أن تروج صناعة الكتاب، بلا صناعة للورق، وأدوات الطباعة، وما دمنا نستورد معظم تلك الأدوات، فالأمل ضعيف في ازدهار هذه الصناعة في الوقت الحاضر. وثالثا: لا يمكن أن يزدهر العلم، وتنمو صناعة الكتاب، بلا رعاية للعلماء، والعلماء في معظم أنحاء عالمنا العربي مهضومة حقوقهم. ورابعا: لا يمكن أن تؤتي الكتب ثمارها بلا قراء، والمرء لا يفكر في القراءة، إلا بعد إشباع حاجاته الجسمانية، ومعظم شعوبنا العربية مازال مشغولا بحل مشكلات المأكل والمشرب. وخامسا: لا يمكن أن تزدهر صناعة الكتاب في ظل نظم تعليمية قاصرة، لا ترصد الأموال اللازمة لشراء الكتب، وتأسيس المكتبات. ويكفي أن نذكر أن ميزانية المكتبة المركزية في زيورخ تبلغ 22 مليون فرنك سويسري، وهو ما يفوق ميزانية كثير من المكتبات العربية!!



المبنى الجديد للمكتبة المركزية في زيورخ

كل هذا يدفعنا إلى التساؤل: لماذا لا نحاول أن نستفيد ونتعلم في مجال المكتبات من خبرة دولة متقدمة مثل سويسرا؟

نبذة تاريخية عامة

يوجد في سويسرا اليوم أكثر من ستة آلاف مكتبة منتشرة في أنحاء البلاد. ويرجع تاريخ المكتبات في سويسرا إلى العصور الوسطى، حيث اهتمت الأديرة النصرانية بالكتب، وتأسيس المكتبات، ونذكر هنا على سبيل المثال دير سانت جالان الذي أسس سنة 720م، ودير أينسيدلن الذي تم بناؤه نحو سنة 950م.

وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر شهدت سويسرا توسعا ملموسا في إنشاء المكتبات، وكانت المكتبة المركزية في مدينة زيورخ من أهم ما أسسه السويسريون من مكتبات في تلك الحقبة. ثم شهد القرن التاسع عشر تراجعا ملحوظا في عدد المكتبات الجديدة، بيد أنه تم تأسيس عدد من المكتبات المهمة في تلك الحقبة؛ حيث شيدت المكتبة الوطنية السويسرية، ومكتبة الجامعة الفيدرالية للعلوم التقنية ETH في زيورخ، ومكتبة البرلمان، وكذلك مكتبة الجامعة الفيدرالية للعلوم التقنية في لوزان. وفي القرن العشرين شهدت سويسرا نشاطاً محموداً لتأسيس المكتبات المتخصصة.

وعن المكتبة المركزية في زيورخ يقول رئيس قسم المعلومات بها د. راينر ديدريكس:

«هذه المكتبة من أهم مكتبات سويسرا على الإطلاق. وهي أيضًا من أقدم مكتبات البلاد، فقد تم تأسيسها سنة 1629م. ومن أهم مهماتها تجميع كل ما له صلة بكانتون (محافظة) زيورخ. ومكتبتنا في الوقت نفسه مكتبة جامعية، وبذلك فهي تجمع كل كتب المواد التي يتم تدريسها في جامعة زيورخ؛ فنحن في سويسرا نؤمن بمبدأ التعليم المتواصل.



جانب من المكتبة المركزية

ويبلغ مجموع ما تمتلكه المكتبة اليوم 3,2 مليون وحدة مكتبية. من هذا العدد 2,5 مليون كتاب ومجلد، و24000 مخطوطة، و17500 خريطة، و188000 ميكروفيلم، والباقي وحدات مكتبية أخرى. وفي سنة 1990م زادت ممتلكات مكتبتنا من الوحدات المكتبية بمقدار 90500 وحدة مكتبية، منها 60700 وحدة قمنا بشرائها، و12500 وحدة حصلنا عليها هدايا من جهات مختلفة.

وقد بلغ عدد القراء المسجلين في المكتبة في سنة 1990م: 53200 قارئ، وهو عدد كبير بالنسبة لسكان زيورخ، ونحن فخورون جدا بهذا العدد الضخم الذي يستفيد من مكتبتنا. ومن هذا العدد الكبير المسجل لدينا في الحاسوب يوجد زهاء 8000 قارئ يستخدمون مكتبتنا بصورة مكثفة.

وقد بلغ عدد الكتب التي قام القراء باستعارتها من المكتبة سنة 1990م 260000 كتاب.

أما أكبر مكتبة في سويسرا من حيث الحجم والأهمية، فهي مكتبة جامعة زيورخ للعلوم التقنية ETH (يوجد في زيورخ جامعتان: الأولى للعلوم النظرية والطب، والثانية للعلوم التقنية). وتأتي مكتبتنا في المرتبة الثانية بعد مكتبة ETH.



المكتبة المركزية في زيورخ من الداخل

وبعد ذلك تأتي مكتبة جامعة بازل في المرتبة الثالثة.

ويضيف د. راينر ديدريكس: إنني أستطيع أن أذكر حقيقتين غريبتين. فمن ناحية ينبغي أن أعترف لك أن معظم الناس لا يقرؤون، فالعامة لا تهوى القراءة. ومع ذلك فهناك وعي عجيب عند العامة بأهمية العلم، وضرورة تأسيس المكتبات والعناية بها. ويوجد على سبيل المثال في كل حي في كانتون زيورخ مكتبة، وأصغر حي هنا يسكنه مائتا مواطن، يوجد فيه مكتبة. ونحن في زيورخ نتمتع بمستوى عال من الثقافة، وحب الناس للقراءة في تزايد مستمر، فمكتبات الأحياء تمتلك قرابة مليوني كتاب موزعة على 170 مكتبة. ويتم إعارة 4,2 مليون كتاب سنويا من هذه المكتبات. وفي المدارس، تمتلك كل مدرسة مكتبة خاصة بها»(1).

أما أهم المكتبات في سويسرا، فهي على النحو التالي:

المكتبات المدرسية ومكتبات الجامعة

يعير السويسريون مكتبات المدارس اهتماما خاصا، حيث يعدونها «مراكز معلومات» يتم فيها تلقين التلامذة كيفية استخدام المكتبة، والمبادئ الأولية للقراءة والمطالعة، وطريقة استخدام المراجع والبحث عن المعلومات. ويرى المسؤولون السويسريون أن الدور الذي تؤديه مكتبة المدرسة في حياة التلميذ عظيم الشأن. ففي مكتبة المدرسة يتم أول اتصال حقيقي بين التلميذ والكتاب، وفيها يتم غرس حب القراءة في نفس التلميذ. وإذا نجحت مكتبة المدرسة في أداء وظيفتها، فإن تأثيرها في مستقبل التلميذ يصير عظيما، إذ يتحول التلميذ بعد ذلك إلى إنسان مدرك لقيمة العلم وقدر المعرفة، فيسعى إلى تثقيف نفسه بنفسه من طريق المكتبات أو بشراء الكتب. أما المكتبات الجامعية في سويسرا، فهي أكبر مكتبات البلاد على الإطلاق. ولا تقتصر وظيفة هذه المكتبات على خدمة الجامعيين فحسب، بل إنها تفتح أبوابها أمام جميع سكان الكانتون المتواجدة فيه. وبجانب هذه المكتبات الجامعية الضخمة، فهناك قرابة مئة مكتبة تابعة لمعاهد الجامعات السويسرية وكلياتها تقدم خدماتها للطلاب في شتى فروع العلم. إلا أن السويسريين يشكون من عدم توافر الطاقات الفنية اللازمة لإدارة هذه المكتبات التابعة للمعاهد والكليات.

المكتبات العامة وتثقيف الشعب

يبلغ عدد ما تملكه سويسرا من مكتبات قرابة ستة آلاف مكتبة. وهو عدد ضخم جدا، إذا وازناه بعدد سكان البلاد الذي يبلغ 6,3 مليون نسمة تقريبا. إلا أن كثيراً من هذه المكتبات من الحجم الصغير الذي لا يكاد يفي بحاجات القارئ المتخصص. وعلى وجود هذا العدد الضخم من المكتبات في أنحاء البلاد، يشكو السويسريون من عدم التوسع في تأسيس المكتبات بصورة كافية في المناطق الريفية. وبلغ إدراك السويسريين لقيمة الثقافة، واقتناعهم بأهمية تثقيف المواطن العادي، حداً جعل بعض مدن القطاع الفرنسي السويسري وضواحيه تقوم بالاستعانة بنظام «المكتبة السيارة»، وهو نظام تقوم فيه السيارة بدور المكتبة المتنقلة. وقد كان لذلك أثر كبير في نشر الثقافة والمعرفة بين سكان تلك الضواحي.

المكتبات المتخصصة

من مظاهر الرقي، وعلامات التقدم، الأخذ بنظام التخصص، وهو نظام له محاسنه ومساوئه مثل كل شئ في الحياة، ولكن فوائده أكثر من عيوبه. وقد أدى التطور الحضاري، والتقدم الصناعي، بالمجتمع السويسري إلى تكوين العديد من المؤسسات العلمية المتخصصة، حيث تهتم كل مؤسسة منها بفرع أو أكثر من فروع العلم، وفنون المعرفة. ولا يختلف الحال في مجال المكتبات، حيث نجد أن المكتبات الضخمة غالبا ما تحتوي على أقسام


د. فون برون


د. راينر ديدركس

محددة، يختص كل قسم منها بمادة أو فرع من فروع العلم. وسوف نقدم فيما يلي عرضا وجيزا، نلقي فيه الضوء على بعض المكتبات المتخصصة في سويسرا:

أولا: الموسيقى:

تمتلك المكتبة الجامعية العامة في جنيف بعض كتب القداس الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية، التي يعود عمرها إلى القرن العاشر الميلادي. كما أنها تحتفظ ببعض الأعمال الفنية التي خلفها موسيقيون فرنسيون وإيطاليون ممن قضوا جزءا من حياتهم العملية في روسيا. أما أهم مكتبة موسيقية موجودة في سويسرا برمتها، فهي مكتبة جامعة بازل العامة التي تمتلك مجموعة هائلة من مخطوطات السيمفونيات التي وضعها موسيقيو القرن الثامن عشر. وفي اينسيدلن يوجد الدير البندكتيني الشهير الذي يزيد عمره على ألف سنة، حيث تم بناؤه نحو سنة 950م. وتحتوي مكتبة هذا الدير على خمسين ألف عنوان تقريبا لأعمال موسيقية مختلفة وُضع بعضها قبل سنة 1500م. وتغطي الأعمال الموسيقية الأخرى الحقبة التاريخية فيما بين القرن السادس عشر حتى يومنا هذا. ويبلغ مجموع مجلدات هذا الدير 110000 مجلد، و1200 مخطوطة. كذلك فإن مكتبة الوقف في سانت جالان تمتلك مخطوطات موسيقية مهمة يعود تاريخ بعضها إلى القرن التاسع الميلادي. أما المكتبة المركزية في زيورخ، ففيها قسم خاص للموسيقى يحتوي على أعمال سويسرية وفيرة.

ثانيا: الجغرفيا والخرائط:

المكتبة الوطنية السويسرية في برن من أهم المكتبات المتخصصة بالجغرافيا والخرائط حيث تمتلك أكثر من 37000 خريطة. أما المكتبة الجامعية العامة في مدينة جنيف، التي أُسست سنة 1561م، فتحتوي على 23000 خريطة، وأكثر من 1200000 مجلد. وتمتلك المكتبة المركزية في زيورخ قرابة 175000خريطة، بالإضافة إلى قسم خاص بعلم الجغرافيا.

ثالثا: الكيمياء:

نظرا للعلاقة الوثيقة بين العلم والصناعة، ولأن الدول المتقدمة تستخدم العلوم في تنمية قدراتها الاقتصادية والصناعية، فإننا نجد أن كانتون بازل، الذي تتركز فيه الصناعات الكيماوية المتقدمة وكذلك صناعة الدواء، يمتلك في الوقت نفسه أكبر مكتبات البلاد المتخصصة بعلوم الكيمياء، حيث تقوم مصانع الدواء والكيماويات في هذا الكانتون بتأسيس المكتبات والعناية بكل ما يخص هذه الصناعات من أبحاث ومؤلفات.

رابعا: الطب:

لا تهتم كليات الطب وحدها بالمكتبات الطبية، بل المستشفيات أيضًا. أما الجهة المسؤولة عن مكتبات المستشفيات في سويسرا، فليست جمعية الصليب الأحمر، ولكنها جمعية تطوعية تدعى الجمعية التطوعية لمساعدة


القسم الموسيقي في المكتبة المركزية في زيورخ

المستشفيات Veska. وتقوم هذه الجمعية بجمع التبرعات، وتأسيس المكتبات في المستشفيات. بيد أن فكرة مكتبات المستشفيات لم تمتد بعد لتشمل جميع مستشفيات سويسرا.

خامسا: التقنية المتقدمة:

مكتبة الجامعة الفيدرالية للعلوم التقنية في زيورخ أكبر مكتبة علمية في سويسرا. وقد أسست هذه المكتبة سنة 1855م. وكان القصد من إنشائها في البداية هو أن تكون مكتبة جامعية عادية، ولكن السويسريين قاموا بتطويرها على مدار السنين لتصبح اليوم أكبر مكتبة علمية متخصصة من نوعها في سويسرا برمتها. وقد ازداد عدد ما تملكه هذه المكتبة الضخمة من وحدات مكتبية (الوحدة المكتبية يمكن أن تكون كتابا أو مخطوطة أو ميكروفيلما أو صورة أو شريط تسجيل أو اسطوانة أو شريط فيديو أو مجلة أو جريدة ...إلخ) من نصف مليون وحدة في أوائل الستينيات إلى قرابة 2,5 مليون وحدة في السبعينيات. وبجانب هذه المكتبة، فهناك أيضا مكتبة المعهد السويسري للمعلومات التقنية SITI الذي أسس سنة 1979م بوصفه هيئة متخصصة بكل ما يصدر في مجال التقنية المتقدمة.

سادسا: المكتبات الصناعية:

تمتلك المؤسسات الصناعية الكبرى في سويسرا مكتبات خاصة بها مثل مكتبة سولزر ومكتبة فينترتور. وتعد هذه المكتبات الصناعية من النوع الصغير، إذا قوبلت بمكتبة ETH مثلا، ومع ذلك فهي تحتوي على الكثير من الأبحاث المتخصصة والمراجع العلمية المهمة. ولقد صارت المكتبات الصناعية لا غنى عنها في توفير المعلومات التخصصية. ففي سويسرا تقوم المؤسسات الصناعية التابعة للقطاع الخاص بتمويل ثلثي تكاليف الأبحاث العلمية التي تخدم الصناعة السويسرية.

وتتعاون المكتبات الصناعية مع بقية مكتبات سويسرا في مجال إعارة الكتب والمراجع فيما بين المكتبات. وقد كان للمكتبات الصناعية السبق في إدخال النظم الآلية الحديثة لتخزين المعلومات، فمهدت بذلك الطريق إلى إدخال هذه الأنظمة الحديثة إلى بقية مكتبات سويسرا. ويظهر اهتمام المؤسسات الصناعية السويسرية بالمكتبات بجلاء من خلال أهم فرعين من فروع الصناعات السويسرية، وهما: صناعة الماكينات، وصناعة الكيماويات. أما صناعة الماكينات، فتتولى «جمعية مُصنعي الماكينات السويسرية» تزويد أعضائها بآخر المعلومات، وأحدث المطبوعات الخاصة بهذه الصناعة، وذلك من طريق اتصالاتها بأهم مراكز المعلومات والوثائق في دول العالم المتقدم. كذلك فإن مصانع الألمونيوم السويسرية عضو مهم في النظام الدولي للمعلومات.

سابعا: التراث السويسري:

يظهر نظام التخصص المكتبي الذي أخذت به سويسرا بوضوح في مجال التراث، فتتولى مكتبة كل كانتون تجميع كل ما له علاقة بتراث كانتونها وحفظه. وبجانب هذا الاهتمام على مستوى الكانتون، فهناك اهتمام آخر على مستوى الدولة من خلال المكتبة الوطنية السويسرية التي أسست سنة 1895م. وهذه المكتبة أكبر مكتبة سويسرية متخصصة بجغرافية سويسرا وتاريخها وآدابها وقوانينها، كما أنها تقوم بتجميع كل ما يكتبه السويسريون وتحليله وإعارته، أو كل ما له علاقة بسويسرا، وبخاصة المطبوعات الصادرة في سويسرا.

المكتبات الحكومية

نذكر هنا على سبيل المثال بعض أهم المكتبات التابعة للمؤسسات الحكومية في سويسرا: مكتبة البرلمان والحكومة الفيدرالية، مكتبة القوات المسلحة، مكتبة المعهد الفيدرالي للتربية الرياضية، مكتبة سكك حديد سويسرا، مكتبة هيئة البريد، مكتبة الجهاز الفيدرالي للإحصاءات. ولا تقتصر خدمة بعض هذه المكتبات على العاملين في الحكومة فحسب، بل تمتد لتشمل القطاعات الأخرى من أفراد الشعب أيضاً.

المكتبات الدولية

استفادت سويسرا كثيرا من وجود العديد من المنظمات الدولية في مدينة جنيف. ذلك أن معظم هذه المنظمات الدولية تمتلك مكتبات ضخمة متخصصة. ونذكر من هذه المكتبات على سبيل المثال: مكتبة الأمم المتحدة،



إحدى قاعات المطالعة في المكتبة المركزية، ويرى جانب من قسم الحاسب الآلي

مكتبة مكتب العمل الدولي، مكتبة منظمة الصحة العالمية.

وتقوم هذه المكتبات بالتعاون مع المكتبات السويسرية، وبخاصة في مجال إعارة الكتب التي لا تمتلكها المكتبات السويسرية.

الجمعيات والهيئات المكتبية

الاهتمام بأمور المكتبات يتطلب تكوين الجمعيات والهيئات المتخصصة، لمتابعة أعمال المكتبات، وتبادل الآراء ووجهات النظر في كيفية تطوير هذه المكتبات، وتحسين خدماتها، والتغلب على ما يعترضها من مشكلات وصعوبات. ونذكر هنا بعض الأمثلة لأهم هذه الجمعيات والهيئات المكتبية في سويسرا:

أولا: الجمعية السويسرية لخدمة المكتبات SBD:

أسس السويسريون هذه الجمعية سنة 1969م، محتذين بذلك النموذج الدنماركي الناجح في إدارة شؤون المكتبات. ويقوم أمناء المكتبات السويسرية من خلال هذه الجمعية بجهود ضخمة في سبيل التغلب على كل ما يواجه المكتبات في سويسرا من مشكلات. ويرجع أصل كثير من هذه المشكلات إلى تعدد اللغات والأديان في البلاد. فسويسرا تنقسم من حيث اللغة إلى أربعة قطاعات مختلفة هي: القطاع الألماني والقطاع الفرنسي والقطاع الإيطالي والقطاع الروماني. وفضلا عن ذلك فهناك اختلافات دينية كبيرة بين سكان البلاد. وقد أدى هذان العاملان إلى خلق صعوبات مالية كبيرة مازالت تقف حائلا دون إنشاء المزيد من المكتبات في أنحاء سويسرا. وتقوم هذه الجمعية بالمساهمة في تأسيس مكتبات المدارس، وكذلك مكتبات الأحياء، وتبيع تجهيزات المكتبات، وتقدم الاستشارات الفنية لإنشاء المكتبات ومشاريع البناء.

ثانيا: جمعية أمناء المكتبات السويسرية VSB:

وهي جمعية يشترك في عضويتها جميع أمناء المكتبات السويسرية. وتقوم هذه الجمعية بالاشتراك مع جمعية الوثائق السويسرية SVD بإصدار مجلة متخصصة باسم «الأخبار» تعنى بكل ما يتعلق بمشكلات المكتبات وتبادل المعلومات.

ثالثا: جمعية المكتبات الشعبية SVB:

تعنى هذه الجمعية في المقام الأول بنشر الثقافة في الأحياء المتواضعة من سويسرا. وتقوم بالمساعدة في تكوين المكتبات الجديدة، أو توسيع المكتبات الصغيرة. كما أنها تسعى إلى تحقيق بعض التوازن في التفاوت الكبير في توزيع المكتبات في أنحاء البلاد.

رابعا: جمعية العمل السويسرية للمكتبات العامة SAB:

الوظيفة الرئيسة لهذه الجمعية تدريب الطاقات الجديدة للعمل في المكتبات الصغيرة، وذلك بتنظيم دورات تدريبية لهم، ومساعدتهم على استيعاب طرق العمل الحديثة في المكتبات. وقد أصدرت هذه الجمعية سنة 1975م دليلا لأمناء المكتبات بعنوان «فن العمل في المكتبات المدرسية ومكتبات البلديات».

ونذكر هنا عمل لجنتين حكوميتين في مجال نشر الثقافة وتبادل المعلومات بين الهيئات:

أولا: لجنة سيدلر:

ترأس سيدلر - رئيس مكتبة ETH - لجنة حكومية، في بداية السبعينيات، لبحث نظام المعلومات العلمية في سويسرا. وقد أوصت هذه اللجنة بتأسيس لجنة وطنية دائمة للمعلومات العلمية تكون مسؤولة عن تطوير السياسة الوطنية للمعلومات العلمية وتنفيذها، وإصدار قانون فيدرالي لتشجيع انتقال المعلومات العلمية، وكذلك تأسيس معهد خاص لعلم المعلومات.

ثانيا: لجنة شنيدر:

تكونت لجنة شنيدر سنة 1977م، وكان مهمتها وضع توصيات لجنة سيدلر موضع التنفيذ. وبجانب ذلك، فقد سعت هذه اللجنة إلى تحسين النظام الدولي لإعارة الكتب، بإدخال الأنظمة الآلية الحديثة لمعالجة النصوص في مكتبات سويسرا. كما أنها عملت على ربط المراكز العلمية والمكتبات السويسرية بمراكز المعلومات الدولية، كما عملت على تخريج طاقات جديدة متخصصة في إدارة المكتبات الحديثة.

وقد توجهنا إلى د. فون برون المسؤول عن القسم العربي الإسلامي بالمكتبة المركزية في زيورخ لمعرفة حجم الاهتمام بالحضارة العربية الإسلامية، فقال:

«من الصعب تقدير حجم القسم العربي الإسلامي في مكتبتنا. ولكن إحصاءاتنا الخاصة بميزانية كل قسم تقول إننا نخصص سنويا عشرة آلاف فرنك سويسري لشراء كتب اللغات الشرقية: العربية، والتركية، والفارسية. كما أننا نشتري كتبا أخرى تدخل تحت بند الأديان غير النصرانية، وكذلك تحت عنوان تاريخ الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

وفضلا عن ذلك فقد حصلت مكتبتنا على مجموعتين مهمتين من الكتب إهداء، وهما: المكتبة الخاصة للمستشرق والعالم المستقل د. بيوركلي D. Buerkli الذي عاش في أول هذا القرن، والمكتبة الخاصة للمدير السابق لتلك المكتبة الخاصة: المستشرق البروفيسور ل. فورير L. Forrer. وهكذا فنحن نمتلك مثلا نسختين من «ألف ليلة وليلة»، الأولى طبعة القاهرة 1835م، والثانية طبعة كالكوتا 1839-1942م، وهذا شيء نادر.

وإليك بعض الإحصاءات الخاصة بالأقسام التي أشرف عليها - أعني اللغات الشرقية: في 1991م حصلنا على 129 عنوانا، وفي 1992م: 113 عنوانا، وفي 1993م: 89 عنوانا، وفي 1994م: 217 عنوانا.

وأستطيع أن أقول إن معظم الاقتراحات التي تصل إلينا لشراء كتب تخص الحضارة العربية، تتركز على الروائي نجيب محفوظ. فهناك جيل جديد من الطلبة السويسريين مهتم جدا بأدبه، وبالأدب المصري الحديث. وقد قمت شخصيا بمراجعة كل ما صدر عن محفوظ من دراسات، وأحاول أن أشتريه للمكتبة»(1).

وعن أهمية الثقافة العربية للسويسريين، وكيفية تعزيز العلاقات الثقافية بين سويسرا والعالم العربي، يقول د. برون:

«يمكننا أن نلاحظ أن اهتمام السويسريين بالثقافة العربية قد ازداد بشكل واضح في الآونة الأخيرة. ويظهر ذلك بجلاء من خلال الترجمات المتزايدة للآداب العربية، وكذلك مراجعات الكتب الخاصة بالإسلام والأدب العربي في الصحف الألمانية، وأيضاً في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، حيث إن عدد دور النشر العربية المشاركة فيه في تزايد مستمر.

أما تعزيز العلاقات الثقافية، فيقع العبء الأكبر فيه على وسائل الإعلام ودور النشر. فالتصورات الخاطئة عن العرب والإسلام لن يمكن تصحيحها إلا من خلال نشر المعلومات الصحيحة عن الثقافة العربية الإسلامية. والدور الحيوي الذي تستطيع المكتبات أن تقوم به هنا يتمثل في تدبير الكتب والترجمات - التي غالبًا ما تنفد سريعا - وتوفيرها لأكبر عدد ممكن من القراء. كذلك تنظيم المعارض المتخصصة إذا لزم الأمر. كما أن تقديم الخدمات الآلية في هذا المجال، ولاسيما شبكة الإنترنت، يمكن أن يسهم كثيراً في تقريب وجهات النظر بين الحضارات»(2).

وبعد؛ فهذه دعوة صادقة نوجهها إلى كل مسؤول عربي غيور على ثقافته وحضارته ودينه لتوجيه المزيد من العناية والاهتمام بالمكتبات في عالمنا العربي الإسلامي. إذ كيف نسمح للأمور أن تتدهور إلى الحد الذي جعل عدد الكتب التي تصدر في عالمنا العربي من أقصاه إلى أقصاه لا يتعدى ألف عنوان سنويًا، في حين أن دويلة صغيرة مثل سويسرا تنشر أربعة آلاف كتاب سنويًا؟

الهوامش:

1- من حوار أجريناه معه حول المكتبات في سويسرا.

2- من حوار أجريناه معه حول اهتمام المكتبات في سويسرا بالتراث العربي الإسلامي.






اليوم الوطني

بمناسبة ذكرى اليوم الوطني للمملكة العربية السعودية

تتقدم

أرامكو السعودية

بأسمى آيات التهاني وأجمل الأماني إلى

خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود**

وصاحب السمو الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز آل سعود**

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير **سلطان بن عبد العزيز آل سعود**

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

والى حكومة المملكة العربية السعودية وإلى الشعب السعودي الكريم



PRS-10-97



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم

تأليف: أحمد بن محمد بن يحيى البلدي

[من علماء القرن الرابع الهجري]

أصبح تقدم المسلمين في مختلف أنواع العلوم، مثل الفلك والهندسة والطب، وبروز الكثير من العلماء في هذا المجال، وتأليفهم عشرات الكتب التي ظلت المرجع الرئيس للجامعات والمعاهد العلمية الأوربية عدة قرون، من نافلة القول.

فمن الأطباء نعرف كثيرين؛ مثل الرازي وابن سينا وابن النفيس وابن زهر، ولهم مؤلفات طبية مشهورة ومتداولة، غالبها في عموميات الطب.

إلاّ أننا نستغرب حين نجد كتابًا طبيًا مختصا بفرع من فروع هذا العلم لا يتعداه، مثل صحة الحامل والجنين والمولود، وهو كتاب «تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم»، من تأليف أحمد بن محمد بن يحيى البلدي. وقد عاش هذا الطبيب في الثلث الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ويقول عنه ابن أبي أصيبعة: «كان خبيرًا بصناعة الطب، حَسَنَ العلاج والمداواة، وكان من أجلّ تلامذة أحمد بن أبي الأشعث (وهو أحد كبار أطباء عصره)، لازمه سنتين».

أما موطنه، فهو مدينة بلد القريبة من الموصل في العراق حاليًا. وقد رحل إلى مصر، حيث التقى الوزير يعقوب بن يوسف بن كلّس وزير المعز لدين الله الفاطمي وألّف له هذا الكتاب. وهذا مما يدل على مدى عناية الوزراء والولاة بالعلم عامة وصناعة الطب خاصة.

أما كتابه هذا - كما قال محققه - فيعد أوسع وأكمل كتاب في طب الأطفال والولادة قبل عشرة قرون وحتى عصر النهضة الأوربية لاحتوائه على آراء من سبقه وعاصره من الأطباء، وكذلك حصيلة خبراته وتجاربه العلمية والعملية، كما أن له الريادة والسبق في وصف معالم وأعراض مرض الجدري الكاذب (جدري الماء) قبل مَنْ نُسب إليهم اكتشاف هذا المرض بأكثر من خمسة قرون، مثل جيوفاني فيلبّو انكراسيا Giovanni Fillipo In-grasia (1510- 1580م).

وقد قسم الكتاب إلى ثلاث مقالات:

المقالة الأولى: تشتمل على سبعة وخمسين بابًا في تدبير الحبالى والأطفال والأجنّة ومداواة ما يعرض من الأمراض فيهم.

المقالة الثانية: تشتمل على ثمانية وأربعين بابًا في تربية الأطفال والصبيان وتدبيرهم وحفظ صحتهم.

المقالة الثالثة: في الأوجاع والأمراض الحادثة بالأطفال، ومداواة كل واحد منها، وما ذكره المتقدمون من الأطباء فيها وفي مداواتها، وهي تشتمل على واحد وسبعين بابًا.

ومن خلال هذه المقالات الثلاث بحث البلدي الكثير مما يتعلق بصحة الحامل والمرضع والجنين والمولود، فهو يؤكد أن صحة الطفل من صحة الأم، فلا بد من العناية بها حاملاً ومرضعًا من الناحيتين الغذائية والعلاجية.

وقد بحث مطولاً في أحوال المرأة الحامل، وما يجب أن تلتزمه وما يجب أن تتجنبه من مطعومات ومشروبات وأفعال وحركات، وبيّن الأسباب الموجبة والمسببة لعسر الولادة وطرق التغلب عليها، وما يحدث للحامل بعد الولادة من أعراض وأمراض وطرق علاجها.

وقد تحدث عن كثير من الأمراض التي تصيب الأطفال، مثل أمراض الجهاز الهضمي كالقيء والإسهال والمغص، وأمراض الجهاز التنفسي مثل الزكام والسعال والربو وضيق التنفس، والأمراض المعدية مثل الكُزاز والحصبة والجدري، والأمراض الجلدية مثل القروح والبثور والثواليل.

وهو يبحث هذه الأمراض وطرق علاجها بطريقة علمية منهجية، إذ يذكر المرض وتعريفه، ثم يذكر أعراضه وما يسببه للطفل، وعلاجه والأدوية المستخدمة له. ويعتمد في ذلك على عدة أسس علمية، منها: الأساس النظري بالاعتماد على كتب وآراء من سبقه من الأطباء العرب واليونان وغيرهم، فنجده كثير النقل عنهم، ويناقشهم في آرائهم وما ذهبوا إليه من نتائج، فهو يردّ - مثلاً - على جالينوس وأبقراط في بعض آرائهما الطبية. كما يعتمد أيضًا التجربة العملية، فيدون خبراته العملية ومشاهداته للأمراض المختلفة وعلاجاتها في تضاعيف كتابه هذا.

واهتم البلدي اهتمامًا كبيرًا بالأدوية والعلاجات، وبيّن أن العلاج الواحد يختلف تأثيره من شخص إلى آخر، كما أنّ تأثيره في الشخص الواحد يختلف من مرحلة إلى أخرى أو بعد مدة من الزمن، فيقول: «إن الطبيعة إذا اعتادت الدواء الواحد وألفت قوته، على نفعه، لم يؤثر فيها تأثيرًا حسنًا كبيرًا». وهذا ما نعرفه اليوم بالمناعة الدوائية، حيث يصبح لدى جسم المريض مناعة ضد قبول العناصر المفيدة في الدواء لكثرة المداومة عليه.

وقد طُبع الكتاب بتحقيق الدكتور محمود الحاج قاسم، وهو مدير مستشفى الحكمة للأطفال في الموصل بالعراق، ونشرته دار الرشيد في بغداد عام 1980م.

الفكاهة في تراثنا الأدبي

مهند محمد الشعبي

نظرًا إلى أهمية الموقف الفكاهيّ في جذب الأطفال وشدّ انتباههم، عمل بعض العاملين في المسرح وغيره على حشْد كثير من المفارقات الفكاهية في عروضهم الموجهة للطفل العربي، دونما أدنى مسؤولية تربوية وفنّية، مستغلين غياب الرقابة التربوية العربية التي نطمح جميعًا إلى أن تُؤسَّس؛ لتأخذ دورها الفاعل، فلا يُقدّم لطفلنا العربيّ إلا ما هو أفضل له ولمجتمعه ولمستقبله.

في دراستنا هذه نحاول أن نضع الإطار العام لظاهرة الفكاهة في تراثنا الأدبي على البعدين التاريخي والنوعيّ انطلاقًا من رؤية تربوية حضارية، وأن نضع هذه الظاهرة في إطارها المسرحي في سياق طرح يؤمن بتكاملية البعد الفني للموقف الفكاهي بوصفه غايةً جمالية، لا طرحًا افتعاليًا، والبعد التربويّ العربي بوصفه شرطًا من شروط تقديم موقف فكاهي نظيف بنّاء لشخصية طفلنا الذاتية والاجتماعية.

ولعلّ أحد مقاصد هذا الطرح هو تقديم مشروع قابل للتطوير والمحاورة؛ لدراسة الفكاهة الأدبية وأهميتها ووضعها في سياقها المسرحي الطفلي وفق منظور تربويّ جماليّ عربيّ.

ظاهرة الضحك.. ودراسات غير كافية!

قلما نجد طفلاً يقبل على الحياة، وفي فمه ابتسامة، فمعظم الأطفال - إن لم نقل كلهم - يقدمون إلى الحياة، يستهلونها ببكائية الولادة.. وفي ضوء ذلك انصرف الباحثون يدرسون ظاهرة البكاء، ضرورتها ومصدريتها وهدفيتها وجماليتها، فوصلوا فيما وصلوا إلى كثير من النتائج المقنعة عضويًا، ونفسيًا، واجتماعيًا، وحضاريًا.

أما الضحك فتلك مسألة ذات إشكالية، كان الالتفات إليها منذ القدم، إلا أن نتائج الدراسات القديمة والحديثة لم تكن كافية، وفي تراثنا لم تتعدَّ حدود الجمع والتلميح والترجمة والمحاولة. وحتى لا يبقى الحديث مشتتًا كان لا بد لنا من أن نمضي معًا، فنحدد خطة عملنا وفق مايلي:

أولاً: الفكاهة في ظواهر مسرحية تراثية:

نحاول أن نتناولها من خلال مايلي:

1- الرؤية التي يمكن من خلالها أن نفهم هذه الظواهر.

2- الظاهرة الفكاهية التراثية ببعديها التاريخي والنوعي.

ثانيًا: الفكاهة في مسرح الطفل:

نتعرض لها من خلال: إشكالية المصطلح، الفكاهة خطاب ذو أقطاب: مرسِل، ومرسَل إليه، ورسالة ببعديها التربوي والفني، إضافة إلى بعض الإشارات الأخرى التي نتركها لمسار البحث.

أولاً: الفكاهة في ظواهر مسرحية تراثية

رؤية: ربما لا نستبق العرض بنتيجته، إن قلنا بناء على اطلاع: إنّ تراثنا لم يعرف المسرح بالمعنى الاصطلاحي الحديث، أي إن تراثنا عرف في صفحاته ظواهر مسرحية، لم ترقَ بمجموعها كي تؤلف نوعًا فنيًا تتكامل فيه الأبعاد البانية للأدب أو الفن بالأبعاد المميزة الجمالية التي تميز كل نوع من غيره.

ونحن بذلك لا نحاكم - كما لا يحق لنا ذلك - حين ننظر إلى تراثنا بمفهومات الآن الحاضر؛ لأن التراث ابن بيئته وعصره، والإنسان يتطور معرفيًا من زمن إلى آخر، وإنّما نقصد من وراء ذلك الاستفادة والتواصل بموضوعية، تأخذ التراث بعين الاهتمام.

وبكلمة أخرى يمكن لنا أن نلحظ أمرين في تعاملنا مع قراءة هذه الظاهرة التراثية بجانبها الفكاهي:

1- افتقارها إلى التكامل الفني، إذ نجد أنفسنا أمام ظواهر وحكايات وأخبار وأمثال ونوادر، يمكن للعديد منها أن يجد لنفسه حاضرًا ومستقبلاً، فيتكامل فنًا له خصوصيته، أو في سياق فنّ واضح الملامح.

2- ضرورة المراجعة التربوية لهذه الظاهرة؛ لأن الفكاهة في تراثنا

وفي مسرح الطفل 1

تجاوزت حدود الدعابة والانفعال إلى الاندماج في معطيات التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فنجد أنفسنا أمام «فكاهة مغرضة» تميل إلى الجنوح العدواني والجنسي أحيانًا، كان أشار إليه برت في كتابه «سيكولوجية الضحك»(1).

ومن خلال هذين الأمرين يمكن لنا أن ننطلق في نطاق رؤية جماعية، فننطلق من التأصيل إلى التوصيل؛ إيمانًا منا باستمرارية حضور التراث التي تقوم على فهم موضوعي حضاري للإبداع:

1- إنّ إحياء التراث «الفكاهي» بطريقة تربوية فنية، فكرية حضارية هو إبداع يقوم على مفهوم الأخذ والانطلاق والتواصل.

2- وإن الإتيان بالجديد المبتكر هو إبداع يقوم على مفهوم الخلق والإضافة والبحث عن القادم.

وهنا قد نختلف في نظرتنا إلى التراث، ومن ثمّة إلى هذه الظاهرة:

فبعضنا ينطلق من الحاضر إلى التراث؛ ليجد في السلفية قراءة كافية يتطلع من خلالها إلى حاضره ومستقبله، ويرى أن كل جديد أو وافد ماهو إلا من معطيات السلف، وفي هذا الانطلاق انغلاق في عالم التجريد والإطلاق والمثل.

وبعضنا ينطلق من الحاضر إلى غده ومستقبله، وفق مغايرة تقوم على أساس القطيعة المعرفية الكلية مع ماضيه، ومن ثمة مع تراثه، وغالبًا ما نلاحظ على هذا التيار أنه يتجاوز القطيعة إلى الاستعمال العدواني للمصطلح (بتر، قطع، هدم، تجاوز..)، وفي هذا الانطلاق تطرف وانفلات من الجذور.

وبعضنا ينطلق إلى تراثه من معطيات حاضره بحثًا عن مستقبل أكثر وضوحًا ودلالة دونما تقوقع أو تجاوز، وهذا مانريد، شرط أن لا ندخل في هذا الجدل كطرف بل كمستفيد، وذلك بمعرفته معرفة موضوعية مع القدرة على الموازنة والتمييز ومحاكمة المعطيات والانصراف إلى آلية إنتاج الأدب والفن وتطورهما.

الظاهرة الفكاهية التراثية ببعديها التاريخي والنوعي

نعم.. إن تراثنا، نظرًا إلى أمور كثيرة، لم يعرف المسرحية بوصفها نصًا، ولا بوصفها حالة مُمسْرحة على خشبة لها مقومات الفن والجمال، بقدر ما عرف مجموعة من الظواهر المتفرقة كالاعتناء الموسيقي عند أهل الموسيقى والغناء، والاعتناء الاحتفالي؛ من تلون صوتي وأداء العديد من الحركات، وذلك منذ ولد الإنسان مرورًا بمآتم الأفراح والأحزان ورقصات بعض المتصوفة، وهي بمجموعها لا تؤلف فعلاً مسرحيًا بقدر ما تؤلف فكرة قد ترقى إلى حكاية تحفل بظواهر، أو مشهد احتفالي.

قد نكون غير واقعيين، حين نجعل من الظواهر الحياتية المعيشة ظواهر مسرحية؛ أي ليس كل ما يقوم به الإنسان احتفالاً مسرحيًا؛ لأننا نقتل بذلك الفن والخيال والنوع والإبداع والانتقاء والارتقاء.. وعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نتعقب هذه الظاهرة بصورة موجزة من خلال التطور التاريخي ـ النوعي لها:

فمّما لا شك فيه أن الفكاهة نشأت مع الإنسان منذ أن ولد، وما يهمنا هنا أن نتعرف ماهو شائع ومذكور في كتب التراث بدءًا من عصر النبوة من خلال بعض الإشارات السريعة.

إن هذه الظاهرة الاجتماعية لم تأخذ القدر الكافي من البحث والمدارسة، بقدر ما كان لها الحظ الوافر في الجمع في كتب متفرقة، وفي بعض الإشارات.

يقول هنري برغسون في كتابه الضحك: «إننا لا نضحك إلا من


الرصافي


أحمد فارس الشدياق

الإنسان، ومن أموره الإنسانية، فلا نضحك إلا مما هو إنساني»(2)، أي «إنه لا وجود للضحك في الطبيعة، فإنّ الأشجار لا تضحك، والحيوان لا يعرف الضحك وإنما يضحك البشر.. بل إن الأطفال يضحكون حتى قبل أن يكونوا قد تعلموا الكلام»(3).

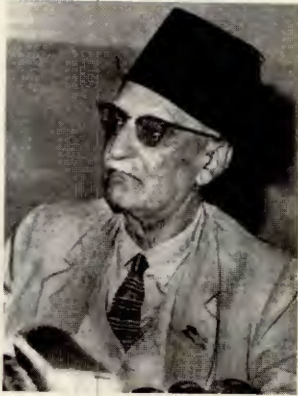
وبمعنى آخر: إن الفكاهة ظاهرة إنسانية، تبتدئ بالإنسان، وتتأصل فيه لتأخذ لنفسها وظائف سلوكية فيما بعد.

وكانت الفكاهة في عصر النبوة والصحابة لا تتعدى حدود التودّد والتحبّب بين المسلمين كما يرى د. عبدالكريم اليافي في كتابه «دراسات فنية في الأدب العربي»، ويضيف أنها كانت ترمي إلى الاستجمام والارتياح(4) من أجل استئناف العمل والقيام بأعباء الدعوة؛ مستأنسًا بقول رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: «روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإنّ القلوب إذا كلّت عميت»(5)، وببعض تصرفاته وأفعاله. فمن دعاباته: أن عجوزًا أنصارية جاءت إليه تقول: يارسول اللّه ادع لي بالمغفرة، فقال لها: «أما علمت أن الجنة لا يدخلها العجائز؟» فصرخت.. فتبسّم صلى الله عليه وسلم وقال لها: «لست يومئذ بعجوز»(6). وقول عليّ كرم اللّه وجهه: «أجمّوا هذه القلوب، والتمسوا لها طرف الحكمة، فإنها تملّ كما تملّ الأبدان.. والنفس مؤثرة للهوى»(7).

أما الفكاهة في العصر الأموي والعباسي، فأخذت لنفسها طابعًا رماديًا وأسود، بعد ما كانت عمومًا فكاهة بيضاء. ومن هنا رأى د. عبدالكريم اليافي أنّ تطور الفكاهة يكشف لنا تطور المجتمع(8)، أي تَعَقُّد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. القائم على التفاوت الاجتماعي، فكان الغني وكان الفقير، وكان الظالم وكان المظلوم، وتأصل في نفسيات كثيرين من ذوي النفس المرهفة الحس والموهبة، فانطلقوا إلى الفكاهة برماديتها واسودادها يروّحون عن أنفسهم وعن غيرهم، هذا إذا ما أخذنا وظيفة الأدب والفن في متلقيه.

الفكاهة ظاهرة إنسانية، تبتدئ بالإنسان، وتتأصل فيه لتأخذ لنفسها وظائف سلوكية فيما بعد. لذلك فنحن لا نضحك إلا من الإنسان، ومن أموره الإنسانية!

وهذه الفكاهة التعبيرية في العصر الأموي لم تتعدّ صورة المحاورة وردّ الجواب والخبر والمثل، ومن الشخصيات التي عُرف عنها روح الفكاهة والدعابة في هذا العصر: أشعب، وعقيل بن أبي طالب. ومن أخبار عقيل على سبيل المثال ما ورد في التراث: «أنّ عقيلاً دخل على معاوية، وقد كُفَّ بصره، فأجلسه معاوية على سريره، ثم قال له: أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم، فقال: وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم»(9). غير أن الشخصية الأكثر شهرة هي شخصية أشعب بن جبير، واسمه شعيب، وكنيته أبو العلاء(10)، وجاء في الأغاني ذِكْرٌ له «وكان أشعب مع ملاحته ونوادره يغني أصواتًا فيجيدها»(11)، ومن طرائفه «قيل له مرة: قد لقيتَ رجالاً من أصحاب النبي صلى اللّه عليه وسلم فلو حفظت أحاديث تتحدث بها، فقال: أنا أعلم الناس بالحديث قيل: فحدثنا، قال: حدثني عكرمة عن ابن عباس رضي اللّه عنه قال: خلتان لا تجتمعان في مؤمن إلا دخل الجنة، فقيل له: هات الخلتين، قال: نسي عكرمة إحداهما، ونسيت أنا الأخرى»(12).


العقاد

ومع مجيء الدولة العباسية وازدياد تعقد الحياة بجوانبها كافة، اتخذت الفكاهة إلى جانبها التعبيري المعبّر عن أثر هذا التعقيد في النفس جانبًا آخر لها وهو (الافتعالي) حيث كان القصد هو التكسب والتعيّش من ورائها.

وعلى رأس هؤلاء كان أبو دُلامة زند بن الجون (ت:161هـ)(13) الذي أدرك آخر زمن بني أمية، ونبغ في أيام بني العباس، فانقطع إلى المنصور والمهدي. كما كان من هؤلاء أبو صدقة مسكين بن صدقة(14) من أهل المدينة، وقد عاش في بلاط هارون الرشيد، ومن نوادره أنّه قيل له: «ما أكثر سؤالك وأشّد إلحاحك! فقال: وما يمنعني من ذلك واسمي مسكين، وكنيتي أبو صدقة، وامرأتي فاقة، وابني صدقة..»(15).

ولا ننسى في هذا العصر أبا نواس وبشار بن برد والجاحظ.. قال الجاحظ في مقدمة كتابه «الحيوان»(16): «وهذا كتاب موعظة وتعريف وتفقه وتنبيه.. وأراك قد عبْته قبل أن تقف على حدوده وتتفكر في فصوله، وتعتبر آخره بأوله، ومصادره بموارده، ومن غلطك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من فرح لم تعرف معناه.. ولم تدر أنّ المزاح جد إذا اجتُلب ليكون علة للجد». وللجاحظ كثير من النوادر والأخبار ذكرها في العديد من كتبه ورسائله كالتربيع والتدوير، والبيان والتبيين والبخلاء، الذي جمع فيه كثيراً من الحكايات، وقد حمّلها موقفه من ظواهر اجتماعية سادت في عصره كظاهرة البخل.

ومن الذين اهتموا بإبراز المظاهر الفكاهية بديع الزمان الهمذاني والحريري. جاء في المقامة «الساسانية»، إحدى مقامات الهمذاني، يصوّر فيها شؤم الزمان ونزوات الطّباع وحيَل أبطال هذه المقامات وبلاغتهم في الاحتيال من أجل الرزق والتكسب:

هذا الزمان مشوم
كما تراه غشوم
الحمق فيه مليح
والعقل عيب ولوم
والمال طيف ولكن
حول اللئام يحوم(17).

الفكاهة
في تراثنا الأدبي وفي مسرح الطفل 1


إبراهيم عبد القادر المازني

وللحريري أيضًا في مقامته «الساسانية» تصوير بارع يصوّر فيها جانبًا من بلاغة بعض الناس وظرفهم وفكاهتهم من أجل الرزق والتكسب، وهو ما يسمى بأدب الكُدية، وجاء في هذه المقامة(18) أن أبا زيد السروجي بطل هذه المقامات لما شاخ «أوصى ابنه بأن لا صناعة أنفع من الكدية» ويقول: «قال الحارث بن همام: فأُخبرت أن بني ساسان حين سمعوا هذه الوصايا الحسان فضّلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تُحفظ أم القرآن، حتى إنهم ليرونها إلى الآن أوْلَى مالقنوه الصبيان». ومن أعلام هذا العصر أبو العبر محمد بن أحمد الهاشمي (19) الذي دفعته المعيشة الصعبة إلى ترك الشعر الجيد الذي كان بمنزلة شعر أبي تمام والبحتري؛ ليقول الفكاهة في بلاط المتوكل للعيش.

إلى هنا نرى أن الفكاهة في تطورها مع الزمن، اتخذت لنفسها أوجهًا متعددة، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اتخذت الطابع الأبيض لها بقصد الدعابة والاستجمام، كما اتخذت لنفسها الطابع التعبيري في العصر الأموي، بينما في العصر العباسي، عصر التناقضات، اتخذت لنفسها الطابع الأسود ببعديه «التعبيري»؛ أي الفكاهة المنبعثة عن نفس أرّقها ظلم الحياة، و«الانفعالي» وهو استثمار الفكاهة ولو خرجت من ألم من أجل العيش والتكسب.

وحتى لا ننسى، نذكر شخصية ما تزال تعيش في ذاكرتنا، تموت وتتجدد، وهي شخصية «جحا»، وهو غير معروف النسب، غير أن الرواة ذكروا أنّ اسمه الأصلي دجين بن ثابت (20)، عاش في أواخر القرن الأول الهجري، وفي النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، أدرك الخليفة العباسي المنصور، وذكروا له بعض النوادر.

ولم ينل تلك الشهرة الكافية حتى جاء (جحا الترك) في القرن السابع الهجري الخوجة نصر الدين الرومي(21) فانضافت أخباره إلى أخبار «جحا» وذاع صيته.

وجحا شخصية عجيبة تعيش المتناقضات (ذكي وغبي، أحمق وحكيم، كريم وبخيل، عزب ومتزوج..) حقق له عبدالستار أحمد فراج مخطوطة بعنوان «أخبار جحا»، وكتب الأديب الناقد عباس محمود العقاد عنه «جحا الضاحك المضحك»، وغيرهما.

أما في عصر الدولة الأيوبية: فلم يكن الحال أحسن مما كان عليه إبّان الدولة العباسية، فظهر أبو المكارم أسعد بن مهذّب الملقب بالخطير(22) في عصر هذه الدولة، وكان بهاء الدين قراقوش من أركان الدولة الذين يعتمد عليهم السلطان صلاح الدين الأيوبي في ضبط الأمور ضبطًا محكمًا، ولما لم يرض كاتبنا عن قراقوش وتدبيره عمد إلى كيده، فكتب رسالة فيه حمّلها نكتًا غريبة تطعن في إدارته، وأراد أن يكون الكتاب شعبيًا يؤثر في الناس فكتبه بطريقة بسيطة، واسم كتابه «الفاشوش في حكم قراقوش» (انظر دراسة عنه للدكتور عبداللطيف حمزة بعنوان: حكم قراقوش)، ومن نوادره: «أتاه شيخ وصبي أمرد، كلٌ منهما يقول: يا مولاي داري! فقال عن ذلك قراقوش للصبي: معك كتاب يشهد لك؟ فالدار ما تكون إلا للشيخ الكبير، يا صبي! ادفع له الدار... وإذا صرت في عمر هذا الشيخ الكبير يدفع لك الدار»(23).

إلا أن الشخصية الأهم التي فتحت أبوابًا جديدة، نحو حركة مسرحية ريادية قابلة للتطوير هي شخصية محمد بن دانيال بن يوسف الموصلي(646- 710)(24) قال فيه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات: «هو ابن حجّاج عصره، وابن سُكّرة مصره، وضع كتاب طيف الخيال، فأبدع طريقه وأغرب فيه، فكان المطرب والمرقص على الحقيقة»(25).

تطور الفكاهة يكشف لنا تطور المجتمع؛ أي تعقُّد الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، القائم على التفاوت الاجتماعي بين الناس!

وعن طيف الخيال تطور القره قوز (كراكوز) فشاع في التراث الشعبي.. وكذلك «عجيب وغريب» و«صندوق الدنيا». غير أن محاولات ابن دانيال التعبيرية لم تكن أحسن حالاً من الظواهر السابقة، ففيها الغلو والخروج عن الذوق العام إلى بعض النكت والفكاهات الماجنة.. ولم يكن لها الحظ في أن تتطور، لتؤلّف فعلاً مسرحيًا متقدمًا رياديًا.

أما الفكاهة في العصر الحديث، خاصة مطلع القرن العشرين، فلم تأخذ الأفق المنشود لها، وظلت كسابقتها فكاهة الكبار تقوم على المحاورة العابرة، والأخبار النادرة التي لم تؤلف في نهاية المطاف سوى نكتة أو فكاهة.. وقد تأخذ أقصى بعد لها حين تكون في سياق قصيدة ما (لاحظ الرصافي، وحافظ إبراهيم) أو مقالة ساخرة، أو مسرحية ريادية وغالبًا ما تكون مترجمة أو مقلدة، إذ لم تكن غاية في ذاتها، ذات وظيفة فنية وتربوية، بقدر ما كانت تعبيراً انفعاليًا ساخنًا، كتعابير جبران الساخرة، ومفارقات إبراهيم المازني العميقة الخارجة من نفس أرّقها ظلم الحياة.

الفكاهة
في تراثنا الأدبي وفي مسرح الطفل 1

والأسماء أكثر من أن تعدّ وتحصى.. نذكر منها: أحمد فارس الشدياق، ومحمد المويلحي (في كتابه حديث عيسى بن هشام)، ومحاولات مارون النقاش المسرحية وخاصة في أعماله المترجمة (البخيل، وأبو الحسن المغفل، وهارون الرشيد، والحسود السليط..)، ومحاولات أحمد أبي خليل القباني التي اتخذت لذاتها طابع الريادة، كما نذكر أحمد شوقي خاصة في أدبيات الأطفال، إذ كتب مجموعة من أناشيد الأطفال ومجموعة من القصص الشعرية الطفلية التي تقص قصة حكمة أو مثلٍ بطريقة أوّلية تقوم على الوعظ والمباشرة في الطرح، متأثرًا بأدب «لافونتين» وقصصه الطفلية، ومارون عبود وغير ذلك.

إلى هنا نقول: إننا لم نلتفت إلى الطفل بوصفه إنسانًا ينزع نحو التمثيل والفن، وما حمله التراث في رحلته إلينا سوى محاولات وظواهر لم تكنْ في مجموعها فعلاً مسرحيًا طفليًا يتخذ من الفكاهة بنظافتها طرحًا مقبولاً.. وكان نتاجًا متناثرًا في الكتب للكبار، مفتقرًا في معظمه إلى المراجعة التربوية والتدقيق القيمي والتكوين الفني الأكثر نُضجًا.

واستمر الأمرُ على هذه الحالة إلى يومنا هذا؛ لغياب المؤسسة التربوية العربية أو الوطنية التي تُعنى بهذا الجانب باستمرار، باستثناء بعض المحاولات التي لم تؤلف لنفسها مسارًا منظمًا ينمو ويرقى مع مرور الزمن، ويمكن أن ندلّل على صحة ما ذهبنا إليه على سبيل المثال بذلك الاهتمام الكبير الذي اندفعت بموجبه وزارة الثقافة السورية، لإنتاج عروضٍ كثيرة من مسرحيات العرائس، في عام 1959م وما بعده، فأنعشت هذا الضرب من فنون المسرح المحبب لنفوس الأطفال، فكان «يعمل فيه نحو 14 ممثلاً وممثلة، يقدمون 249 عرضًا سنويًا، ويخاطب الأطفال في أكثر من مرحلة عمرية، وليس للمسرح صالة خاصة به أو أماكن للتدريب»(26)، ثمّ توقفت عن متابعة هذا التوجه تاركة هذا الحيِّز الثقافي فارغًا، إذ نجدها في السنوات الأخيرة منصرفة عن هذا التوجه وغيره مما يخص الطفل لأسباب كثيرة لا داعي لذكرها.

ولا ننسى أننا في العقدين الأخيرين، وخاصة العقد الأخير، تعرضنا لبعض الأعمال المسرحية المبتذلة التجارية التي لاقت نوافذ دعائية عبر التلفاز وبعض الجرائد، كمسرحية «عمو زياد»؛ وقد علّق أحد المحترقين بنار الابتذال في إحدى الصحف متسائلاً: «هل مسرحية عمو زياد مسرحية تربوية؟ لماذا نغرق عالم الطفل بالبهلوانية؟»(27).

لا نطيل الحديث، في هذا القسم الاستعراضي الذي أخذ لنفسه طابع العرض والوصف، لوضع الظاهرة في سياقها التاريخي والنوعي شرط أن نعي: أننا حين سردنا الظاهرة لم نكن نغفل أننا نتحدث عن ظاهرة فكاهية بعموميتها دون خصوصية طفلية، لأسباب لا داعي لذكرها، هذا أمر، أما الأمر الثاني: فإن ما قصدناه بالتراث وضمانًا لحضوره هو كل ما رُوي ودري منذ السابق (بدأنا بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم) إلى يومنا هذا، إذ كل ما يخرج عنا من أفعال فنية وجمالية وحضارية وغير ذلك هو من صميم التراث، أي إن المستقبل - لا محال - هو جزء من التراث، وهنا تكمن مسؤوليتنا تجاه الأجيال القادمة. أمّا الأمر الثالث، فهو أننا عندما نتحدث عن هذه الظاهرة أو غيرها، فإننا نتحدث من خلال التداخل القائم بين الظواهر: الظواهر القصصية والمقالية والمسرحية.. وهكذا، مع الاحتراز ألا نُحَمِّل الأمر أكثر مما يحتمل، ونشير إلى أن في تراثنا الشعري ظواهر فكاهية خاصة في فنّ الهجاء الذي نشأ في عصر ما قبل الإسلام، وتطوّر حتى بلغ ذروته التهكمية في شعر شعراء النقائض، وذروته في المفارقات الساخرة في شعر ابن الرومي وصولاً إلى شعر إبراهيم طوقان وغيره في عصرنا الحديث وشعر شعراء الحداثة، وأن في تراثنا القصصي ظواهر فكاهيةً خاصّةً في حكايا الشطّار والعيّارين والمغفلين وأبطال المقامات وبخلاء الجاحظ وغيرها.

الهوامش:

1- د. زكريا إبراهيم، «سيكولوجية الفكاهة والضحك»، القاهرة: مكتبة مصر، ص121: لاحظ «برت» في كتابه «سيكولوجية الضحك» ضروبًا من الضحك.. فانفعال الغضب والخصام يولد الفكاهات العدوانية، والنوادر التهكمية والدعابات الساخرة، والميول الجنسية تعمل على ظهور النكات الماجنة المقترنة بالتعابير الفاضحة.

2- هنري برغسون، «الضحك»، ترجمة سامي الدروبي وعبدالله عبدالدايم، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1983م، انظر ص16 ومابعدها.

3- د. زكريا إبراهيم، مرجع سابق، ص7.

4- د. عبدالكريم اليافي، «دراسات فنية في الأدب العربي»، طبعة جديدة، دمشق: 1391هـ - 1972م، ص540 وما بعدها.

5- العلامة محمد الحسيني الزبيدي، «إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين»، بيروت: دار الفكر، 308/5 «حديث حسن».

6- المصدر نفسه، 499/7 «حديث حسن».

7- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، «العقد الفريد»، شرح وضبط أحمد أمين وإبراهيم الأبياري وعبدالسلام هارون، بيروت: دار الكتاب العربي، 1403هـ/ 1983م، ج6، كتاب اللؤلؤة الثانية «الفكاهات والملح»، ص389.

8- انظر اليافي: مرجع سابق، ص535.

9- ابن عبد ربه، «العقد الفريد» ج4، كتاب المجنبة في الأجوبة، ص5.

10- أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين بن محمد القرشي (284-356)، «الأغاني» إشراف وتحقيق إبراهيم الأبياري، بيروت: دار الشعب، 1389هـ - 1969م، 7392/21. ابن عبد ربه، «العقد الفريد»، 431/6 «نوادر أشعب»، خير الدين الزركلي. «الأعلام»، ط5، بيروت: دار العلم للملايين، 1980م.

11- الأصفهاني، «الأغاني»، 7398/21.

12- شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري (677-732)، «نهاية الأرب»، مصر: طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ج4، الباب الثالث في المجون والنوادر والفكاهات والملح، ص26.

13- الأصفهاني، «الأغاني»، 3699/10.
- النويري، «نهاية الأرب»، 37/4.
- ابن عبد ربه، «العقد الفريد»، 128/2، 447، 143/1، 264.

14- الأصفهاني، «الأغاني» 7607/22، 7594.

15- النويري، «نهاية الأرب»، 48/4.

16- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، «الحيوان»، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، طبعة ثالثة، بيروت: دار الكتاب العربي، 1388هـ/ 1969م، 3/1.

17- بديع الزمان الهمذاني، «شرح المقامات»، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط2: ص109، ص110.

18- الحريري، «المقامات»، بيروت: دار صادر 1400هـ/ 1980م، ص141.

19- الأصفهاني، «الأغاني»، 9361/27-9370.

20- اليافي، مرجع سابق، ص.667 الزركلي، «الأعلام». «مجلة العربي»، الكويت، عدد41، ص66.

21- اليافي، مرجع سابق، ص669.

22- الزركلي، «الأعلام»: أسعد بن مهذب الملقب بالخطير بن مينا بن زكريا بن مماتي (544-606هـ).

23- اليافي، مرجع سابق، ص642.

24- الزركلي، «الأعلام».

25- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، «الوافي بالوفيات»، ط2، دار النشر فرانز شتاينر بفيسباذن 1394هـ/ 1974م، 51/3.

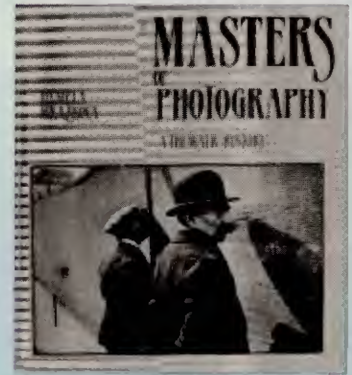
26- عبدالله أبو هيف، «أدب الأطفال»، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1983م، ص290.

27- صبحي كردي، جريدة «تشرين» عدد 1793- الثلاثاء 1981/3/10م، ص7: يشير صبحي كردي في معرض موقفه من هذا الاتجار في مسرح الطفل بطريقة رخيصة إلى افتقار مسرحية «زياد مولوي» إلى الموضوع الجيد والهدفية والبناء القويم واللغة الفصيحة... نسرد بعضًا مما كتب: «وماذا نقول عن بعض الأغاني التي يرددها مولوي «ركّبني وأنا نزلتو» على لحن «حلحني وأنا حلحته».. وقوله «دخّلْ طنجرتك».

أساتذة التصوير الضوئي

1

التاريخ صفة لصيقة بالأشياء القائمة في هذا العالم، ولا شيء موجود ولا تاريخ له. وهذا الحكم يجعل من البدهي، عند دراسة أي شيء، تقديم اللمحة التاريخية الوافية عنه للوقوف على ظروف اختراعه أو اكتشافه، وتعرّف الأشخاص الذين لهم الفضل في ذلك، والذين ربما ضحّوا، من أجل تطويره أو إغناء المعلومات المحيطة به، بأموالهم وأوقاتهم وربما بحياتهم.



تأليف:
دانييلا مرازكوفا
عرض وتقديم:
إليان شكور

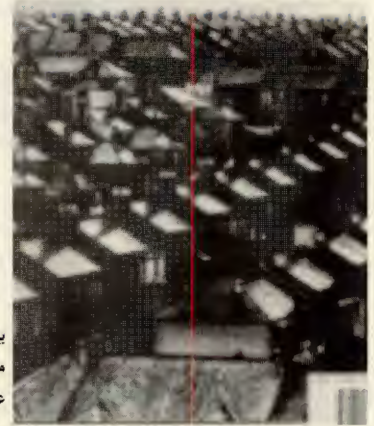
والتصوير الضوئي Photography، واحد من الأشياء التي تجمع بين الاختراع والاكتشاف. فبين ابتكار آلة التصوير (الكاميرا)، واكتشاف حساسية أملاح الفضة للضوء، يقع تاريخ حافل بالنجاح أحيانًا، وبالإخفاق أحيانًا أخرى، من أجل الارتقاء بالصورة حتى تصبح مطابقة للواقع بتفاصيله الدقيقة كلها. ومن شأن النجاح في ذلك أن يجعل ذاكرة العالم أكثر ثراءً بالشواهد الحيّة للأحداث والرؤى التي ربما لا تتكرر، ويخلّدها في مخيلات البشر على مر العصور والأزمنة. وكما أن لكل شيء تاريخه، فإن لكل تاريخ أساتذته المبدعين الذين أسعفهم الحظ، لأن ينعموا بأمجاد اكتشافاتهم وابتكاراتهم. ومنهم من خانه الحظ فبقي مجهولاً، ولم ينل من هذه الأمجاد إلا النزر اليسير.

وكتاب أساتذة التصوير الضوئي Masters of Photography الذي نتعرض له هنا، يبحث في تاريخ تطور هذا الفنّ الراقي منذ بدايته، إلى أن أصبح واحدًا من الفنون التي كادت تكون بديلاً كاملاً لفن التصوير بالرسم، ويعرض لسِيَر روّاده الكبار، مع تقديم نماذج من أهم إبداعاتهم في فن التصوير. وهو من تأليف الكاتبة الصحفية التشيكية دانييلا مرازكوفا Daniela Mrazkova التي ولدت في براغ عام 1942م، ودرست الفلسفة مؤثرةً التعمق بدراسة «علم الجمال» في جامعة شارل في براغ، كما درست اللغة الروسية، وأكملت دراستها العليا في جامعة بالاكي في أولوموك، فتخرجت فيها عام 1970م. وبين عامي 1966 و1971م عملت مساعدة لرئيس تحرير «مجلة التصوير الضوئي» وهي مجلة فصلية كانت تصدر كل ثلاثة أشهر في تشيكوسلوفاكيا وروسيا، حتى غدت رئيسة لتحريرها. وفي عام 1978م تخلّت عن عملها وفضلت أن تصبح كاتبة متفرّغة ومذيعة في التلفاز التشيكي. ومنذ عام 1963م صبّت دانييلا اهتمامها كله على فن التصوير الضوئي، فنظّمت فيه المعارض، وألّفت حوله الكتب التي ذاع صيتها عالميًا، كما شاركت زوجها الروسي فلاديمير ريميس في تأليف كتاب «الحرب الروسية» الذي نشر في بريطانيا عام 1978م. وبلغت الصور الفوتوغرافية الحيّة التي أودعاها كتابهما من الشهرة حدًا جعل المنتديات العالمية المهتمة بهذا الفن تقيم لها المعارض الخاصة بها، حيث استأثرت هذه الصور بمعرض خاص بها نظم في المركز العالمي للتصوير في نيويورك، وآخر

أساتذة التصوير الضوئي 1



جوزيف نيبس: منظر من النافذة في مدينة غراس (أول صورة في العالم عام 1827م، ومدة تسليط الأشعة كانت 8 ساعات)



بيل براندت: مدينة شيفيلد عام 1937



أنسيل آدامز: أغصان بيضاء، بحيرة مونو، كاليفورنيا 1950م



أنسيل آدامز: قمر في وادي يوزمايت 1960م

في معرض المصوّرين في لندن، ثم أصبح معرضاً متجولاً، جاب بريطانيا كلّها. ودانييلا عضوة في العديد من لجان التحكيم المختصة بتقويم النتاجات العالمية في هذا الفن. كما أنها كاتبة في عدة مجلات.

أجزاء الكتاب

أساتذة التصوير الضوئي، كتاب يقع في 260 صفحة بقياس 23سم × 27سم. ويمكن تقسيمه لتسهيل عرضه إلى:

1- مقدمة.

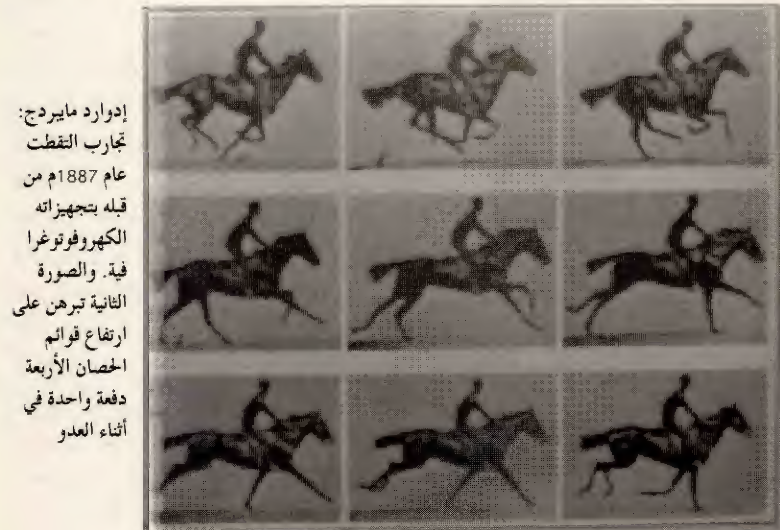
2- مدخل إلى تاريخ التصوير الضوئي.

3- أقسام التصوير الضوئي وعددها 11 قسماً تضم سير حياة زهاء 100 مصور ومصورة وأعمالهم.

حول المقدمة تقول الكاتبة: إن هذا الكتاب ليس موسوعة وليس اختصاراً لتاريخ هذا الفن، بل هو تقويم شخصي لأكثر من 100 مصور ومصورة استثنائيين عملوا على تطوير التصوير الضوئي بوصفه وسطًا تعليميًا وفنيًا منذ اختراعه حتى اليوم.

أما في المدخل إلى تاريخ التصوير الضوئي فتبدأ الكاتبة من قول الرسام الفرنسي هيبولايت


جوزيف نييس: طاولة مرتبة 1929م


إدوارد مايبردج: تجارب التقطت عام 1887م من قبله بتجهيزاته الكهروفوتوغرافية. والصورة الثانية تبرهن على ارتفاع قوائم الحصان الأربعة دفعة واحدة في أثناء العدو


دوروثيا لانغ: رجل في سان فرانسيسكو 1933م

ديلاروش: «من اليوم مات الرسم» عندما رأى صورة ضوئية لأول مرة. أما جول فاليه فقد قال: «لقد انتهت أوقات الفلسفة وبدأ عهد التصوير». وفي الحقيقة لم يكن أي منهما مصيبًا، فمنذ ذلك الحين لم يمت الرسم، كما خشي فنانو مرحلة 1850م وإنما تغير موقعه وتأثيره. ومنذ البداية، فرض التصوير الضوئي نفسه بحيوية وقوّة كبيرين؛ إذ أصبحت المناظر الطبيعية حية وتمثل الحياة اليومية. والتصوير الضوئي، ابن العصر الحديث، هو أكثر الوسائل المصورة استخدامًا في عصرنا، إنه وثيقة تعبير، رسالة واعتراف. ويعود الفضل للتصوير في أننا نملك العالم أمام أعيننا في لحظات تعبير خاصة، وأيضًا في صور الأحداث المفرحة والمحزنة التي تحدث كل دقيقة وفي كل زاوية من الكرة الأرضية، وكل هذا نستطيع أن نراه بأعيننا. التصوير الضوئي أصبح الصورة العصرية، لغة معاصرة أكثر إقناعًا وأكثر اتصالاً من الكلام. وقصد هذا الكتاب أن يروي قصة التصوير الضوئي، ومع ذلك فلن تكون قصة تقليدية عن التصوير، لأنه سيبسطها من خلال قصص حية لهؤلاء الذين أسهموا بشكل فعال في تطوير التصوير الضوئي بوصفه فنًا.

وإذا انتقلنا إلى أقسام التصوير الضوئي نجدها كما يلي:

ولادة التصوير الضوئي، التصوير الضوئي يبحث عن دور، التصوير الضوئي نمط فني، التصوير الضوئي شاهد، التصوير الضوئي يبحث عن رؤية جديدة، التصوير الضوئي يلتقط اللحظة، التصوير الضوئي دعاية، التصوير الضوئي الإنشائي، التصوير الضوئي نمط حياة، التصوير الضوئي لغة حديثة، التصوير الضوئي رؤى جديدة.

ومن خلال عناوين هذه الأقسام نجد أن تعدد العناوين المطروحة في هذا الكتاب هو تعدد موضوعات الحياة نفسها؛ فمن الحزن إلى الفرح، ومن البؤس إلى الرفاهية، ومن فواجع الحروب البشرية ومآسيها إلى الطبيعة وإلى جمال الجسم البشري، ومن الإعلان إلى وجوه الأطفال البريئة. مسافات كبيرة تعمل على جمعها رغبة الإنسان الدائمة التائقة للوصول إلى الحقيقة التي هي أيضًا الحياة نفسها. كما أن دخول المرأة في هذا الكتاب من خلال ظهور إمكاناتها كإمكانات الرجل يجعل الحياة برمتها أقرب إلى ما يجب أن تكون عليه من عدالة اجتماعية مازالت مفقودة في الكثير من بقاع العالم. إن تقديم هذا الكتاب وعرضه لا يسمحان بتعرّف المصورين الذين حدثتنا عنهم المؤلفة كافة، لذلك تم اختيار مجموعة منهم دون حساب لهذا الاختيار سوى دورهم في تأسيس علم التصوير الضوئي وفنه أو أهمية الموضوعات التي عالجوها:

1- جوزيف نييبس Joseph 1765-1833 Niepce:

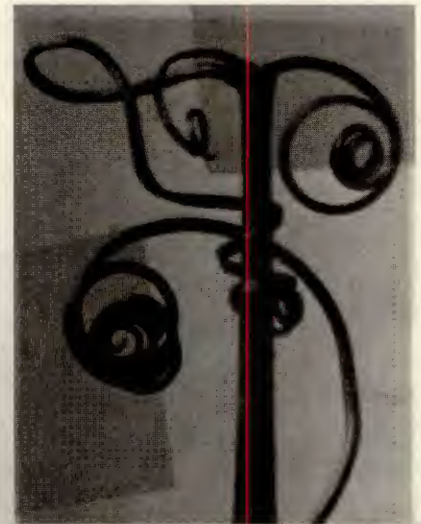
كان جنديًا فرنسيًا محترفًا، وعندما مرض بحمى التيفوئيد استقال وترك الجيش. كان لديه حلم. لقد سحرته الطباعة على الحجر. وفي أثناء عمله التجريبي اكتشف نييبس أن الأسفلت المعرض للضوء أصبح قاسيًا، ولا يمكن إزالته بالزيت. عندما أصبح نييبس في الثلاثين من عمره استقر في نيس يكتب الشعر ويخترع الأشياء العملية وغير العملية عائدًا إلى فكرته الأساسية وهي التقاط صور الحقيقة بشكل دائم. في عام 1802م نشر عمله الأول عن الموضوع، وبعد عشر سنوات أعاد التجربة، ولكنها

أساتذة التصوير الضوئي 1

استغرقت عقداً آخر قبل أن يحصل على أول صورة دائمة. وباستعمال رقاقة زجاجية زيدت حساسيتها بغطاء من الأسفلت المتوافر، أنتج نيبس أول نسخة من كليشيه تمثل البابا بيس Pop Puis VII، ولسوء الحظ كُسرت الرقاقة وضاعت في أثناء حياة نيبس. وفي عام 1826م تكللت جهوده بالنجاح: صورة اللحظة الأولى من الطبيعة مثبتة على صفيحة من البيوتر، الصورة قياسها نحو 20 × 16سم وتُظهر مشهداً من نافذة نيبس في غراس في فرنسا، ثم صنع نيبس صورة أخرى تمثل منضدة مرتبة. وفي عام 1833 عندما كان المخترع يموت لم يكن لديه أية فكرة كم كان اختراعه ثورياً.

2. **إدوارد مايبردج** Ead-1904-1830 weard Muhbrudge:

راهن حاكم كاليفورنيا شخصاً يدعى ماك كريليش McCrelish على أن الحصان في أثناء عدوه السريع يرفع حوافره الأربعة معاً عن الأرض، وبلغت قيمة الرهان 25000 دولار، فقام مايبردج باستعمال زمن قدره 12/1 من الثانية، ولكن التجربة لم تكن ناجحة، وبعد تطوير غالق الكاميرا استطاع الحصول على دليل مصور واضح وربح حاكم كاليفورنيا الرهان، وعرض على مايبردج دعماً مادياً غير محدود ليتابع دراسته عن التصوير. وفي عام 1872 أنفق مايبردج أكثر من 40000 دولار على جهاز يستطيع أن يلتقط حركة الحصان أوتوماتيكياً. وفيما بعد تسلم دعوة من جامعة بنسلفانيا. في عام 1877م بدأ استعمال كاميرات Stereascopic وصمم جهاز Zoopraxescope الخاص به، ذلك الجهاز الذي سمح بإدخال حالات أو أطوار الصور التي تشبه ما سيصبح فيما بعد الصورة السينمائية. ثم صمم بندقية تصوير خاصة، وباستعمال فيلم كوداك Kodak الدائري، كان قادراً على أن يقدم للأكاديمية الفرنسية للعلوم في تشرين الأول/ أكتوبر 1888م أول تسجيل متواصل للحركة. ثم صنع أول كاميرا سينمائية عملية وأصبح أحد مؤسسي التصوير السينمائي.


كارل بلوشفلت: نبات من العائلة القرعية مكبر 15 مرة

3. **أنسيل آدامز** Ansel 1984-1902 Adames:

دعي أنسيل آدامز شاعر الغرب الأمريكي. كان في الرابعة عشرة من عمره عندما زار وادي يوزميت وقضى فيه معظم حياته مبتهجاً بالجمال الذي يحبس الأنفاس؛ كان ذلك في عام 1916م. كان يقطع دراسته ليقوم برحلات إلى سييرانيفادا للتصوير وتسلق الجبال. وفي عام 1930م قرر جعل التصوير الضوئي مهنته. وبعد 6 سنوات حصل على شعبية واسعة عندما نظم ألفرد ستيفتز Alfred Stiephitz أول معرض مستقل لآدامز. أراد آدامز أن يكون عازف بيانو، ولكنه ـ بدلاً من ذلك ـ أصبح شاعر الصور المرئية. كان ينفق الساعات الطوال منتظراً بصبر الضوء المناسب في أثناء شروق الشمس وغروبها؛ إذ إن فهمه الحساس للنوعية الخاصة للضوء الذي يسقط على مكان معين، وفي لحظة معينة، هو الذي سمح له بالقيام بتقنيته الأسطورية بشكل كامل. وقد ترك آدامز بصماته الشخصية على التصوير ليس بصوره فقط، ولكن بمنشوراته وأعماله التأسيسية أيضاً، فهو مؤسس مشارك في المجموعات التصويرية في متحف الفن الحديث في مؤسسة سان فرانسيسكو الفنية.

4. **دوروثيا لانج** Dorothea 1965-1895 Lang:

كانت صاحبة قلب دافئ ممتلئ بالتعاطف مع الناس. بعد التخرج في الجامعة افتتحت معمل (استوديو) تصوير، ولكنها قررت ترك الشهرة والمال وذهبت للبحث عن أمكنة حيث يمكن أن تجد الحياة. سنة 1932م، كانت السنة الأكثر كآبة، وكانت الصورة الأولى التي شهرتها مختلفة تماماً عن أي شيء قامت به من قبل: شيخ يتكئ بتثاقل على عارضة خشبية، ظهره إلى الناس، قبعته المجعدة منخفضة على جبهته، شفتاه مطبقتان بشدة ويحمل كأساً معدنياً بين يديه المضمومتين. صور دوروثيا كانت مختلفة تماماً عن صور الاستديو؛ إذ ركزت على وجوه الناس وبدأت تصوير الحالات الإنسانية. بعدها طلب بول تايلور أستاذ الاقتصاد من دوروثيا أن تعمل معه في إعداد تقرير عن عمل الحقول الموسمية. كان فريقهما أول فريق بحث يتكون من عالم اجتماع ومصورة. ولقد أدى تقرير تايلور ـ لانج عن اليأس والجوع إلى تشييد الخيام وتأمين الطعام من أجل 2500 جائع وبائس ومريض، نساء وأطفال أنقذوا بعد أسابيع من المعاناة والفضل يعود إلى مصورة. وأصبحت دوروثيا لانج مشهورة، بل ربما الأكثر شهرة بين العاملات مع الكاميرا؛ لأنها أعطت عدستها إنسانيةً وعواطف ليس لها مثيل، فقد حاولت أن تساعد في التخفيف من قسوة العالم.

5. **كارل بلوشفلت** Karl 1932-1865 Bloshfelt:

في عام 1928م طُبع في برلين كتاب بعنوان Urformendrer Kunst يضم 120 صورة لأوراق وبراعم وأجزاء من النبات. الكاتب لم يكن مصوراً محترفاً، ولكنه نحات، أستاذ في كلية الفنون في برلين واسمه كارل بلوشفلت. كان هدفه إظهار جمال مملكة النبات مصدراً للتعبير الفني، ومن دون قصد، عثر على وسيلة تصوير خالصة للتعبير، وصوره الوثائقية فتحت طرقاً جديدة أمام التصوير. ولقد كتب المؤرخ الفني المعروف والْد بنجامين في مقالة عن كتاب بلوشفلت: «حتى أكثر المشاهدين فقراً للشعور سوف يضطر لمشاهدة أن تكبير أجزاء من النباتات الظاهرة للعين يمكن أن تكون غريبة». ناقد آخر هو بول ناش عرض رأيه قائلاً: «هنا، حيث عين الكاميرا تظهر قوتها، ولكن ليس بوصفها خبيرة في علم النبات أو مجرد مكتشفة وفضولية للمقارنة «الممتعة» بين الفن والطبيعة، وإنما تكمن أهميتها في تأكيد غنى الموضوع الذي تضعه تحت تصرف النحات أو الرسام»، وهذا يعني أن صور بلوشفلت الوثائقية أمّنت معنى روائياً وغير متوقع، وقُبلت كعمل فني. في الأساس، لم يشعر بلوشفلت بضرورة أن يكون فناناً، فقد تعلم تجارة الموديلات في مكان مشهور بالأعمال الفنية المعدنية. رافق أستاذه البروفيسور ميرو عام 1891م في رحلة دراسية إلى إيطاليا واليونان وأفريقيا الشمالية ليساعده في رسم النبات، واستغرقت الرحلة 4 سنوات بدأ فيها بلوشفلت بالاعتماد على التصوير بدلاً من الرسم لتوثيق النباتات. في عام 1893م عُيّن أستاذاً بالأكاديمية الفنية في برلين، حيث تابع عمله بشغف في إعداد النبات وتصويره، حتى مات عام 1932م. ولقد عدّ الطبيعة أفضل معلم للفن والتقنية الفنية فكتب يقول: «من المستحيل فهم الطبيعة والفن على أنهما منفصلان».

دائرة المعارف

الأسلحة في التراث العربي

إعداد:
محمد عبدالقادر الفقي



الإصليت:

السيف الصقيل الماضي، ويجوز أن يكون بمعنى المُصْلَت أي: المجرد من الغمد.



البارود:

خليط من المفرقعات يتكون من الملح الصخري (نترات الصوديوم أو البوتاسيوم) Saltpeter بنسبة 75٪، والكبريت بنسبة 10٪، والفحم النباتي بنسبة (15٪. ويعتقد أنه عرف في آسيا - وبخاصة في الصين - في القرن التاسع الميلادي، حيث استخدم هناك في عمل الألعاب النارية. ولدينا نص صريح يثبت أن المسلمين استعملوه واستخدموا مركباته للقتال وذلك نحو 1249م. والنص في كتاب «التعريف بالمصطلح الشريف» لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى الشهير بابن فضل الله العمري (ت:749هـ)، حيث توجد إشارات إلى «عقارب البارود المصرورة، التي امتدت كأنها سحاب، وهدرت كأنها رعود، واضطرمت كأنها حريق، وجعلت الكل رمادًا».

وجاء في كتاب «تاريخ التمدن الإسلامي» لجورجي زيدان أن «كونديه» ذكر أن أهل مراكش استخدموا الأسلحة النارية في محاربتهم سرقوسة سنة 1118م. وتشير تواريخ العرب إلى استخدام تلك الأسلحة في القرن الثالث عشر للميلاد في حرب المسلمين بالمغرب، ونرى ذلك صريحًا في كلام ابن خلدون (ت:808هـ) عن قدوم أبي يوسف سلطان مراكش لفتح سجلماسة سنة 762هـ/1360م.

وتشير دائرة معارف كولومبيا Co-lumbia Encyclopedia إلى أن البارود قد أُدخل في أوربا في القرن الرابع عشر الميلادي، حيث أحدث استخدامه ثورة في الأعمال العسكرية. وقد ظل البارود المادة المفرقعة المستخدمة وحدها على نطاق واسع حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حينما أزاحته عن هذه المكانة المفرقعات التي تم تصنيعها من مادة النيتروجليسرين Nitro-glycerin.

البندق:

كرات صغيرة تعمل من طينٍ أو رصاصٍ أو غيرهما، ويرمى بها الطير ونحوه بآلات خاصة تسمى البندقيات. وقد ورد ذكر هذا السلاح في كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، حيث قال المسعودي (ت:346هـ): «خمسين بندقة رصاص». وفي كتاب «السلوك» للمقريزي (ت:845هـ)، يقابلنا «رماة البندق» و«قسيّ النشاب» و«قسيّ البندق». ونجد في بعض الأحيان ذكر كلمة بندقية في صيغة الجمع. والكلام على البندق وأصله وحكم الصيد به مفصل في كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» لشهاب الدين أحمد الخفاجي (ت:1069هـ).



الترس:

صفحة من الفولاذ مستديرة تُحمل في اليد يتلقى بها ضربة السيف ونحوه. وكان الترس من أسلحة الدفاع عند العرب، وله أسماء شتى عندهم مثل: الدَّرَقة والمِجَنّ والجَوْب والمِجْوَب، وكان يصنع من الخشب المغطى بجلود الإبل الجيدة.

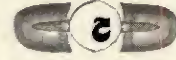
ولوحظ أن الترس العربي بسيط التكوين مستدير الشكل، وقد افتنّ المسلمون في صناعته، وتميزت أتراس كل بلد بشكل خاص، ومنها: الترس الدمشقي، والغرناطي، والعراقي، وغيرها. ويقال للترس المصنوع من الجلود بلا خشب: حَجَفَة، وجمعها حَجَف.



الجَعْبة:

حافظة صنعها العرب من الجلد من دون

خشب، حيث تستخدم لوضع سهام القِسِيّ والنبال فيها. ويطلق عليها اسم آخر هو: الكنانة.



الحربة:

هي الرمح القصير الذي يرمى باليد. وقد عم استعمالها في آسيا وأفريقيا وأوربا حتى القرن الرابع عشر الميلادي.

الحرّاقة:

مركب حربي كان يستعمل في حمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية، وبها مدافع خاصة تقذف النيران. وفي كتاب «المواعظ والاعتبار» للمقريزي ما يفهم أنها كانت تستخدم في النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة في التنقلات النهرية والحفلات الرسمية. كذلك عرفت في نهر دجلة. والمدمّرة المستخدمة في الأساطيل العسكرية اليوم هي البديل المعاصر للحراقة.



الخنجر:

السكين الكبيرة أو المدية. استعمل في معظم البلدان الإسلامية وفي البلقان وتركيا، وهو يصنع من الصلب وله مقبض يصنع في الغالب من العاج.

الخوذة:

غطاء للرأس، عرفه العرب باسم البَيْضة والتَّرْك والتَّرْكة والمغفر. والحَيك: طرائق الحديد في البيض للرأس. وقد تحدث عنها الشعراء الجاهليون، مثل قول الأعشى (ت:7هـ):

سوابغهم بيض خفاف وفوقهم

من البَيْضِ أمثال النجوم استقلّتِ

والخوذة لفظ فارسي معرب. والقونس: مقدم الخوذة أو أعلاها. قال عبيد بن الأبرص (ت: نحو:25ق. هـ):

شمٌّ كأن سنا القوانس فوقهم

نار على شرف اليَفَاع تلهب

وأفضل الخُوذ ما كان مصنوعًا من أجود الحديد، بحيث تتكسّر عنها الحجارة وتتفتت لو ضربت بها. وهي تلبس لوقاية الرأس. وكانت تُحَلَّى بخطوط مختلفة تسمى: الطرائق.



الدَّبابة:

آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال، فيدبون إلى الأسوار لينقبوها، وهي شبه برج متحرك، له أحيانًا أربعة أدوار، أولها من الخشب، وثانيها من الرصاص، وثالثها من الحديد، ورابعها من النحاس الأصفر. وقد عرف الفرس استخدام الدبابات، وأخذها عنهم العرب.

وفي السيرة الجليلة أن المسلمين لما فتحوا حصن الصعب في خيبر سنة 7هـ وجدوا فيه منجنيقات ودبابات.

وكانت الدبابات تسبق المشاة حتى تقترب إلى مسافات قصيرة من مواقع العدو أو حصونه، وهناك تؤثر تأثيرها المطلوب، حيث تقذف الحجارة أو كرات النار المشتعلة أو النبال. وأتقن صناعة الدبابات الأمويون، ثم العباسيون. وكان القادة يخصصون عددًا من الجنود للسير مع الدبابة لتسوية طريقها وإزالة الموانع التي يضعها العدو في طريق المحاربين بها.

الدبوس:

آلة حربية من حديد، عرفها القاموس المحيط بقوله: «الدبوس هراوة مُدَمْلَكة الرأس، في طرفها كتلة صغيرة». وجاء ذكر الدبوس في أكثر كتب التاريخ الإسلامي: لأبي شامة (ت: 665هـ، والمقريزي والقلقشندي (ت:821هـ). وكان يستعمل في تهشيم الخوذة المعدنية. ويحمله الفرسان في السروج تحت أرجلهم. وكان يعرف أولاً بالعمد، ثم شاعت كلمة الدبوس.

الدرع:

ثوب ينسج من زرد الحديد يلبس في الحرب، وله أكمام قصيرة تصل إلى منتصف الذراع. وجرى لبس الدرع على ثوب من النسيج المبطن أشبه بوسادة تحت حلقات المعدن أو صفائحه الرقيقة. وقد وردت إشارات في القرآن الكريم إلى أن الله عز وجل علّم داود عليه السلام صناعة الدروع. قال تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ صَنعَةَ لَبُوسٍ لكم لِتُحصِنَكُمْ مِن بَأسِكُم. الأنبياء:80. وقد تحدث الشعراء الجاهليون عن جودة مادة الدروع، وأنها صنعت من صافي الحديد. قال بشامة بن الغدير:

ومن نَسْج داودَ مَوْضونَة

تَرى للقواضِب فيها صَلِيلا

والموضونة: الدرع المضاعفة النّسج.

كما ردد الشعراء ذكر الدروع المضاعفة النسج، التي نسجت حلقتين حلقتين، والسهلة اللينة، والواسعة والسابغة التي تفيض على الأنامل، والخفيفة، والملساء، والجديدة التي تكون في بادئ الأمر خشنة، والصَّموت التي لا يسمع لها صوت.

ومن شعر الجاهليين نرى أنهم كانوا يحافظون على صفاء الدروع وعدم صدئها باستعمال دقاق التراب المخلوط بدرديّ الزيت والبعر الغض. قال الأعشى:

ملبسات مثل الرماد من الكرّ

ة من خشية الندى والطلال

وقال النابغة الذبياني (ت: نحو 18ق.هـ):

عُلِينَ بكِدْيَوْنَ وأُبطِنَّ كُرَّةً

فهنّ وِضَاء صافياتُ الغَلائلِ

والكديون: دقاق التراب عليه دردي الزيت تجلى به الدروع، والكرة شيء يشبهه، والغلائل: مسامير الدروع التي تجعل بين رأسي الحلقة، أو هي البطائن التي تلبس تحت الدروع.

وكانوا يضعون الدروع في صناديق محافظة عليها، فإذا ما أزمعوا القيام بغارة أو حرب وضعوها في حقائب، ثم حملتها الإبل ضمن المتاع والذخيرة.

وقد وصلت صناعة الدروع إلى أوجها

عند المسلمين في زمن الحروب الصليبية، ونقلت صناعة الدروع الأنيقة إلى أوربا على أيدي الصليبيين.

وتؤلف الدرع الكاملة من: الجَوْشَن، وهو الجزء الذي يقي الصدر، والبيضة، والمغفر لوقاية الرأس، ثم أجزاء أخرى تقي الساعدين والساقين والكفين.



ذو الفَقَار:

أحد أسياف النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قيل إنه غنمه في موقعة بدر بعد أن كان ملكًا لمنبّه بن الحجاج (قتل في بدر:2هـ).



الرمح:

من أدوات الحرب القديمة. وهو يتكون من ثلاثة أجزاء: الزُّج: حديدة تكون في أسفل الرمح وجمعه زجاج، والقناة: وهي قائم يصنع من نبات الوشيج والمُرّان والقصب الهندي، والسنان: وهو النصل، ويصنع من الحديد، ونهاية السنان المدببة تسمى: الظُّبة. قال الحريري (ت:516هـ): لا يقال للقناة رمح إلا إذا ركّب عليها السنان، وعليه قول عبدالقيس بن خفاف الرجمي:

ووقع لسانٍ كحد السِّنا
نِ ورمح طويل القناة عسولا



الزرد:

حلق الدرع. والجمع: زرود. والزَّرّاد: صانعها.

الزَّغْفَة والزَّغْفُ:

هي الدرع اللينة الواسعة المحكمة.

الزنبوري:

نوع من السهام ـ فارسية الأصل ـ ومعناها: الزنبق الصغير. ورد ذكره في كتابات ابن الأثير (ت:630هـ) وغيره: «جعلوا يرمونه بسهام الزنبوري». واستخدم في أثناء حصار سلطان مصر لعسقلان سنة 643هـ/1245م.



ستارة:

حائط خارجي مبني من الخشب أو غيره يحتمي وراءه المدافعون عن حصن أو سور، ويستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو. ذكر ابن الأثير في تاريخه: «أقاموا ستاير يرمون من ورائها».

السميريات:

مفردها سميرية، وهي من سفن البحر والنهر، عرفت في أواخر القرن الثالث الهجري، وكانت معدة لحمل آلات الحرب والمقاتلين والملاحين. ذكرها الطبري في تاريخه في حوادث عام 267 هجرية، ثم استعملت في التجارة والأسفار.

السهم:

من آلات الرمي بالقوس. وهو قبل أن يريّش يسمى: القِدْح، فإذا ما وضع عليه الريش سمي المريّش، وإذا ما وضع فيه النصل فهو السهم. وهو يصنع من النبع والشوحط. وله عدة أنواع أشدها: المِرِّيخ: سهم طويل له أربعة آذان، والصيخ: المصلب بالنار، والمسير: سهم فيه خطوط، والخطوة: سهم طوله ذراع، والرهب: السهم العظيم. وأقسام السهم هي: النَّصل: وهو الحديدة الجارحة في رأس السهم، والعَقَب: وهو القسم الذي يوضع فيه الريش، والعود: ما بين النصل والعقب، والعوف: موضع الوتر من السهم.

السيف:

سلاح للهجوم يستعمل باليد، له نصل طويل قد يكون مستقيمًا أو مقوّسًا، مصنوع من الحديد أو الصلب، مثبت في مقبض، له في كثير من الأحيان واقية لليد. وتتوقف وظيفة السيف في الطعن أو القطع على شكل نصل السيف، وإذا كان له حد أو حدان.

والسيف عريق في تاريخه، عرفه قدامى المصريين، والآشوريون، والإغريق، والرومان. وكان عند العرب من أقدم أيام جاهليتهم. وقد بلغ السيف أوج مكانته الرفيعة بين جميع أنواع السلاح بين القرن العاشر قبل الميلاد إلى قبيل القرن العشرين، أي بين فتوح الإمبراطوريات القديمة وفتوح العلم الحديث.

ومن الغريب أن الكلمة المرادفة للسيف عند قدامى المصريين هي سفيت Sfet. وقد انتقلت هذه الكلمة فيما يبدو إلى اللغات الأخرى، فأهل السويد يعبّرون عن السيف بكلمة سفيرد Svord، ويبدو أنها حرّفت إلى سورد Sword عند الإنجليز، وشفير Schwert عند الألمان.

والسيف في العربية مشتق من ساف أي: هلك. وسمي كذلك لأنه سبب في الهلاك.

وأجزاء السيف هي: القَبِيعَة والقُلَّة والواقية والمَقْبِض والنَّصل والحد والطَرف.

وقد أفاض العرب في وصف حدة السيف ومضائه، وعبّروا عن ذلك بتعابير كثيرة جدًا، مختلفة في اللفظ مثل: الحُسَام، المرهف، الصَّارم، العَضْب، الباتر، القصال، المقصل، المِخْضَل، المِخْذَم الجُراز، القاضب، الهُذَام. ويقال له: رَسُوب)إذا كان يمضي في الضريبة، وصَمْصَامة إذا كان صارما لا ينثي، وإصْليت إذا كان ماضيًا نافذًا، ومصمم إذا كان يمر في العظام، والمهنّد إذا كان قد صنع في الهند، والأريحي إذا صنع في (أريحا).

والسيف هو أنبل الأسلحة البيضاء التي قدر حقها المسلمون، ومن قبلهم العرب في جاهليتهم. وقد اشتهرت عدة مدن بصناعة السيوف في العالم الإسلامي، مثل: اليمن، وأصفهان، ودمشق، والقاهرة، وطليطلة، وسرغسطة بالأندلس. وقد ظل طراز السيف المستقيم هو الشائع استخدامه في العالم الإسلامي إلى القرن الثالث عشر الميلادي تقريبًا، ثم بدأ يعم استعمال السيف المقوس

ذي النصل الواحد.

وكانت تكتب على نصال السيوف آيات قرآنية أو عبارات تشيد بقوّة السيف وصولته، وتنقش على بعضها الزخارف الطريفة.

وكان السيف الإسلامي يصنع من الحديد (سيف أنيث) أو من الصلب (سيف فولاذ). وأشهر السيوف عند العرب: اليمانية والهندية والخراسانية والسليمانية والشامية. وكانت العرب إذا أصابت سيفًا قاطعًا تناقلوا خبره وأطروه. وكان السيف أفخر الهدايا التي يقدمها الخليفة أو السلطان للمقربين إليه أو يقدمها لسلطان أو ملك.



الشليل:

غلالة تلبس تحت الدرع، وقيل هي: الدرع القصيرة. والجمع: أشلة. وقد تطلق على الدرع القصيرة.

الشيني:

جاء في «المستدرك»: «الشين: المركب الطويل». وهي من أقدم أنواع السفن. وكانت أهم القطع التي يتألف منها الأسطول الإسلامي أو الروماني؛ لأنها كانت أكبر السفن وأكثرها استعمالاً لحمل المقاتلين للجهاد. وكانوا يقيمون فيها أبراجًا وقلاعًا للدفاع والهجوم. وكان متوسط ما يحمله الشيني الواحد 150رجلاً. وممن وصف الشواني من الشعراء: ابن حمديس الصقلي (ت:527هـ)، قال يمدح أبا يحيى الحسن بن علي بن يحيى:

أنشأت شوانيَ طايرةً
وبنيت على ماء مُدُنا
ببروج قتالٍ تحسبها
في شم شواهقها قننا



الصدى:

سيف أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه (ت:44هـ).

الصمصام:

السيف الذي لا ينثني. وقد كان لعمرو بن معديكرب الزبيدي (ت:21هـ)، الفارس العربي المشهور، سيف بهذا الاسم.



الضَّبر:

جلد يُغَشَّى خَشَبا، يتقدم الرجال خلفه أو تحته للاقتراب من الحصون للقتال. وفي كتاب «العين»: «الضَّبْر: جلود يغشى بها خشب، يتقى بها في الحرب». وهي تجمع على (ضُبُور).

روى ابن هشام أن عُروة بن مسعود وغيلان بن سَلَمة لم يشهدا وقعة حنين ولا حصار الطائف، لأنهما كانا يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور.



الطارقة:

شبه عباءة كان يستخدمها الجندي لوقايته. ذكر شهاب الدين النويري (ت:733هـ): «وأمر السلطان بالطوارق والجفاتي فصفّت، وجعل الرماة وراءها». وقد استعمل الصليبيون الطوارق. ذكر عماد الدين الأصفهاني (ت:597هـ): «كانوا [الصليبيون] للطوارق حاملين وللحملات مطرقين». وفي موضع آخر قال: «لمعت بوارق بيارقه، وراعت طوارق طوارقه».

الطبر:

بلطة أو فأس، له رأس نصف مستدير، يُرَكّب في قضيب من الحديد أو الخشب، ويحفر عليه النقوش الإسلامية أو العبارات الدينية. ويسمى حَمَلَةُ الطبر بالطبردارية (البلطجية). وفي حال ركوب السلطان يكون الطبردارية حوله عن يمينه وشماله مستعدين لضرب من يتقدم نحوه بغير إذن، وهم عشرة وأميرهم يسمى: أمير طبر.

الطريدة:

مركب حربي صغير الحجم سريع السير، كان يستخدم لنقل الخيل إلى الأسطول. وقد أخذ الإفرنج من العرب هذه التسمية، فعرفت بالإسبانية باسم Tarida وبالإيطالية باسم Tartama.



الظبة:

ظُبَة السيف هي حدّه. وظبة السهم هي نهاية النصل المدببة.



العرّادة:

آلة أصغر من المنجنيق، تلقى بها الأحجار على أبعاد طويلة. وقد استخدمت في العصور المتأخرة لتدل على عربة المدفع.

العيّار:

قطعة جلد أو قماش قوية قليلة العرض مطوية، تمسك من طرفيها ويوضع الحجر أو الحصاة أو قطع الرصاص أو الحديد المصوبة نحو الهدف في وسطها. وهي تستخدم مع المقلاع.



الغراب:

نوع من المراكب أخذه المماليك عن القرطاجنيين والرومان. سمي بهذا الاسم، لأن مقدمه كان يشبه رأس الغراب أو الطائر. وكان يسير بالقلاع، كما كان يسير بعدد من المجاذيف لا يتجاوز 180 مجذافًا. ومن خصائصه أنه كان مزودًا بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ويمر على ظهره الجند فيقاتلون بالأساليب البرية. ويعرف أيضًا باسم القدرغة.



الفرنجية:

منجنيق أوربي استخدمه المغاربة. قال ابن الأثير عنه: «منجنيق مغربي، كان يرمي حجراً زنتها مئة وأربعون رطلاً بالشامي».



القنبلة:

أصلها كلمة تركية هي قانوبور، نقلها العرب عنهم، ونطقوها قنبر ثم قنبرة، وفي بداية القرن التاسع عشر الميلادي شاع استخدام كلمة قنبلة بدلاً من قنبرة. وكانت تطلق على حشوة المدفع، ثم توسعوا بها وأطلقوها على كرته الحديدية.

والقنابر أنواع عدة منها: قنابل النحاس، وقنابل الحجر وتتخذ من حجر مستدير ويجعل فيه خزائن تملأ بالنفط والمصطكى وغيرهما. وقنابل الزجاج وتملأ من دهن يتركب من نفط مصعد وكبريت وكندس وغيره، ثم ترمى هذ القوارير بالمنجنيق فتلطخ المكان الذي تقع فيه. ويؤتى بعد ذلك بحجر عليه نفط مطبوخ تشعل فيه النار ويرمى، حيث وقعت القوارير فيلتهب المكان. وقنابل اليد التي تحشى بالنفط والصبر وبذر القرطم المقشور وغيره وتجعل لها فتيلة فيشعلها الضارب، ثم يرمي بها فيكسرها.

والقنابل الخانقة المملوءة بالكلس المطفي، فيتصاعد غباره إلى أنوف الجند وعيونهم فيعجزون عن القتال.

القوس:

من أقدم أسلحة القتال. استخدمت في الصيد في الشرق قبل الغرب. وكان من القسي نوعان عند العرب: قوس يد، وقوس قدم. وتتكون القوس من خمسة أجزاء عدا الوتر، وهي: السّية العليا، والسِّيَةُ السفلى، والذراع الأعلى، والذراع السفلي، والمقبض. وكبد القوس هو الموضع الذي يمر فيه السهم عند الرمي، ويقع في منتصف القوس ليحدث التوازن المطلوب لدقة الرمي. وذكر الشعراء الجاهليون أن القسي كانت تصنع من خشب النبع أو الشوحط أو الشريان. أما الوتر فيصنع عادة من خيوط مفتولة أو شراك جلد، وأحسنه ما كان من جلد الإبل غير السمينة.

ولما جاء الإسلام كانت مهارة العرب في استعمال القسي من جملة ما ساعدهم على غلبة الروم. وقد صنع المسلمون في العصور الوسطى من الأقواس آلات مركبة، واصطنعوا أيضًا لرمي السهام ضربًا من المجانيق توضع في الواحدة منها عدة سهام، وترمى عنها بالأقواس.



الكبش:

آلة من خشب وحديد كانت تجر بنوع من الحيل (الميكانيكية) فتدق الحائط فينهدم. وأصل الكبش دبابة له رأس في مقدمه مثل رأس الكبش. ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجري على بكرة معلقة بسقف الدبابة لسهولة جرها. ويتعاون الجنود (الذين يتحصنون في داخل الدبابة وجنود آخرون استتروا بدروع الدبابة) على ضرب السور بالكبش حتى يخرقوه، وقد وصف عماد الدين الأصفهاني كبشًا للفرنجة فقال: «.. واستأنف الفرنج عمل دبابة هائلة وآلة للغوائل غائلة، في رأسها شكل عظيم، يقال له الكبش، وله قرنان في طول رمحين كالعمودين الغليظين. أقفال الأسوار المغلقة بها تغشى... فكم سور إذا نطحته طحنته».

الكنانة:

جعبة السهام أو البارود. تصنع من الجلد.



لأمة:

هي الدرع والصفائح المعدنية التي يرتديها المحارب. وجمعها لُؤَم على غير قياس.



المدفع:

عرف العرب آلات المقذوفات قبل اختراع البارود الذي اكتشفه الصينيون. فقد استخدمها المسلمون في غزوة السند، واستخدمها الخليفة هارون الرشيد في حصار هيرقلية بالأناضول. وفي هذه المعارك كانت المدافع تقذف الحجارة.

وكان الصينيون يسمون المدفع «هوباو»، وإليهم يرجع الفضل في اختراعه. وقد بلغ حجر المدفع قرابة 152 رطلاً.

وقد وردت في كتاب تاريخ أحمد العسقلاني العبارة التالية: «استكثر من طلب المدافع والمكاحل من الصبابية وصفد ودمشق، ونصبها حول القلعة».

وفي كتاب السلوك للمقريزي وردت كلمة مدفع أكثر من مرة، مثل قوله: «نصب مدفعًا زنة حجره ستمئة رطل بالمصري».

وورد في كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي ما يأتي: «ومنها [يعني: آلات الحصار] مكاحل البارود، وهي المدافع التي ترمي النفط، وحالها مختلف. فبعضها يُرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يُرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مئة رطل. وقد رأيت بالإسكندرية في زمن الدولة الأشرفية - شعبان بن حسين (764- 778هـ) في نيابة الأمير صلاح الدين بن عرام رحمه الله بها - مدفعًا قد صنع من نحاس ورصاص وقيد بأطراف الحديد، رمي عنه الميدان ببندقة من حديد عظيمة محماة. فوقعت في بحر السلسلة خارج باب البحر، وهي مسافة بعيدة».

كما ورد ذكر المدافع في تاريخ ابن إياس (ت:930هـ) «بدائع الزهور في وقائع الدهور». ويستخلص من أقوال معظم المراجع

أن المدافع استعملت في بداية القرن الرابع عشر الميلادي، ثم جعلت تزداد حجمًا إلى عهد السلطان محمد الفاتح.

وفي حصار القسطنطينية استخدم العثمانيون أنواعًا شتى من آلات المدفعية كانت قذائفها من الحجارة الكبيرة، وبقي بعضها إلى اليوم محفوظًا ببرج لندن.

المِغْفَر:

هي الخوذة المصنوعة في الأصل من الجلد، ثم صنعت من المعدن. وهي أيضًا من الزرد الذي ينسج من الدروع على قدر الرأس وتلبس تحت القلنسوة.

المقلاع:

ويسمى أيضًا محذفة، استخدمه قدامى المصريين وسواهم كاليونان والرومان، وعرفته مشاة أوربا إلى القرن الرابع عشر الميلادي. أما العرب فكان المقلاع عندهم من لعب الأطفال.

المكحلة:

وهي مثل المدفع. ورد ذكرها في كثير من كتب التاريخ الإسلامي. قال ابن تَغري بَرْدي (ت:874هـ) في كتاب «النجوم الزاهرة»: «عملت مكحلة لرمي المنجنيق من نحاس وزنها مئة وعشرون قنطارًا بالمصري، ونصبت خارج باب القرافة، ورموا بها إلى جهة الجبل بالحجارة، زنة كل واحد ستمئة رطل». وفي كتاب «السلوك» للمقريزي: «أعد مدافع النفط والمكاحل ليرمي بها على الإسطبل السلطاني».

المنجنيق:

لا يعرف ما إذا كان العرب قد نقلوا استخدام المنجنيق عن الفرس أم الروم، أم عرفوه من قبلهم. ومن المعروف أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ استخدم المنجنيق في حصار الطائف. وقد وردت العبارة التالية عند أبي الفداء (ت:732هـ): «حدث حصار الطائف لما انهزمت ثقيف وهربوا من حنين إلى الطائف، فسار النبي إليهم فأغلقوا باب مدينتهم، وحاصرهم النبي نيفًا وعشرين يومًا، وقاتلهم بالمنجنيق».

وعني الخليفة عمر بن الخطاب (ت:23هـ) باستعمال المنجنيق، واستخدمه جيشه في حصار بلدة «بهرسير» في العام السادس عشر من الهجرة. وبلغ عدد المجانيق التي استخدمت يومها عشرين منجنيقًا. قال الشاعر:

يلقى الزلازل أقوام دلفت لهم
بالمنجنيق، وصكا بالملاطيس

والملاطيس هي الحجارة الضخمة.

وتستخدم المجانيق لعدة أغراض، منها: رمي الحجارة لهدم الحصون، ورمي قدور النفط أو الكرات المشتعلة من النار اليونانية، ورمي السهام إذ توضع في المنجنيق الواحد عدة منها، وترمى عنها بالأقواس إلى مسافات بعيدة، وبقوّة خارقة. كما كان المنجنيق يستخدم لرمي العقارب أو سلال الرماد وغيرها من الرمم العفنة.



النار اليونانية:

هي مزيج من الكبريت وبعض الصموغ والدهون، تطلق من اسطوانة نحاسية، ويقذف منها السائل مشتعلاً، أو يطلق على هيئة كرات مشتعلة.

وقد أخذها العرب عن الروم، ويرجع فضل اختراعها إلى كالينوس البعلبكي الذي نقلها إلى القسطنطينية.

النصل:

هو حد السيف والسكين، وسن الرمح والسهم. وقد يطلق النصل على السيف كله.

النبل:

السهم المصنوع من الغاب، ويُطلق عليه الفرس والترك اسم: النشاب.

النفاطة:

هي الآلة تقذف النفط، ذكرها عماد الدين الأصفهاني فقال: «رُجمت بشهب النفاطات شياطينُ الداوية المردة».

ورامي النفط يسمى نفّاطًا، ويلبس ثوبًا خاصًا اسمه لباس النفّاطين لكيلا يصيب نفسه بأذى. قيل إن مخترع هذا الثوب مسلم اسمه: محمد بن يزيد، ارتداه عندما اقتحم نيران مدينة هيرقلية بعد وقوعها في أيدي جيش هارون الرشيد.

وقيل إن عبدالله بن الزبير (ت:73هـ) استخدم حين حصاره في مكة أواني النفط الملتهب في حجم قنابل اليد.



الهُـذام:

هو السيف القاطع.



اليماني:

سيف منسوب إلى اليمن. قال الشاعر:

كأنهم أسيف بيض يمانية
عضب مضاربها باق بها الأثر

المراجع:

1- د. عبدالرحمن زكي، السلاح في الإسلام، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، 1951م.
2- د. عبدالرحمن زكي، السيف في العالم الإسلامي، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1957م.
3- القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1923م.
4- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة بولاق.
5- ديوان عبيد بن الأبرص، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت 1994م.
6- أبو عبيد البكري، سمط اللآلئ، طبعة بولاق، القاهرة 1936م
7- د. بهيج مجيد القنطار، الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1986م.
8- أبو الحسن المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت.
9- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت 1403هـ.
10- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت.

قصة قصيرة

عندما يسقط المطر

د. طه عمران وادي

- قولي ماذا أفعل يا أمي؟

- تصبر يا بني.. كل عقدة ولها عند الكريم حلال.

انكمش عنتر داخل نفسه. تمنى أن يبكي. آه.. يا أمي.. من كان يصدق أن كل هذا سوف يحدث. غاب سبعة شهور. حضر الحرب.. كان من أوائل العابرين إلى سيناء الحبيبة.. أرض القمر. قاتل العدو في كل لحظة.. بكل قوة. انتصرت إرادة الحق، كان يحارب من أجل مصر.. ومن أجل فايزة. مصر الأم.. وفايزة الأمل. انتصر في الحرب، فهل يمكن أن ينهزم في الحب؟ في الميدان تعرف العدو فتقتله، لكن من هم أعداء الحب.. يا رب..؟!

نظرت الأم حزينة إلى وحيدها، لا تدرى ماذا تقول له. عاد من الحرب إلى عربته الكارو وحصانه الأدهم. أحس أن عالمه ينقصه شيء.. شيء ما أفقد الحياة طعمها الحلو. تمنى ألا يعود. تأملته أمه في حسرة: ماذا حدث لك.. يا ولدي..؟ عندما كان عنتر يستريح يوم الجمعة ويأخذ حصانه في الصباح.. يستحمان معًا، يعود وقد ركبه كما عنترة تحكي عنه المواويل والحكايات. عنتر يا ولدي ماذا تصنع لك الأم الفقيرة؟ فايزة حبيبتك ضاعت. خطبها ابن شيخ البلد، يملك أرضًا وله عزوة. قوم فقراء نحن يا عنتر، لا نملك سوى القلب الأخضر والنوايا الطيبة. الفرخة عايزة قمحة، والقمحة عند الفلاح، والفلاح فاسه عند النجار، والنجار عايز منشار...

أفاقت الأم من شطحاتها على طرق شديد، يكاد يخلع باب الدار. لم يكن عنتر أقل حيرة من أمه. ذُعرت أم عنتر، بصقت في طوق جلبابها قائلة «اللهم اجعله خيرًا». فتحت الباب، ظهر عبدالمقصود الخفير، على كتفه بندقية، وفي يده عصا يلوح بها في الهواء. دخل مندفعًا يبحث عن عنتر، الذي كان يجلس على المصطبة دون أن يراه.

- أين عنتر يا وليه؟

إحساس بالضيق يملأ حلقه. استجمع أجزاء جسده المفكك. نظر في غيظ:

- أنت خيال مقاتة.. يا قليل الحياء.. من علمك أن تدخل بيوت الناس هكذا..؟!

- عيب يا عنتر.. أنا مثل والدك.

إذا احترمت الناس أهانوك، وإذا أهنتهم احترموك. لا أحد يأخذ حقه بغير الذراع القوية واللسان الطويل، هذا منطق الزمان الأغبر الذي نعيش فيه يا عبدالمقصود.. يا دون.. كان يحدث نفسه وهو ينظر إليه في غيظ. تبادلا نظرات حاقدة.

- طيب.. شيخ البلد عايزك.. وإن كنت جدع اظهر شطارتك عنده.

كانت الأم تنقل بصرها في لهفة بين الرجلين:

- يا عبدالمقصود يا ابني.. عيب الغلابة يأكلون بعضًا.. هذا حرام.

لِمَ تتجمع المصائب دائمًا في وقت واحد؟ لقد عاد عنتر بعد حرب قاسية، ضرب العدو بغير هوادة. قاتل بلا رحمة. كم صاح وهو ينادي زميله عبدالمنعم:

- اضرب يا دُفعة.. اضرب العدو.. إديله ما ترحموش.

كلما قاتل بقسوة كان يحس فايزة تبتسم له.. مهري هو النصر يا عنتر.. غَنَّى في نفسه لها مواله القديم:

أكل البلح حلو، بس النخل في العالي
مش طايله إيدي البلح، يا رب كان مالي

الحب.. والحرب.. وجهان لعملة واحدة هي الحرية. إذا كنتَ

تحب فحارب من أجل حبك.. وإذا كنتَ تحارب فأحب ما تدافع عنه. من قال إنه في النور وهو يبغض أخاه فهو الآن في الظلمة. من يحب أخاه يثبت في النور وليس في عثرة. وأما من يبغض أخاه فهو في الظلمة، وفي الظلمة يسلك، ولا يعلم أين يمضى، لأن الظلمة أعمت عينيه!!

* * *

ـ اسمعي يا أمي.. مستحيل أن يتم هذا الزواج!!

ـ يا ميلة بختي معك.. كل البنات تتزوج في ستر وسلام إلا أنت.. أنت من؟

ـ أنا فايزة التي تحب عنتر..ادّعيتم أنه مات في سيناء، لكنه عاد بالسلامة.

تبادلت معها الأم نظرة غضب وحزن:

ـ والفاتحة التي قرأها أبوك مع شيخ البلد..؟

ـ أبي يعرف رأيي.. أنت.. أنت المسؤولة.

ـ يا فضيحتك الناقعة يا أم علي. ماذا عملت حتى يرزقني الله بفتاة مجنونة مثلك...؟

نظرت إليها في تحدٍّ.. وهي تعبثُ بضفيرة شعرها الذهبي.

ـ لست مجنونة.. أنا فقط صريحة.. أنا حرة.. أتفهمين؟.. مستحيل أن أتزوج رجلاً وأنا أحب غيره.

ـ الله يلعن الراديو وأيامه السوداء، هو الذي علمك الحب والكلام الفاضي.. والأغاني المائعة التي ترددينها في الأفراح.

ـ الدنيا تغيرت يا أم علي.. فوقي.. الحب ليس عاراً.. الحب..

ـ اخرسي.. قطع لسانك.

* * *

شيخ البلد منذ عاد عنتر، يريد أن يدبّر له أي مصيبة، حتى يغور ويترك فايزة لابنه. انتهت حرب يا عنتر وبدأت أخرى، لكن المهم من يضحك أخيراً يا شيخ البلد؟

ـ اسمع يا عنتر منذ عدت إلى القرية وكل يوم لك مشكلة.

هكذا قال الحاج إبراهيم شيخ البلد، وهو يجلس في مندرة بيته. حوله شيخ الخفر وبعض الأتباع. عنتر على إحساسه بالخطر لا يستطيع أن يخفي شعوراً بالكراهية والاحتقار ضد شيخ البلد وأعوانه.

ـ أنت يا ولد يا عنتر ـ واصل عبده أبو يوسف العامل الزراعي، الذي يعمل في حقل شيخ البلد ـ أخذت مني ثلاثة جنيهات منذ أسبوع.

ـ أنا.. يازوج بهانة؟!



ـ عيب يا عنتر.. احفظ لسانك.. قال شيخ الخفر.

ـ نعم أخذتها مني لتحضر جوال دقيق من المنصورة، لكنك لم تحضر الدقيق ولم ترد النقود.

بدأ الشهود يؤكدون كلامه ويقسمون. نقل بصره بين الكاذبين المكذّبين في حيرة، لم يدر ماذا يصنع؟ هناك مواقف لا ينفع فيها الكلام. لم يكن من السهل أن ينسى أنه جندي، قضى في الجيش أربع سنوات، تذكر ما فعله يوماً مع أحد الأعداء. وجده جريحاً في أثناء المعركة، وقد فر زملاؤه الفئران. طلب منه شربة ماء. اقترب منه يسقيه في حين كان الغادر يحاول أن يطعنه بخنجر. بسرعة أفرغ طلقات مدفعه كلها في رأسه. أفاق من خيالاته.. لم يدر ماذا حدث؟ كان بعض المرتزقة يحاولون أن ينقذوا عنق شيخ البلد من يده. أخيراً

عندما يسقط المطر

تركه بعد أن بصق عليه.

ـ تشهدون يا بلد.. المجرم يريد أن يقتلني.

تساءل في نفسه هل انتهت الحرب حقيقة.. ولِمَ سَلَّمَ البندقية..؟!!

* * *

على سطح الدار تتذكر أيامها الحلوة مع عنتر. الأوقات الحلوة تمر سريعة.. لكن لحظات الضيق مسامير حارقة. موتًا بطيئًا تمر ساعات الحزن. أين أيام زمان يا عنتر..؟ كانا جارين.. كبر الحب مع الأيام. كان فقيرًا.. فايزة كنزه الثمين. حين تركب معه يصيح في الحصان يعدو بسرعة.. في حين لا تكف فايزة عن الغناء.. صوتي ليس جميلاً لكني أحب الفرح بالحياة..

ع الزراعية يا ربّ أقابل حبيبي

كان يُصلّي من أجل أن يحفظهما الرب ويحفظ حبهما. كان يحبها دون أن يعرف للحب معنى. ـ ما الحب يا عنتر؟

ـ الحب.. لست أدري.. لكنه أعظم حاجة في الدنيا يا فايزة، تعرفين حين أراك أريد أن أخطفك وأطير.

ـ يا روحي.. تكتم كل هذا في نفسك وأنت ساكت.. آه لو سمعتك أمي..!!

ـ ولِمَ النكد يا بنت الحلال..؟!

القرية تغرق في صمت، وسواد الليل يغطي كل شيء. نباح بعض الكلاب يعلو من بعيد. لِمَ خلق الله الكلاب؟ فايزة مازالتْ ترقب النجوم المبعثرة في سماء سوداء. قطرات خفيفة من الندى بللت القش والدريس. برودة الجو زادت من قدر الإحساس بالوحدة. الانتظار مُرّ. متى تأتي يا عنتر؟ فايزة فتاة فقيرة لكن لِمَ أراد شيخ البلد أن يخطبها لابنه؟ القرية ملأى بالفتيات. لِمَ لا تحلو الفتاة في عين الناس إلا حينما يعلمون أنها تحب؟ كل الناس يتمنون الحب.. حتى لو كانوا في الطريق إلى القبر، ومع ذلك إذا عرفوا أن هناك حبًا أبيض، ينمو في الضوء يحاربونه. كل الناس ترى الحمام لأنه يطير في النور، لكن أحدًا لا يرى الخفافيش، لأنها تطير في الظلام..!!

بين الأمل والألم.. بين الليل والفجر.. زحف حتى وصل إليها في سكون حتى لا يشعر به أحد.

ـ عنتر يا حبيبي.

أحس وهو ينظر إليها أنه يولد من جديد.. وأن خلاياه تتفتح.. وأن قامته تطول حتى تصل إلى السماء. عنتر انتهت المعركة في أرض القمر، لكنها يجب أن تستمر من أجل القمر نفسه.. في كل مكان. كلب يعوي، وضوء القمر يظهر من بعيد.

ـ تعبت يا عنتر.. تحديت الجميع من أجلك.

ـ الصبر طيب يا فايزة.

بدأت أسارير وجهها تشرق في الظلام..

اهتزتْ من الشوق والشفقة.. تحيرت ماذا تقول.. لِمَ ننسى كل الكلام حين نرى وجه الحبيب؟ في البعد نتذكر ألف قضية وقضية، وحين نلتقي به نبحث عن أي كلام.. فلا نجد!!

ـ تثقين بي يا فايزة؟

ـ تعرف إجابة هذا السؤال.

ـ سوف نتزوج.. لن يفرقنا أحد.

مرَّ المسحراتي فشقَّ صوتُه الصمت والظلام.. يا نايم وحِّد الدايم. أخذ يدق دقات منتظمة على طبلة يحملها ويسير وحده في الظلام. القرية نائمة وهو يحاول أن يوقظها لتبدأ يومًا جديدًا.

نظرتْ إليه ساهمة.. لم تدر كم طال الصمت بينهما. نظرت إليه فوجدته يبكي!! عنتر يبكي.. أول مرة ترى رجلاً يبكي.. صعبٌ على الرجل أن يبكي. الرجل لا يقدر.. ولا يحب أن يظهر ضعفه. صعب أن يبكي رجل أمام رجل.. الرجل لا يبكي إلا بين يديْ امرأة يحبها. تحنو عليه كما تحنو الأم على ولدها. الحبيبة الحقيقة أم. الرجل مهما كبر في حاجة إلى أم دائمة.. تشد حيله إذا تعب، تقف بجواره حين يتخلى عنه الأصدقاء، تنتزعه من أشواك الألم. تزرع في دنياه الأمل، تسعده وتريه الليالي الملاح. تُريحه وتستريح معه. يتسع صدرها له حين يضيق به العالم. حين يسقط المطر يجري في النهر المقدس.. في النهر تسير المياه.. تلتقي الشفاه.. تخضر الحياة..!!

حصان عنتر يقف وحيداً أمام الدار، تأهبًا ليوم جديد. حصان أصيل هو، لا يتعب ولا يكف عن العمل. العربة أمام الحصان، يداها مرتفعة إلى السماء، تشكو طول الليل. أخذ يديها في يديه، وقال في ثقة:

ـ فايزة.. يجب أن نتفق

ـ على ماذا؟

ـ على أن نتزوج.

ـ كيف؟

ـ كما تريدين.

خيوط الفجر تؤذن بالظهور، وحصان عنتر يصهل صهيلاً يشق سكون الليل.

ـ تريد أن نهرب.. في الليل مع الخفافيش..؟!

ـ لا، سنطير مع الحمام.. في النهار..!



بمتابعة سمو الأمير سلمان: وضع حجر أساس المركز الثقافي السعودي في موستار، وافتتاح مدرسة ومسجد وسط البوسنة

سمو الأمير خالد الفيصل يعلن عن تكليف دار «أسبار» إعداد الدراسات اللازمة لإصدار صحيفة «الوطن»

سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد يفتتح مركز خادم الحرمين الشريفين الثقافي الإسلامي في فرنسا

الإعلان عن مسابقة أدبية لنادي الشرقية، وجائزة الشارقة للإبداع الأدبي، والترشيح لجائزة ساعر مكة

ندوة دولية عن القدس والتراث الإسلامي، وأخرى عن «ألف ليلة وليلة»، وثالثة عن التراث الأندلسي

مجلات وصحف جديدة تنضم إلى ركب الثقافة، وإقامة معارض ومهرجانات متنوعة في أنحاء العالم

في كلمته أمام مؤتمر التنمية وتأثيرها في البيئة

سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز:

المملكة تواءم بين برامج التنمية ومتطلبات المحافظة على البيئة

نيابة عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام، افتتح صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية في يوم 20 جمادى الأولى الماضي مؤتمر «التنمية وتأثيرها في البيئة».

وقد ألقى سموه كلمة بهذه المناسبة جاء فيها: «إننا في المملكة العربية السعودية ـ انطلاقًا من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف وتمشيًا مع توجيهات قيادة هذا البلد الحكيمة وتطبيقًا لما ورد في النظام الأساسي للحكم ـ لملتزمون بالمحافظة على البيئة وحمايتها وتطويرها ومنع التلوث عنها، والأخذ بسياسات متوازنة ومتكاملة تجاه تخطيط وتنفيذ برامج ومشاريع التنمية لضمان عدم تأثيرها السلبي على البيئة»؛ مشيرًا إلى أن المملكة أنشأت العديد من الأجهزة التخطيطية والتنفيذية المختصة لمراعاة التوازن بين برامج التنمية ومتطلبات البيئة، ويأتي على رأس هذه الأجهزة «اللجنة الوزارية للبيئة» التي يرأسها صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، إلى جانب ما يقوم به القطاع الخاص والأفراد في المواءمة بين برامج التنمية ومتطلبات البيئة في المملكة.

حوارات بنادي جدة حول الخطاب الروائي السعودي

قرر نادي جدة الأدبي الثقافي استضافة نقاشات موسعة في (ورشة) العمل الثقافية التي أسسها لمناقشة الخطاب الروائي السعودي.

يرمي القرار إلى تفعيل دور الورشة، والإسهام في تقديم الرواية السعودية داخليًا وخارجيًا عبر إيجاد دراسات وقراءات نقدية جادة وموسعة تعالج الرواية السعودية مرتين في الشهر.

فرعان جديدان في تبوك وجازان لجمعية الثقافة والفنون

تقرر إنشاء فرعين جديدين في تبوك وجازان للجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ضمن خطة الجمعية للعام الحالي.

ويجري حاليًا التنسيق مع الجهات المسؤولة في المنطقتين من أجل هذه الغاية.

وبإنشاء الفرعين الجديدين، يرتفع عدد فروع الجمعية إلى أحد عشر فرعًا موزعة على مناطق المملكة المختلفة.

مجلة الفن التشكيلي

أصدرت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون العدد الأول من مجلتها «الفن التشكيلي» التي تصدر بالتعاون مع شقيقتها مجلة «التوباد» المتخصصة بالأدب والفكر.

تضمن العدد الأول من «الفن التشكيلي» موضوعات قيمة، من أبرزها موضوع بعنوان «حضارتنا الإسلامية وفن العمارة»، وآخر عن «الخط العربي ورسالة التوحيد»، وثالث حول «جمالية الفن الإسلامي».

مسابقة أدبية لنادي الشرقية

أعلن النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية عن فتح باب تلقي المشاركات في مسابقته

وأعرب سموه عن أمله في أن يحفل المؤتمر بمناقشات علمية جادة وعميقة وتبادل وجهات النظر والتجارب المختلفة، وأن يتوصل المشاركون فيه إلى نتائج إيجابية.

وكان المهندس علي الحسون رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر قد ألقى كلمة بيَّن فيها البعد التاريخي للاهتمام بالبيئة في بلاد الغرب؛ مشيرًا إلى أن «المملكة العربية السعودية تُعَدّ من الدول القلائل التي لم تغفل أهمية حماية البيئة والمحافظة على مكوناتها خلال مسارها الحافل في مجال التنمية الشاملة».



صاحب السمو الملكي
الأمير سلطان بن عبدالعزيز



صاحب السمو الملكي
الأمير نايف بن عبدالعزيز

ونوه بما تقوم به اللجنة الوزارية للبيئة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز من دور من خلال الإشراف الشامل على حماية البيئة في المملكة؛ وقال: «ولعل حصول الهيئة الملكية للجبيل وينبع على الجائزة الدولية للأمم المتحدة للإنجاز البيئي لعام 1988م يجسد حرص حكومتنا الرشيدة على صحة البيئة وسلامتها».

وذكر المهندس الحسون المحاور الأربعة الرئيسة للمؤتمر الذي تنظمه وزارة الشؤون البلدية والقروية، وهي: التلوث البيئي، إدارة النفايات ومعالجتها، دراسات صحة البيئة، الدراسات الاقتصادية للبيئة، وتتفرع من كل محور مجموعة من الأبحاث.

وألقى معالي وزير الشؤون البلدية والقروية د. محمد الجارالله كلمة أوضح فيها ما يعانيه كوكب الأرض من تلوث يزداد بزيادة عدد السكان، وقال: «إننا في المملكة العربية السعودية التي تستلهم سياستها من دينها الإسلامي الحنيف وتدبر قول الله تعالى: *ثُمَّ جَعَلْنَاكُم خَلائفَ في الأرض من بَعدهم لِنَنْظُرَ كيْفَ تَعْمَلُونَ*. يونس: 14، لنا تجربة تنموية رائدة كان هدفها ولايزال دفع عجلة التنمية للدوران بأقصى سرعتها من ناحية، وحماية البيئة بعناصرها المختلفة من ناحية أخرى».

وقد وجه في ختام كلمته الشكر لخادم الحرمين الشريفين ولسمو ولي العهد ولسمو النائب الثاني لتوجيهاتهم السديدة ودعمهم غير المحدود لإقامة هذا المؤتمر وإنجاحه.

الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر استمر ثلاثة أيام، وشارك في أعماله عدد من الخبراء من مختلف دول العالم، وقد صاحبه معرض بيئي.

الأدبية السابعة في مجالات الشعر، والقصة، والقراءة التحليلية النقدية.

واشترط النادي المشاركة بعمل واحد في مجال واحد، وأن تكون الأعمال المقدمة مكتوبة باللغة العربية الفصحى على الآلة الكاتبة، ولم يسبق نشرها أو فوزها بجائزة مماثلة، وأن يُرسل الأصل مع صورتين في موعد غايته نهاية شهر جمادى الآخرة الجاري.

والمسابقة مفتوحة للشباب السعودي والمقيمين بالمملكة من الجنسين من عمر 18إلى 30 عامًا.

كتب جديدة

مكتبات الأطفال العامة في دول الخليج العربية: واقعها وسبل تطويرها، إعداد د. سالم محمد السالم، صدر عن مكتب التربية العربي لدول الخليج في الرياض.

التفكير العلمي لدى طالب التعليم العام في المملكة العربية السعودية: الواقع والطموحات، تقديم د. محمد الأحمد الرشيد، تأليف د. محمد بن شحات الخطيب وآخرين، صدر عن مكتبة العبيكان.

دراسة مقارنة بين الأدبين العربي والغربي، تأليف د. عاصم حمدان، صدر عن نادي المدينة المنورة الأدبي.

الادعاء العام والمحاكم الجنائية في المملكة العربية السعودية، تأليف د. عماد عبدالحميد النجار.

تقويم مدى موضوعية أسس وأساليب الترقية في الخدمة المدنية في المملكة العربية السعودية، دراسة أعدها منصور بن عبدالعزيز المعشوق وإبراهيم بن حمد العبود.

صدر الكتابان السابقان عن معهد الإدارة العامة بالرياض.

صدى الأيام، ديوان للشاعر عمر محمد ضيف الوقداني، صدر عن نادي الطائف الأدبي.

الإمارات

جائزة الشارقة للإبداع العربي

أعلنت دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة عن فتح باب تلقي الترشيحات لجائزة «الشارقة للإبداع العربي» في مجالات: القصة القصيرة والشعر الفصيح والرواية وأدب الأطفال (قصة، شعر، رواية، مسرحية) والنقد (أدب، مسرح، سينما، موسيقى، فن تشكيلي).

والمسابقة مفتوحة أمام المبدعين العرب؛ على ألا يكون الموضوع المرشح قد سبق فوزه بجائزة مشابهة أو نيل درجة علمية عنه، وأن تصل المشاركات قبل نهاية شهر

بمتابعة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز:

وضع حجر أساس المركز الثقافي السعودي في موستار وافتتاح مدرسة ومسجد وسط البوسنة



صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز

بمتابعة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز، أمير منطقة الرياض رئيس الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك، افتتحت الهيئة - مؤخراً - المدرسة الإسلامية في موستار بجمهورية البوسنة والهرسك، ووضعت حجر أساس المركز الثقافي السعودي في موستار، كما افتتحت مسجد جليزنوبولي بمنطقة جيبيتشا وسط البوسنة.

وفي كلمة بهذه المناسبة، أشار المشرف على المكتب الإقليمي للهيئة في أوربا ناصر بن عبدالرحمن السعيد إلى أن موقف المملكة العربية السعودية الداعم لصمود مسلمي البوسنة والهرسك واجب تمليه المبادئ الإسلامية. وأفاد أن الهيئة عندما تعيد بناء المساجد والمدارس والمساكن بتعليمات مباشرة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز تبرهن على أن الأقوال مقرونة بالأفعال، وأن الأفعال صادرة عن شعور بالمسؤولية وإحساس بوحدة الهدف والمصير.

وقد عبر محافظ موستار صافت أوتشوفيتش ورئيس العلماء د. مصطفى سيريتش عن تقديرهما لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز لما تقدمه المملكة من دعم لجمهورية البوسنة والهرسك.

وقد قامت الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك بترميم 72 مسجداً في البوسنة والهرسك بتكلفة زادت على أربعة عشر مليون ريال، كما قامت بفرش 78 مسجداً بفرش تزيد قيمته على المليون ريال، وزودت هذه المساجد بثلاثمئة مكبر صوت بقيمة قاربت المليوني ريال.

رجب المقبل 1418هـ إلى أمانة الجائزة على عنوانها: ص.ب 5119 الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة.

معرض الشارقة للكتاب

تُفتتح خلال المدة من 5 إلى 16رجب المقبل (4- 15 نوفمبر 1997م) الدورة السادسة عشرة لمعرض الشارقة الدولي للكتاب بمشاركة دور نشر محلية وعربية وأجنبية.

وجرياً على التقليد الذي

محاضرات وندوات

«البناء الفني في شعر الأمير خالد الفيصل»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. عبدالله المعطاني.

«الغناء: حكمه وأضراره»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد ستارة بالأفلاج الشيخ حمد بن سعد العتيق.

«الصحافة والمجتمع الجماهيري»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. عبدالله الطويرقي.

«الحروب الصليبية واتجاهاتها»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الباحة الأدبي د. مسفر سالم الغامدي.

«مواقيت الصلاة في البلاد ذات خطوط العرض العليا في أوربا»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي السوداني في لندن د. معاوية شداد.

«الاكتشافات الآثارية الجديدة ونشاط المجلس الأعلى للآثار»، عنوان محاضرة ألقاها في معهد دراسات اللغة العربية بالجامعة الأمريكية في القاهرة د. علي حسن.

« آفاق العصر»، كتاب د. جابر عصفور، تمت مناقشته في ندوة أقيمت في مكتبة مبارك العامة بالجيزة، شارك فيها عدد من المثقفين.

«هذا العقل المخلوق ودوره في المعرفة»، عنوان محاضرة ألقاها في فرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري.

«روائع الأدب العالمي للناشئين»، موضوع ندوة أقيمت في مكتبة مبارك العامة في الجيزة شارك فيها كل من: مختار السويفي، وأحمد نجيب، ونُعم الباز، وحمدي الجابري.

«جماليات التراث في الإسكندرية»، عنوان محاضرة ألقاها في قصر

سمو الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز



صاحب السمو الملكي
الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز

يعلن عن تكليف «أسبار» وضع الدراسات التأسيسية لصحيفة «الوطن»

أعلن صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير أنه، بعد صدور موافقة المقام السامي الكريم على إنشاء مؤسسة عسير للصحافة والنشر، تم تكليف دار «أسبار» للدراسات والبحوث والإعلام إعداد الدراسات التأسيسية اللازمة تمهيدًا لإصدار صحيفة «الوطن» التي سيكون مقرها الرئيسي مدينة أبها. وأوضح سموه أن هذه الدار ستقوم - وفق التكليف - بإعداد الدراسات المطلوبة عن الجوانب المختلفة للعمل الصحافي والإداري للصحيفة؛ بما في ذلك دراسات عن الشخصيتين الإدارية والفنية، والإدارة الصحافية الحديثة، والنظام المعلوماتي، والخدمات الصحافية، واستراتيجيات الإعلام والتسويق، وأساليب الإنتاج والطباعة.

وقد شكلت دار «أسبار» فريق عمل برئاسة د. فهد العرابي الحارثي للقيام بإعداد الدراسات التأسيسية المطلوبة.

استحدثته الهيئة المنظمة للمعرض باختيار مركز علمي أو دور نشر لتكريمها، فقد اختيرت الدار المصرية اللبنانية - ومقرها القاهرة - لتكريمها في دورة العام الجاري.

جائزة لأدب الأمومة

قرر رواق عوشة بنت حسين الثقافي في دبي إنشاء جائزة أدبية جديدة تُمنح سنويًا لأدب الأمومة في مجالي الشعر والقصة القصيرة.

تبلغ قيمة الجائزة الجديدة 25 ألف درهم إماراتي، وتُمنح لمختلف الجنسيات واللغات والأعمار بدءًا من عمر 15 عامًا لأفضل قصة قصيرة أو قصيدة كتبت عن الأم. وتحدد يوم 14 جمادى الآخرة الجاري (منتصف أكتوبر 1997م) موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات على أن يتم الإعلان عن أسماء الفائزين بعد هذا الموعد بشهر.

يُذكر أنه بإعلان هذه الجائزة ترتفع قيمة الجوائز التي يقدمها الرواق إلى 400 ألف درهم، حيث سبق أن تم تخصيص جائزة لإبداع المعوّقين، وأخرى للأم المثالية.

كتب جديدة

مقاربات عن التشكيل،

التذوق في الشاطبي بالإسكندرية د. يوسف زيدان.

«مصائر الفلسفة بين العالمين: المسيحي والإسلامي»، عنوان محاضرة ألقاها في جاليري الكوفة في لندن جورج طرابيشي

«لامية كعب بن زهير وأثرها في الشعر العربي»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي أبها الأدبي د. أحمد بن عبدالله النعمي.

«الإعلام والتربية»، موضوع ندوة أقيمت في ديوانية لجنة زكاة العثمان في الجابرية بالكويت، شارك فيها عدد من المفكرين والعلماء، وأدارها الشيخ محمد العوضي.

«تنشئة الشباب المسلم»، موضوع محاضرة ألقاها في مسجد السلطان قابوس في مسقط بسلطنة عمان الشيخ أحمد بن حمد الخليلي.

«الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.. أول مفت للديار السعودية»، عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالطائف د. محمد بن سعد الشويعر.

«حوادث المرور في منطقة الباحة.. نظرة تحليلية»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الباحة الأدبي د. علي بن سعيد بن عبدالله المنصور الغامدي.

«مستقبل الرياضة المصرية وإعداد النشء»، عنوان محاضرة ألقاها في المركز الثقافي المصري في لندن د. عبدالمنعم عمارة.

«المعلمة ودورها في المجتمع»، عنوان محاضرة ألقاها في متوسطة البنات بالرياض في المدينة المنورة الشيخان محمد ناصر الحكمي وفهد حمود الهذال.

«التنوع والوحدة في الفن الإسلامي»، عنوان محاضرة ألقتها في ديوان الكوفة في لندن كارلس ودّي.

«أدب الطفل»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر جمعية الرعاية المتكاملة في مصر الجديدة عبدالتواب يوسف.

سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد

يفتتح مركز خادم الحرمين الشريفين الثقافي الإسلامي وتوسعة مسجد المركز في مونت لاجولي


صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد

رعى صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز المستشار في الديوان الملكي حفل افتتاح مركز خادم الحرمين الشريفين الثقافي الإسلامي ومسجد المركز بتوسعته الجديدة في ضاحية مونت لاجولي الفرنسية الواقعة على بعد ستين كيلا من العاصمة باريس.

وقد ألقى سموه كلمة بين فيها أن المقصود من إقامة مثل هذه المراكز الإسلامية توضيح سماحة الدين الإسلامي ودحضه الادعاءات العنصرية وقضائه على جميع الاختلافات والمشكلات بجميع أشكالها، وقال: «إن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - يحفظه الله - يريد من هذه المراكز أن تبين طيبة المسلمين وسماحة الإسلام، وأن تنشر المحبة بين الناس».

وقال عمدة المدينة في كلمة له بهذه المناسبة: إن هذا الحفل مظهر من مظاهر الصداقة بين فرنسا والمملكة العربية السعودية. وأعرب عن تقديره للجهود الخيرية للمملكة، مشيرًا أن هذا المركز الثقافي الإسلامي هو في مكان الترحيب في مونت لاجولي.

وألقى إمام المسجد الشيخ عمر الداودي كلمة الجالية الإسلامية مسجلاً تقدير المسلمين في فرنسا لجهود خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في نصرة الإسلام والمسلمين، ولاسيما الاهتمام بإعمار بيوت الله وفي مقدمتها الحرمين الشريفين.

وفي كلمته أشار الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي د. عبدالله بن صالح العبيد إلى أن هذا ثالث مسجد يتبع الرابطة في فرنسا، موجهًا شكر الرابطة والأقليات والجاليات الإسلامية في فرنسا وتقديرها إلى حكومة المملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين.

وقال: إن افتتاح سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد للمركز تأكيد لمدى الاهتمام بالمسلمين في كل مكان وإغناء للتعاون بين المسلمين والشعوب الأخرى.

وأعلن أن خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز يتبرع كل عام بمبلغ عشرين مليون ريال دعمًا لصندوق المساجد الذي أنشأته الرابطة لتقديم المساعدات لإعمار بيوت الله وترميمها وإصلاحها وتدريس علوم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

تأليف د. عمر عبدالعزيز، صدر عن منشورات دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة.

شعر عبدالله بن همام السلولي، جمع وتحقيق وليد محمد السراقبي، صدر عن مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي.

اليمن

مدينة أثرية من عصر ما قبل الإسلام

عُثر - مصادفة - في حقل أثري بمنطقة ماوية على آثار يُظنّ أنها كانت موقعًا لمدينة قديمة مطمورة تعود إلى عصر ما قبل الإسلام.

وأوضحت تصريحات لمسؤول آثاري أن سكان المنطقة عثروا على 36 قطعة أثرية متنوعة تشمل أواني فخارية وتماثيل من الفخار والحجر والرخام تصور حيوانات، فضلاً عن جرار وكؤوس. وجاء الكشف في أثناء قيام أحد السكان بغرف التراب بجرّافة لتغطية أنابيب توصل المياه إلى إحدى المزارع.

ويُظنّ أن الآثار المكتشفة تعود إلى مدينة مطمورة في الموقع نفسه، أو مقابر مجاورة لمدينة قديمة.

الكويت

كتب جديدة

إشكالية الهوية في إسرائيل، تأليف د. رشاد الشامي، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

بطرس الأكبر، مسرحية تولستوي، ترجمها إلى العربية د. فوزي محمد عطية، وصدرت ضمن سلسلة «المسرح العالمي».

صدر الكتابان السابقان عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

مصر

المسلمون سبقوا الغرب إلى اكتشاف «الشفرة»

أكدت دراسة علمية أن علماء المسلمين قد سبقوا نظراءهم في الغرب بقرون حين وضعوا أسس علم الجفر «الشفرة» وألفوا الكتب فيه تحت مسمى: علم التعمية واستخراج المعمى.

وقال معدُّ الدراسة د. أحمد فؤاد باشا

الأستاذ بكلية العلوم في جامعة القاهرة: إن المسلمين قاموا بدور رائد ومهم في تطوير هذا العلم الذي يُعد من أهم الركائز في عصر الحاسوب.

وتناول الباحث في دراسته مؤلفات علماء المسلمين في هذا المجال، وفي مقدمتهم جابر بن حيان وذو النون المصري والكندي، الذي تُعد رسالته في علم التعمية واستخراج المعمى أبرز المخطوطات الإسلامية في هذا المجال، وهو الأمر الذي أقر به كبير مؤرخي علم الشفرة «دافيد كان» حين أكد في كتاب له أن هذا العلم عربي، وإنجاز تاريخي للعرب.

ندوة عالمية عن «ألف ليلة وليلة»

قرر اتحاد كُتَّاب مصر عقد ندوة عالمية بالمشاركة مع وزارة الثقافة المصرية بمناسبة اكتمال نشر مجلدات «ألف ليلة وليلة».

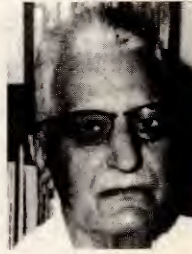
يُنتظر أن تقام الندوة في مطلع العام الميلادي المقبل، حتى يتسنى دعوة كبار المتخصصين بـ«ألف ليلة وليلة» من مختلف أنحاء العالم للمشاركة فيها.

متحف في النوبة وآخر بمنزل العقاد

يُفتتح «متحف النوبة» الذي أقيم على مساحة 50 فدانًا جنوب أسوان، وتكلف 60 مليون جنيه مصري في العاشر من شهر جمادى الآخرة الجاري (11 أكتوبر 1997م).

يضم المتحف نحو خمسة آلاف قطعة أثرية تم إنقاذها من الغرق في أثناء بناء السد العالي، تنتمي إلى عصور ما قبل التاريخ، والعصور الفرعونية واليونانية والرومانية والقبطية والإسلامية.

ويتكون مبنى المتحف من ثلاثة طوابق، صُمِّمت بحيث تناسب البيئة المحيطة بها. وتوجد بالطابق الأول قاعات العرض الرئيسية، وأجهزة الإنذار والمراقبة، كما توجد قاعات عرض بالطابق الثاني، وقاعات للمحاضرات، فيما يضم الطابق الثالث مكتبة تضم مركزًا للمعلومات وتتصل بمثيلاتها من المكتبات عبر شبكة «إنترنت».


عباس محمود العقاد

من ناحية ثانية شكلت وزارة الثقافة لجنة خاصة من المجلس الأعلى للآثار لبحث التعويض المناسب لورثة المفكر الراحل عباس محمود العقاد، تمهيدًا لتحويل منزله في أسوان إلى متحف يحمل اسمه ويضم مقتنياته وكتبه.

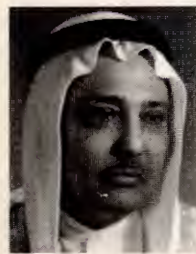
جمعية أدبية لأصدقاء باكثير

تأسست - مؤخرًا - في القاهرة جمعية أدبية جديدة تحمل اسم «جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير» برئاسة الأديب والفنان التشكيلي إبراهيم الأزهري.

تسعى الجمعية إلى العناية بتراث الأديب الشاعر الراحل، سواء المطبوع منه أو المخطوط، وإتاحة الفرصة للباحثين للاطلاع على مكتبته الشخصية وأوراقه الخاصة، وإقامة ندوات تناقش أعماله، كما تعتزم الجمعية إصدار مجلة تحمل اسم «حوليات باكثير».

يذكر أن الفيصل كانت قد انفردت قبل أربعة أعوام بنشر إبداعات مخطوطة لباكثير لم يسبق أن نُشرت.

الترشيح لجائزة شاعر مكة


محمد حسن فقي

أعلنت الأمانة العامة لهيئة جائزة شاعر مكة المكرمة الكبير محمد حسن فقي عن فتح باب الترشيح للجائزة في دورتها الرابعة في مجالي: أفضل ديوان شعر، وأفضل عمل في نقد الشعر.

يُشترط التقدم بعمل واحد، على ألا يكون قد مضى على نشره للمرة الأولى أكثر من خمس سنوات تنتهي في 1997/11/30م، وألا يكون قد سبق فوز العمل المرشح بجائزة مناظرة، وأن تصل الترشيحات إلى الأمين العام لهيئة الجائزة الأستاذ أحمد فراج على عنوان الهيئة: ص.ب 108 الأورمان، الرمز البريدي 121612، الجيزة، مصر، في موعد غايته نهاية شهر رجب المقبل (30 نوفمبر 1997م).

الاحتفاء بالكيلاني والجارم

يعتزم المجلس الأعلى للثقافة في إطار خطته لتكريم رواد الأدب والفكر تنظيم ندوة علمية موسعة عن رائد أدب الأطفال كامل الكيلاني خلال المدة من 9 إلى 13جمادى الآخرة الجاري (10- 14 أكتوبر 1997م)، وأخرى عن الشاعر علي الجارم خلال شهر فبراير من العام الميلادي المقبل 1998م.

تستمر ندوة الكيلاني خمسة أيام بمشاركة مجموعة من المتخصصين بمجال الكتابة للطفل.

أما ندوة الجارم فيشارك فيها نخبة من الأدباء والنقاد العرب، وتتضمن مناقشة إبداع الجارم نثرًا وشعرًا، ودوره في التربية والتعليم واللغة من خلال عمله في التفتيش، وتوليه وكالة كلية دار العلوم وعضويته بمجمع اللغة العربية.

جائزة عربية لتحقيق التراث

جدد معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع للمنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة دعوته لشباب محققي التراث العربي للتقدم بنتاجهم لنيل الجائزة العربية لتحقيق التراث لعام 1998/97م.

ومجال الجائزة هو التراث الفكري العربي المخطوط من خلال تحقيق نص من نصوصه تحقيقًا علميًا منهجيًا. وتحددت نهاية شهر يونية من العام الميلادي المقبل 1998م موعدًا نهائيًا لاستقبال الأعمال المرشحة، ويجوز التقدم بأكثر من عمل واحد.

مؤتمر دولي للآثار المصرية

تنظم وزارة الثقافة المصرية خلال شهر رجب المقبل مؤتمرًا علميًا ودوليًا للآثار المصرية بمناسبة الاحتفال بمرور 75 عامًا على اكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون، التي تعد من أكثر الآثار المصرية شهرة.

يستمر المؤتمر ثلاثة أيام يناقش خلالها الدراسات والبحوث حول الآثار المصرية بعامة، وآثار الملك توت عنخ آمون ومقبرته بخاصة، وكذلك تجارب الترميم الآثاري.

دورية محكمة للدراسات اللغوية العربية

قرر قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة إنشاء دورية علمية محكمة تهتم بالدراسات اللغوية العربية.

يجيء القرار في إطار جهود رئيس القسم د. محمود فهمي حجازي لتطوير برامج اللغة العربية في أقسام الكلية المختلفة.

كتب جديدة

مَنْ هو اليهودي؟، تأليف د. عبدالوهاب المسيري، صدر عن دار الشروق بالقاهرة.

الفكر الشرقي وبدايات التأمل الفلسفي، تأليف د. جمال المرزوقي، صدر عن دار الهداية.

أزمة منتصف العمر، تأليف إيدا لوشان، ترجمته إلى العربية سهير صبري، وصدر عن دار شرقيات.

الأنا والآخر (قصص من أمريكا اللاتينية) ترجمها إلى العربية د. طلعت شاهين، وصدرت ضمن سلسلة «آفاق الترجمة» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

أُخ لنفسك فرصة، تأليف جوردن بايرون، ترجمه إلى العربية عبدالمنعم محمد الزيادي، وصدر عن مكتبة الخانجي.

أوراق مجهولة للدكتور طه حسين، تأليف إبراهيم عبدالعزيز، صدر ضمن سلسلة «اقرأ» عن دار المعارف.

نظرية الأدب في القرن العشرين، تأليف ك.م. نيوتن، ترجمه إلى العربية د. عيسى علي الكاعوب، وصدر عن دار عين للنشر.

الشخصية المصرية: دراسة أنثروبولوجية للمدرسة المصرية في الفن والحياة، تأليف د. علياء رافع، صدر عن دار صادق للنشر بالاسكندرية.

قاموسي الممتع (قاموس عربي إنجليزي للأطفال بين 8-12عامًا) إعداد عبدالحميد توفيق وآخرين.

طفلك الموهوب: اكتشافه، رعايته، توجيهه، تأليف د. علي سليمان.

صدر الكتابان السابقان عن دار سفير للإعلام والنشر.

الأردن

ملتقى الإبداع النسائي

اختُتمت - مؤخرًا - في عمان أعمال ملتقى الإبداع النسائي الأول الذي نظمته وزارة الثقافة الأردنية وشارك فيه 23 باحثًا وباحثة من الأردن والسعودية ومصر ولبنان وفلسطين والعراق.

ومن أبرز القضايا التي طرحها الملتقى موضوع خصوصية الإبداع النسائي من خلال تفرد تقنيات التعبير وخاماته في مجالات: الأدب والنحت والتصوير والمسرح. وأقيم على هامشه معرض للكتاب وآخر للفن التشكيلي إلى جانب عرض مسرحي.

تأجيل معرض الكتاب

تقرر تأجيل معرض عمان الدولي السابع للكتاب الذي كان من المتوقع افتتاحه في الثاني والعشرين من شهر جمادى الآخرة الجاري (23 أكتوبر 1997م).

جاء التأجيل بناء على توصية من اتحاد

رسائل جامعية

«دراسة استطلاعية لآراء الإخصائيين النفسيين السعوديين في مستشفيات وعيادات الصحة النفسية الحكومية تجاه أخلاق المهنة التي يمارسونها»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها محمد إبراهيم عبدالرحمن فضل.

«دور الملوثات الصناعية في الإخلال بالبيئة البحرية في الحوض المتوسطي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في مدينة فاس المغربية، تقدم بها ناجي عزالدين الصديق.

«فلسفة السعادة عند الإمام الغزالي»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العربية بمدينة المنيا المصرية، تقدم بها أمجد سيد.

«القرافي وآراؤه الكلامية»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب في مدينة بنها المصرية، تقدم بها فيصل الرشيدي.

«النقد في آثار أبي العلاء المعري»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، تقدمت بها نادية صلاح الدين.

«تأثير الغوص على الأذن الوسطى والأذن الداخلية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة القاهرة، تقدم بها د. خالد محمد عبدالسلام.

«واقع البحث العلمي في بعض الجامعات السعودية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة أسيوط، تقدم بها محمد سالم الغامدي.

«فن التحرير الصحفي».. دراسة مقارنة بين مجلتي المصور المصرية والنيوزويك الأمريكية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها هاني محمد علي.

«الجماعات العربية في أسوان والنوبة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت

الناشـرين الأردنيين نظرًا للظروف العامة وانشغال المجتمع الأردني بالانتخابات النيابية. ولم يتم بعد تحديد موعد جديد لافتتاح المعرض.

كتب جديدة

أسلاك تصطخب، مجموعة قصصية لأحمد زين.

صلوات العاشق السومري (دراسة لبعض دواوين الشاعر عبد الوهاب البياتي)، أعد الدراسة عذّاب الركابي.

صدر الكتابان السابقان عن دار أزمنة في عمان.

المنفى المستحيل، شعر جوزيف برودسكي، ترجمه إلى العربية غازي مسعود، وصدر عن دار الشروق.

وجع النخيل، ديوان لمحمد ضمرة، صدر عن وزارة الثقافة.

سورية

وفاة القاص الشاعرمحمود موعد

نعت الأوساط الثقافية والأدبية الفلسطينية الأديب القاص الشاعر محمود موعد الذي وافاه الأجل في دمشق.

ومحمود موعد من مواليد صنورية بالناصرة، وأقام في دمشق منذ نكبة فلسطين عام 1948م، حيث اختلط بمجتمعها وأدبائها، وقدم نتاجًا غزيرًا من أبرزه مجموعاته القصصية «رباعية الموت والجنون»، «المرايا» «قصص من فلسطين»، ومن مجموعاته الشعرية «عاشق من فلسطين»، و«برقوق من فلسطين».

كتب جديدة

أفراح صغيرة.. أفراح أخيرة، رواية لهيفاء بيطار، صدرت عن دار الأهالي في دمشق.

غسق الأكاسيا، مجموعة قصصية لأنيسة عبود، صدرت عن منشورات اتحاد الكُتّاب العرب.

يحدث أمس، رواية لإسماعيل فهد إسماعيل، صدرت عن دار المدى.

الاقتصاد السوري على مشارف القرن الحادي والعشرين، تأليف منير الحمش، صدر عن دار مشرق ـ مغرب.

العين الأكثر زرقة، رواية لتوني موريسون، ترجمها إلى العربية فاضل السلطاني، صدرت عن دار الطليعة الجديدة.

حراس العالم، تأليف ناظم مهنا، صدر عن وزارة الثقافة.

لبنان

معرض بيروت للكتاب

تُفتتح الدورة الحادية والأربعون لمعرض بيروت العربي الدولي للكتاب في السادس من شهر شعبان المقبل (5 ديسمبر 1997م).

تستمر الدورة اثني عشر يومًا بمشاركة دور نشر ومؤسسات ثقافية ومراكز جامعية عربية وأجنبية، وتقام على هامشه نشاطات ثقافية متنوعة ما بين أمسيات شعرية وقصصية وندوات ومحاضرات فكرية وفنية ونقدية، كما يتم تكريم بعض الرموز الثقافية العربية.

يذكر أن المعرض ينظمه النادي الثقافي العربي في بيروت.

كتب جديدة

دفاعًا عن السلام، تأليف حازم صاغية، صدر عن دار النهار في بيروت.

قاموس الإنسان والمجتمع، إعداد هادي

في معهد الدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة، تقدم بها حسن مدني.

«المرأة في الشعر الجاهلي»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها عبدالمجيد مهدي محمد.

«الحركة العلمية في مدينة واسط خلال العصر العباسي الأول»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها محمد أحمد الشحري.

«الاستشراق ومفهوم التجديد عند المستشرق هاملتون جب»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها عبدالرزاق بن حميد المحمدي.

«قضية المرأة المصرية في المسرح النثري»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بمدينة المنيا المصرية، تقدم بها عبدالرزاق عبدالعاطي.

«تأثير الواقع الثقافي على بناء القيم التربوية في صحافة الأطفال.. دراسة تحليلية لعينة من مجلات الأطفال في مصر والسعودية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، تقدم بها أسامة عبدالرحيم.

«شبكات الاتصال وأثرها على تطوير نظم المعلومات الصحفية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية التجارة الخارجية بجامعة حلوان، تقدم بها أيمن الشحات خضر.

«دور وسائل الإعلام كأداة في الصراع: دراسة تطبيقية على حرب الخليج»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدم بها محمود عبدالفتاح عيد.

«الشخصية الشرقية في بعض الأعمال التراجيدية لمارلو وبيل ودرايدن وشريدان»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تقدم بها أحمد جمال التريجي.

«التمريض الجراحي والباطني»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها هدى عزت عبدالرؤوف.

العلوي، صدر عن دار الكنوز الأدبية.

السيد بالومار، تأليف ايتالو كالفينو، ترجمه إلى العربية بسام حجار، وصدر عن دار الفارابي.

ناحية البراءة، رواية لرشيد الضعيف، صدرت عن دار المسار.

حصاد الذاكرة: منح خوري يتذكر لبنان وفلسطين والمهجر، أعده وقدم له قيصر عفيف، وصدر عن دار الجامعة في صيدا.

جد سابع للصمت، مجموعة شعرية لسعد الهمزاني، صدرت عن دار الجديد في بيروت.

النزاعات الاثنية في الدول التعددية، تأليف غسان رعد، صدر عن دار نشر صادر.

فلسفة الحق والدولة الآتية، تأليف غسان خالد، صدر عن مؤسسة نوفل.

تونس

ندوة دولية عن القدس والتراث الإسلامي

قرر المجلس التنفيذي للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تنظيم ندوة فكرية دولية حول مدينة القدس الشريف وتراثها الحضاري والثقافي العربي والإسلامي خلال العام الميلادي المقبل.

جاء ذلك في ختام اجتماعات دورة المجلس، التي عُدت من أهم الدورات، حيث تم خلالها اتخاذ قرارات لتطوير المنظمة بما يجعلها مؤهلة لمواكبة التغيرات العالمية. فقد أكد المجلس ضرورة أن تتضمن برامج المنظمة وميزانيتها لعامي 1999/2000م جملة من المشروعات المستقبلية الكبرى بما يؤهلها لمواجهة التحديات الثقافية والتربوية والثورات العالمية في مجالي المعلومات والاتصال.

أطفال المتوسط يطالبون بتنمية دور الإعلام لنشر الثقافة البيئية

دعت الندوة المتوسطية لأطفال حوض البحر المتوسط إلى تنمية دور الإعلام في نشر الثقافة البيئية ولاسيما لدى الأطفال، وتنظيم حملات تشجير ومقاومة التصحر.

وطالبت الندوة في ختام اجتماعاتها التي عُقدت في تونس - مؤخرًا - تحت شعار «المتوسط بين أيدي أطفاله» بتنظيف شواطئ البحر المتوسط من النفايات، وإعداد قوانين حازمة لهذا الغرض، وإيجاد المحميات الطبيعية للمحافظة على الحيوانات من الانقراض.

يذكر أن الندوة جاءت في إطار تنفيذ توصيات «قمة الأرض 1992م»، وترمي إلى المساعدة على التقارب بين أطفال حوض البحر المتوسط وتبادل المعلومات بينهم.

من الكتب الجديدة

العشق للوطن. ديوان للشاعر الشاذلي أوكار، صدر عن دار نقوش عربية.

المغرب

إدراج مناطق جديدة في التراث العالمي

قرر مكتب التراث العالمي التابع لمنظمة اليونسكو الدولية إدراج مناطق مغربية جديدة ضمن المعالم الأثرية.

من المناطق التي أدرجت مدينة تطوان، ومدينة الصويرة، وموقع وليلي الأثري.

كتب جديدة

هل دقت ساعة الإصلاح؟، تأليف محمد أديب السلاوي، صدر عن دار البوكيلي للطباعة والنشر في القنيطرة.

قوارب الهجرة، مجموعة قصصية لجعفر أحمد البديعي ، صدرت عن دار الجسور في وجدة.

على الدرب مع الطيب صالح: ملامح من سيرة ذاتية، تأليف طلحة جبريل، صدر عن دار نشر توب للاستثمار والخدمات.

ألمانيا

معرض فرانكفورت للكتاب يحتفي بأدب البرتغال

يشارك ما يزيد على مئة دولة في الدورة الجديدة لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب، الذي يعد الأكبر من نوعه في العالم، خلال المدة من 14 إلى 19 جمادى الآخرة الجاري (15- 20 أكتوبر 1997م).

وكعادة المعرض كل عام في تكريم أدب إحدى الدول المشاركة، اختير الأدب البرتغالي للاحتفاء به، ولتكون البرتغال البلد الضيف في معرض العام الحالي، حيث سيشهد المعرض ندوات متخصصة بالأدب البرتغالي.

رحيل كاتب قصص الأطفال جيمس كروس

توفي كاتب قصص الأطفال جيمس كروس إثر أزمة قلبية عن عمر ناهز 71 عامًا.

وكروس المولود في جزيرة هيجولاند بشمال ألمانيا من أبرز كُتّاب الطفل، وهو حاصل على جوائز وأوسمة عديدة، وتُرجمت قصصه إلى لغات أوربية كثيرة منها الإسبانية.

فيمار المدينة الثقافية الأوربية لعام 1999م

بدأت مدينة فيمار استعداداتها للاحتفال باختيارها المدينة الثقافية الأوربية لعام 1999م.

تشمل الاحتفالات التي تقام بهذه المناسبة افتتاح متحف جوته الوطني خلال عام 1999م، في ذكرى مرور 250 عامًا على مولد أديب ألمانيا الكبير، ويتم خلال افتتاح المتحف عرض ألف عمل من الأعمال الفنية الأصلية لكبار فناني العالم.

وفاة التشكيلي كران فرانز

توفي الفنان التشكيلي كران فرانز بعد صراع مع مرض السرطان عن عمر ناهز 87 عامًا.

ويُعدّ كران فرانز أبرز رواد الحركة الإبداعية الحديثة في ألمانيا، وقد تلمذ لأشهر فناني أوربا مثل فاسيلي، وكندافسكي، وغيرهما، وعُرضت أعماله الفنية في شتى بلدان أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.

الصين

اكتشاف أقدم نقوش صينية مكتوبة

عُثر في مقاطعة شاندونغ الشرقية على

نقشين منقوشين على عظام يرجع عمرها إلى أكثر من أربعة آلاف عام.

ويظن الآثاريون أن هذين النقشين أقدم النقوش الصينية المكتوبة، حيث يعدان أقدم بنحو ألف عام من الاكتشاف الشهير لنقوش مكتوبة على هياكل سلاحف وعظام ثور في أسيد دوينز

بريطانيا

مركز «المنار» الإسلامي

يجري حاليًا إنشاء مركز التراث الثقافي الإسلامي (المنار) في منطقة كنزنجتون بوسط لندن، الذي يسعى إلى إيجاد مرافق إسلامية لإقامة الشعائر وتقديم خدمات تعليمية واجتماعية واقتصادية وثقافية وتربوية لأبناء الجالية الإسلامية هناك.

يتكلف المشروع قرابة أربعة ملايين ونصف المليون جنيه استرليني، ويشتمل على مسجد، ومكتبة، ومعرض دائم، وقاعة للقاءات الثقافية والاجتماعية، وفصول دراسية لتعليم العربية ومبادئ الإسلام، ودار حضانة، وملتقى للمسنين، ومركز اجتماعي للإرشاد والمساعدة عند حدوث متاعب أسرية لدى أبناء الجالية، وآخر للتأهيل المهني، فضلاً عن مكاتب استشارية متخصصة بأمور الصحة العامة والأمور المهنية، وقسم لتعزيز العلاقات بين أبناء الجالية المسلمة.

برنامج ثقافي سعودي

يُنتظر أن تستضيف العاصمة لندن وعدد من المدن البريطانية برنامجًا ثقافيًا سعوديًا يشمل محاضرات وأمسيات شعرية وقصصية وفكرية إلى جانب معارض متنوعة.

البرنامج يعد حاليًا لوضع خطوطه العريضة بالتعاون بين الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون وسفارة خادم الحرمين الشريفين في بريطانيا.

معرض لمجموعة بول أوبا

يقام حاليًا في تيت جاليري في لندن معرض يضم نحو ثلاثة آلاف لوحة مائية ورسومات مأخوذة من مجموعة بول أوبا (1878- 1957م).

وكان أوبا الذي عُرف باهتمامه بالفن التشكيلي قد أمضى في تجميع مجموعته ما يزيد على نصف القرن.

وتعود المعروضات إلى مراحل زمنية مختلفة بدءًا من أواخر القرن السادس عشر إلى أوائل القرن العشرين.

وفاة عالم النفس هانز أيزنك

بعد نصف قرن من العطاء، أطفأ الموت شمعة عالم النفس البريطاني الألماني الأصل هانز أيزنك، الذي توفي في مطلع شهر جمادى الأولى المنصرم عن عمر ناهز81 عامًا.

ولأيزنك قرابة ستين كتابًا تناولت موضوعات عديدة مثيرة للجدل، لعل من أهمها موضوعي الشخصية، ووراثة الذكاء.

صحيفة عربية أسبوعية

صدر - مؤخرًا - العدد التجريبي من صحيفة «الشاهد الدولي» الأسبوعية التي تهتم - كما أوضحت في افتتاحيتها - بالقضايا العربية والإسلامية والأفريقية.

تصدر الصحيفة عن مؤسسة «الشاهد الدولي» للخدمات الإعلامية، ويرأس تحريرها د. محمد محجوب هارون.

مجلة قصص

انضمت إلى ركب الصحافة العربية المهاجرة مجلة فصلية جديدة تختص بالقصة والمراجعات النقدية وتحمل اسم «قصص».

يرأس تحرير «قصص» التي صدر عددها الأول - مؤخرًا - كريم عبد.

أحدث الكتب

الجيب الآمن: سيربرنيتشا: أبشع مذبحة عرفتها أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية، تأليف ديفيد رود، صدر عن دار نشر سايمون أندشوستر.

منزل البروفيسور، تأليف ويلا كاتر، صدر عن دار نشر ريفاج بوش.

جنوب شرق آسيا، تأليف كليف جي كريستي.

البريطانيون والحرب، تأليف لوس نواكس.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر توريس.

الجاليات المسلمة في أوربا الجديدة، تأليف الدكاترة: جيرو ناغان، وتيم نيبلوك، وبوجدان سزاجكوسكي، صدر عن دار نشر ايثاكا برس.

نزعة الأنسنة في الفكر العربي: جيل مسكويه والتوحيدي، تأليف محمد أركون، ترجمه إلى العربية هاشم صالح، وصدر عن دار الساقي.

مانهاتن نوكتورن، رواية لكولين هاريسون، صدرت عن دار نشر بلو مزبري.

لندن بين العراقة والحداثة، تأليف إدوارد راترفورز، صدر عن دار نشر كراون.

إسبانيا

ندوة التراث الأندلسي

ينظم برنامج التراث الأندلسي بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة ندوة في غرناطة عن التراث الأندلسي، وذلك خلال المدة من 4 إلى 7 جمادى الآخرة الجاري (5 - 8 أكتوبر 1997م).

تناقش الندوة عدة موضوعات منها: الأندلس من الداخل، العلاقات بين الثقافات والأديان، الأندلس والآخرون، الأندلس وأوربا المسيحية، الأندلس والمغرب العربي، الأندلس وبلدان أفريقيا، مسالك الصحراء والطرق المتوسطية للأندلس، وغير ذلك من الموضوعات التي تسعى إلى تعميق البحث في الحوار بين الثقافات في العصر الأندلسي.

الحركة الثقافية في شهر

الدانمارك

جائزة دارسوس للشاعر العراقي منعم الفقير

مُنح الشاعر العراقي منعم الفقير جائزة دارسوس للسلام بالاشتراك مع مجموعة من المبدعين هم كريستين ينسن، وبيتر سيبيرج، ويان ستابة، ولينا جرام، تقديراً لكتاباتهم التي تدعو إلى السلام، وتسهم في إرساء أسس التفاهم بين الشعوب.

يُذكر أن الجائزة يقدمها اتحاد الكُتَّاب الدانماركيين، وقد جرى تسليمها للفائزين - مؤخراً - في حفل كبير بحضور مجموعة من النقاد والإعلاميين.

السويد

ملتقى للكاتب والكتاب العربي

شارك مبدعون عرب من جنسيات مختلفة في ملتقى للكاتب والكتاب العربي نظمه في مدينة مالمو المركز الثقافي العربي بالسويد.

سعى الملتقى إلى التعريف بالطاقات الإبداعية الخلاقة والكفاءات العربية المبدعة على الساحة الثقافية في السويد.

من أحدث الكتب

الأرض الضائعة، تأليف بوران روزنبرج، صدر عن دار نشر بونيرز في استوكهولم.

النرويج

مهرجان بيونسون الأدبي

شارك أدباء وشعراء ونقاد وباحثون من مختلف أنحاء العالم، منهم العراقي منعم الفقير والتركي يشار كمال والنيجيري وولي سوينكا في مهرجان بيونسون الأدبي العالمي الذي اختتم أعماله مؤخراً في أوسلو.

حمل المهرجان اسم الشاعر النرويجي بيونستيرنه بيونسون (1832- 1910م) وأخذ طابعاً احتفالياً متعدد الفعاليات ما بين محاضرات وندوات وقراءات وأمسيات ومعارض.

الولايات المتحدة

معرض للفنون الأفريقية

يستضيف متحف أمريكا القومي للفن - حالياً - معرضاً أفريقياً بعنوان «ثروات من ترافون».

يضم المعرض 120عملاً ومقتنيات من منطقة أفريقيا الوسطى ما بين تحف وأقنعة وأوعية قام بجمعها مسؤولون وبعثات بلجيكية.

وينتظر أن ينتقل المعرض في منتصف الشهر الجاري إلى نيويورك، ومنها إلى مدينتي دوسلدورف الألمانية وبرشلونة الإسبانية.

من أحدث الكتب

السيارة، تأليف ماري وولتن، صدر عن دار نشر نورتن.

النمسا

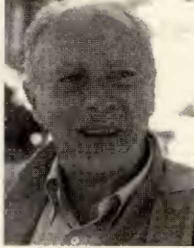
وفاة الفيلسوف وعالم النفس فرانكل

فقدت النمسا عالمها النفسي وفيلسوفها الكبير فيكتور فرانكل الذي توفي - مؤخراً - عن عمر ناهز 93 عاماً.

يعد فرانكل ثالث أضلاع مثلث مدرسة النفس النمساوية بعد سيجموند فرويد وألفريد إدلر، ومن أبرز نظرياته «نظرية البحث عن معنى الحياة حتى في أحلك لحظات الضعف والإخفاق» التي ألف عنها وحدها قرابة 30 كتاباً من 123كتاباً قام بتأليفها، حيث استفاد من تجربته في معسكر اعتقال نازي عام 1942م، وهي التجربة التي رواها في كتابه «نعم للحياة».

فرنسا

غياب الروائي روبير بينجيه


كلود سيمون

توفي الروائي والكاتب المسرحي الفرنسي السويسري الأصل روبير بينجيه عن عمر ناهز 78 عاماً.

يعد بينجيه أحد الذين حملوا مشعل «الرواية الجديدة» خلال حقبة الستينيات الميلادية إلى جانب صمويل بيكيت وكلود سيمون وناتالي ساروت، وهو من مواليد جنيف عام 1919م، وحصل على إجازة المحاماة لكنه لم يعمل بها، وبدأ يبرز روائياً عام 1959م، بعدها قدم ما يزيد على ثلاثين مؤلفاً، من أبرزها مسرحيته «رسالة بلارو»، وحمل آخر أعماله الأدبية عنوان «بقع من الحبر».

أحد ث الكتب

تاريخ الولايات المتحدة، تأليف برنارد فنسنت.

مبادئ الحكم التمثيلي، تأليف برنارد مانين.

صدر الكتابان السابقان عن دار فلاماريون بباريس.

المسلسلات الحديثة، تأليف آلان كارازي، صدر عن دار نشر الفن السابع.

رقصة الأشواق، مختارات قصصية لإدوار الخراط، ترجمتها إلى الفرنسية د. ماري فرنسيس، وصدرت ضمن سلسلة «العالم العربي» عن دار نشر اكت سود.

إدارة المكتبات، تأليف بيير كاربوني، صدر عن دار نشر إيلا كنز.

المدرسة، نقل المعرفة في العالم الإسلامي، تأليف نيكول كراندن.

مارك كابوريو، صدر عن دار نشر أدشن أرجومنتس.

قاضي الشعراء

د. محمد بن صالح الجاسر

قاضي الشعراء هو زهير بن أبي سُلْمى (ت: 13 ق.هـ/609م) في نظر علماء الأدب الأقدمين، وقد خلعوا عليه هذا اللقب الكبير كما ذكر ابن رشيق القيرواني؛ لأنه قال في إحدى قصائده:

فإن الحق مقطعه ثلاث:

أداءٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

(والرواية بكسر الجيم من المجالاة، ويُروى الشطر الثاني أيضًا هكذا: يمينٌ أو نفارٌ أو جَلاء [بفتح الجيم] انظر اللسان: مادة جلا).

لكننا أيضًا نستطيع أن نجاري علماء الأدب الأقدمين في هذه التسمية؛ ليس لأنه صاغ لنا قاعدة فقهية في بيت من الشعر، وإنما لأنه اشتهر بالرصانة، ورجاحة العقل، والسمو في التفكير شأن القضاة، وجميع المصلحين، فمع أنه عاش في العصر الجاهلي ولم يدرك الإسلام وينعم بتعاليمه الراقية التي تهذب الأخلاق، وتسمو بالنفوس، إلا أنه عاش عيشة إسلامية صرفة في منطقه، وتفكيره، وفي سلوكه، وعمله، بل إنك تلمس في بعض أبيات شعره حرارة الإيمان وبرد اليقين كقوله مثلاً:

فلا تكْتُمنَّ الله ما في نُفُوسكم

ليَخفى ومَهْما يُكتَم اللهَ يَعْلَمِ

يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخَرْ

ليوم الحسابِ أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ

ومن هنا فإن المرء ليعجب أشد العجب كيف تأتّى لشاعر عاش في العصر الجاهلي حيث الولاء للقبيلة ظالمة أو مظلومة، وحيث تتحكم القوة في سلوك الإنسان، وحيث تتراجع الأخلاق التي تدعو إلى الألفة والمحبة، والسلوك السوي؛ كيف تأتّى لزهير أن ينعتق من محيطه، ويغاير مجتمعه الذي يقدّس القوة، ويتعصب للقبيلة، ويجاهر بالظلم والجبروت، ويصوغ لنا تلك الأبيات الرائعة التي تحث على مكارم الأخلاق، وعلى التسامح، والحب، والصدق، والأمانة، والإخلاص، وهي التعاليم الراقية التي جاء بها الإسلام، ونقل بها أمة العرب من الهمجية والتأخر إلى الحضارة والتقدم.

وليس في الأمر ما يدعو إلى العجب كما تراءى لبعض المؤرخين؛ لأن الله - سبحانه وتعالى - قد خلق الإنسان وميزه بالعقل منذ بدء البشرية، فهو بعقله المستنير يدرك النافع من الضار، والصالح من الطالح، وما يجوز وما لا يجوز، وقد وُجد في العصر الجاهلي أمثال زهير ممن أدركوا بثاقب نظرهم ونور بصيرتهم أن شرور الإنسان إنما تأتي من عَرَامة شهوته وانسياقه وراء عاطفته وهواه، وأن الإنسان سوف يُحاسبُ على كل خطأ يرتكبه، وكل سيّئ يعمله، كما وُجد في العصر الإسلامي من لم يمنعه إيمانه من ارتكاب الشرور، ومقارفة الآثام، فالقضية قضية إيمان، وتبصر ومقدرة على استخدام العقل، وعلى التفكر، والتأمل في الكون، وفي النوازع الإنسانية، وآثارها، وفي مصير الإنسان بعد أن يُوارى في التراب، ويترك كل شيء سوى نتائج عمله وسلوكه، وإن كان هذا لا يلغي دور الأديان في هداية الناس وإرشاد العباد.

أما الفصل الرائع في حياة هذا الرجل الحكيم فهو دوره في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان، فقد كان دورًا رائعًا حقًا، فلم تأخذه الحمية الجاهلية، والنعرة القبلية لقوم ظالمين أو مظلومين، ولم يجار الشعراء الآخرين في إيقاد لهيب الحرب، وتأجيج نار الحقد بين القبيلتين المتحاربتين، بل حرص على أن يهدئ من روح المتخاصمين، ويستّل السخائم من النفوس، فأنشأ قصيدته أو معلقته التي تتحدث عن الحروب، وما تخلفه من مآس، وما تنتجه من شرور، وفي هذه القصيدة تتجلى روح زهير الحكيم المجرب الحصيف الأريب، فقد ملأ قصيدته بالحكم والأمثال، والآراء الناضجة، والتصورات الصادقة كقوله:

ومن لم يصانعْ في أمورٍ كثيرة

يضَرسْ بأنيابٍ ويُوطأ بمَنْسِمِ

ومنْ يكُ ذا فضلٍ فَيَبْخَلْ بفضله

على قومه يُستغنَ عنه ويُذْمَمِ

ومهما تكنْ عند امرئٍ من خليقَةٍ

ولَوْ خَالَهَا تَخْفَى على النّاسِ تُعْلَمِ

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فُؤَادُهُ

فلَم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ

وإن سَفَاهَ الشيخِ لا حِلْم بَعْدَه

وإن الفتى بعد السَّفَاهَة يَحْلُمِ

وما الحربُ إلا ما عَلمتم وذُقتمُ

وما هُوَ عنها بالحديثِ المُرَجَّمِ

ومَنْ لا يَذُدْ عن حَوضه بسلاحه

يُهدمْ ومن لا يَظْلِم الناسَ يُظلمِ

وقد يستغرب بعضهم قوله: ومن لا يظلم الناس يظلم، وهو قطعًا يتعارض مع مبادئه التي يؤمن بها، وهو في موقف الداعي إلى السلام، ونبذ الشقاق بين القبيلتين المتحاربتين، ولكنه في الواقع لا يريد الظاهر من هذا اللفظ وإنما يريد أن ينصح الإنسان بأن يكون بمنجى من الظلم، وأن يكون حذرًا متيقظًا أمام نفسه وأمام أعدائه، وألا يُغري أحدًا بالمساس بحقوقه أو التعدي عليه؛ لأن هذا سوف يؤدي - من ثم - إلى المجابهة والصراع، والخسارة سوف تكون على الطرفين، على غرار قول ابن دريد في مقصورته:

مَنْ ظلمَ الناس تَحَامَوا ظُلمه

وعزّ عنهم جَانباه واحتمى



الجزيرة



تحليل محتوى أدب الأطفال

في ضوء معايير الأدب في التصور الإسلامي

بحث يقوم على تحليل عينات من عشرين مجموعة قصصية في أدب الأطفال، تضمنت القصة التاريخية والأسطورية والخيالية والفكاهية، وتلك التي تتحدث على لسان الطيور والحيوانات، وقصص التربية الإسلامية. وقد توصلت الباحثة نعمة عبدالله إسماعيل حويحي، من خلال هذا البحث، إلى مجموعة من المعايير التي على أساسها يمكن أن نقدم للأطفال أدبًا إسلاميًا متميزًا في مجال القصة.

ومن ضمن الإجراءات التي اتبعتها الباحثة في تنفيذ بحثها والتوصل إلى التوصيات التي استخرجتها من الموضوع: الرجوع إلى بعض الدراسات والبحوث التي أُجريت في مجال أدب الأطفال لمعرفة الطريقة التي اتُبعت في تلك الدراسات، وكذلك معرفة الوسائل والأساليب وأدوات البحث التي استُخدمت فيها، للوقوف على النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسات. كما عمدت الباحثة إلى صوغ إطار نظري للأدب في التصور الإسلامي بصفة عامة، وأدب الأطفال بصفة خاصة، وذلك لتحديد مفهوم الأدب في التصور الإسلامي ومعايير الجودة التي يمكن بها تمييز الأدب الإسلامي من غيره من الآداب، وقد توصلت الباحثة إلى اشتقاق 80 معيارًا لضبط أدب الأطفال وفق التصور الإسلامي.

يقع البحث في 270 صفحة من القطع المتوسط، وصدر ضمن الأعمال المحكمة لمكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض.



الأطلس الاقتصادي للعالم الإسلامي

كتاب إحصائي معلوماتي تعرض فيه المؤلف، د. عبدالرحمن حميدة، للأوضاع الاقتصادية لمجموعة الدول المنضوية تحت مظلة منظمة المؤتمر الإسلامي (46 دولة) والمستويات المعيشية لهذه الدول، وثرواتها، وتجارتها الخارجية وواقع التنمية فيها، وآفاقها المستقبلية التي استشفها من خلال الموازنة بين تسارع النمو السكاني والتنمية الاقتصادية في كل دولة.

اعتمد المؤلف في تناوله موضوع الكتاب على إحصاءات حديثة، وصدَّر الكتاب بلوائح تدل على مستويات الدول ودخل مواطنيها وترتيب ثروات الدول الإسلامية، وهو يشير إلى أن «لغة الأرقام» - بوصفها لغة محايدة - قد كشفت التفاوت الاقتصادي الشديد بين الدول الإسلامية.

اشتمل الكتاب على ملحق يضم: سكان العالم الإسلامي، المسلمين في العالم، تصنيف هذه الدول وفقًا للناتج القومي الإجمالي، والناتج القومي للفرد، المذاهب الفقهية في الدول الإسلامية، التقسيم القطاعي للسكان العاملين، توزيع الناتج القومي المحلي، المنتجين الكبار لبعض السلع الاستراتيجية. وختم الملحق بإيراد تعريف لبعض المصطلحات الجغرافية والاقتصادية.

يقع الكتاب في 468 صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر في دمشق.



أعلام من الأحساء

دليل تراجم لأبرز الرجال الذين شاركوا في الحركة السياسية والثقافية والاجتماعية في الأحساء (المنطقة الشرقية)، خلال المدة من القرن الخامس حتى القرن الرابع عشر الميلادي. وقد ضمّن المؤلف، عبدالرزاق بن عبدالله بن عبدالرزاق البابطين، كتابه 94 شخصية، وبحث فيه سيرة هذه الشخصيات وأثرها الاجتماعي والتاريخي والفكري، مؤملاً أن يكون قد حقق كشفًا لما أخفاه التاريخ من إنجازات هؤلاء الرجال، وأن يسهم في إبراز الوجه الحضاري للأحساء من طريق تشجيع الباحثين المتخصصين وحفزهم إلى تحقيق التراث العلمي والأدبي لعلماء المنطقة.

اعتمد المؤلف في اختيار الشخصيات والأعلام - التي ضمّنها الدليل ورتبها حسب الحروف الهجائية - منهجًا «مماثلاً تقريبًا لمنهج خيرالدين الزركلي في كتابه الأعلام»؛ إذ جعل ميزان الاختيار لصاحب الترجمة «علمًا تشهد به تصانيفه، أو خلافة أو ملكًا أو إمارة، أو منصبًا رفيعًا - وزارة أو قضاء - كان له فيه أثر بارز، أو رئاسة مذهب، أو فنًا تميز به، أو شعرًا أو أصل نسب».

يقع الكتاب في 99 صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع في الخُبر بالمنطقة الشرقية.



الحكمة في شعر أبي تمام

دراسة تتناول جانبًا من شاعرية أبي تمام حبيب بن أوس الطائي. وقد قام الدكتور محمود شاكر سعيد بتسليط الضوء على مضامين الحكَم التي توزعت في شعر أبي تمام، وخلص من دراسته إلى أن «حكمة أبي تمامَ ليست حكمة الشعر التعليمي أو الوعظي، وإنما هي حكمة الخبرة والتجارب والفطنة المقرونة بالذكاء والموضوعية التي تميزت بها شخصيته وبدت ظاهرة في شعره».

ويرى المؤلف أن من درسوا الحكمة في الأدب العربي قد ركزوا كثيرًا على حكمة المتنبي، وأهملوا الحكمة في شعر أبي تمام.

اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة أبواب، وقد أورد المؤلف في المقدمة العوامل التي دعته لدراسة ظاهرة الحكمة في شعر أبي تمام، وجاء الباب الأول في ثلاثة فصول، عالج فيها مفهوم الحكمة لغة واصطلاحًا وفرق بينها وبين المثل، وتناول طلائع الحكمة في الأدب العربي، وألقى الضوء على ملامح العصر العباسي - الذي عاش فيه أبو تمام - من النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية، ثم تناول في الباب الثاني الملامح الشخصية لأبي تمام وأثرها في نتاجه الشعري، كما تناول مصادر الحكمة في شعره، وناقش صلة حكمة أبي تمام بالموضوع الذي جاءت الحكمة في إطاره، وخصص الباب الثالث لمناقشة حكمة أبي تمام بين الإبداع والاتباع، والملامح الفكرية والفنية.

اختتم المؤلف دراسته بإيراد جمله من النقاط التي أوضح فيها أهمية الحكمة اجتماعيا وتربويا وحضاريا، وعرض بعض سمات حكمة أبي تمام، وأتبع ذلك بملحق حصر فيه ما تراءى له من حكم أبي تمام.

تقع الدراسة في 172صفحة من القطع المتوسط، وصدرت عن نادي أبها الأدبي.

الاسم: ....
العنوان: ....

للاشتراك املأ هذه القسيمة
(عنوان الاشتراك من الخلف)

مسابقة مجلة
الفيصل

١- جوائز كثيرة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي:

أ- ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (500 ريال، 350 ريالا، 150 ريالا).

ب- خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا).

ج- عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة مدة عام واحد (12 عددًا).

د- خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض.

2- ترسل الإجابات على العنوان التالي في مدة أقصاها 60 يومًا:

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص ب (3) الرياض (11411)
المملكة العربية السعودية
(مع ضرورة ذكر رقم المسابقة على المظروف)

أجوبة مسابقة العدد 249

ج1: من الأحاديث الشريفة التي وردت في فضل سورة البقرة:

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتجعلوا بيوتكم قبوراً فإن البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله شيطان» رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حسن صحيح.

* عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لكل شيء سنامًا، وإن سنام القرآن البقرة، وإن من قرأها في بيته ليلة لم يدخله الشيطان ثلاث ليال» رواه الطبراني وابن حبان وابن مردويه.

* عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثًا - وهم ذوو عدد - فاستقرأهم، فاستقرأ كل واحد منهم ما معه من القرآن، فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «ما معك يا فلان؟» فقال: معي كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «أمعك سورة البقرة؟» قال: نعم، قال: «اذهب فأنت أميرهم» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه.

ج2: أبو كبير الهذلي، هو عامر بن الحليس، من بني سهل بن هذيل. شاعر فحل، من شعراء الحماسة. قيل: أدرك الإسلام وأسلم، وله خبر مع النبي صلى الله عليه وسلم. له ديوان شعر، طُبع مع ترجمة فرنسية وشرح لأبي سعيد السكري.

أما أبو ذؤيب الهذلي، فهو خويلد بن خالد بن محرِّث (نحو 27هـ)، شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح. مات بمصر، وقيل بإفريقية. قال البغدادي: هو أشعر هذيل غير مدافع. وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وفاته، فأدركه وهو مسجّى وشهد دفنه. له ديوان.

وأما أبو صخر الهذلي، فهو عبدالله بن سلمة السهمي (نحو 80هـ)، شاعر من الفصحاء، اختلف المؤرخون في اسم أبيه. كان في العصر الأموي مواليًا لبني مروان متعصبًا لهم، وله في عبدالملك وأخيه عبدالعزيز مدائح.

نتائج مسابقة العدد 249

أ- فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها 500 ريال سعودي، سبيكة جمعة، المحرق، البحرين.

وفاز بالجائزة المالية الثانية، وقدرها 350 ريالاً سعوديًا، أحمد عدنان حسين، كاتو، فنلندا.

وفاز بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها 150 ريالاً سعوديًا، حسن بن البشير الطيلوش، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

ب- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عامين (24 عددًا)، كل من:

1- باسم عودة، دمشق، سورية.
2- مديحة متولي محمد السيد خلاف، القليوبية، مصر.
3- كنان عمر صلاح الدين، الدوحة، قطر.
4- هند محمد ثابت الحريبي، صنعاء، اليمن.
5- رُزان خالد أبو زعنونه، عمّان، الأردن.

ج- وفاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة مدة عام واحد (12عددًا)، كل من:

1- مها إبراهيم حافظ، السالمية، الكويت.
2- عبدالكافي أبوكر صالح، إسلام آباد، الباكستان.
3- سالمة عوض الكريم الحسن، الخرطوم، السودان.
4- عبدالله القطيبي، الرباط، المغرب.
5- ملاك أحمد محمد صالح، روي، سلطنة عمان.
6- أحمد خضر سبع، الدقهلية، مصر.
7- حسين عبد أحمد، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
8- وداد محمد عادل عويرة، الرقة، سورية.
9- عشاب عمر سعدي، حيدرة، الجزائر.
10- نور حيطنة عسكر، الخرطوم، السودان.

د- كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، كل من:

1- طه أحمد النوي الحميدي، قفصة، تونس.
2- ناجي تركي حسن الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
3- راقي درباس، إدلب، سورية.
4- محمد نور جمال أمين عايش، عمّان، الأردن.
5- شخاب سعد سعود، بسكرة، الجزائر.

أسئلة مسابقة العدد 252

(سؤالان فقط)

س1: حث الإسلام على صلة الأرحام، وبيّن ثوابها الكبير. اذكر حديثين شريفين في ذلك.

س2: انتشرت خطوط السكك الحديدية في العالم بعد اختراع القاطرة البخارية. متى تم افتتاح أول خط للسكك الحديدية في السعودية؟

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد 252
مجلة الفيصل - ص.ب: (٣) الرياض ١١٤١١ - المملكة العربية السعودية

ويأتيك بالأمثال

مَنْ يَمْشِ يرضَ بما ركب.

أي لا تُعرف قيمـة الشيء إلاّ عند الحاجة إليه.

قـد يكره المرء دابته لأنهـا بطيئـة، أو لأن منظرها غيـر لائق به، ويودّ لو تخلص منهـا، ولا يدري مـا يناله لو فـقدها، فـإذا نفـقت أو مرضت، فـاضطر إلـى المشي، وذاق تعبـه، عـرف قيمـة تلك الدابة، وأنهـا، مع بطئـهـا وقبح منظرها، خير من المشي.

وقد يتألم الإنسان مما هو فيه، فيرى أن ما يناله من عـمله قليل، أو أن موضـعه الذي هو فيه أدنى من مـقامه، لكنه إذا نظر إلى من هو أقلّ منه، أو اضطر إلى ترك العـمل الذي يأباه فلم يجـد غيـره، فـحينذاك يرضى بما كـان، ويصبر على ما يأباه.

وهكذا منْ لم يـرضَ بالقليل، فـأضـاعـه فـاحتاج، تمنى لو أنه عـاد إليه ذلك القليل، وعـرف أنه كـان ـ عـلى قلتـه ـ خيـراً من الحاجة.

فلما كان الغد

أُتي بالجـاحظ، إلى أحمـد بن أبي دُؤاد ـ بعد نكبة محمد بن عبدالملك الزيّات ـ مقيّداً في قـميص رثّ مـهلـهل، فـقـال له ابن أبي دؤاد: والله يا عـمرو مـا علمتك إلا مـتناسيـاً للنعمة، جـاحداً للمعروف، معدّداً للمثالب، مخفيًا للمناقب.. وإن الأيام لا تصلح مثلك لفساد طويتك وسوء اختيارك.

فـقال الجـاحظ: هوّن عليك! فـوالله لأن تكون المنة لك عليَّ خـيـر مـن أن تكون لي عليك، ولأن أسيء وتحـسن، أحـسـن في الأحـدوثة من أن أسيء وتسيء، ولأن تعـفـو في حال قدرتك، أجمل بك من أن تنتقم في حال ضعفي.

فـقـال ابن أبـي دؤاد: هكذا أنت مـا علمتك إلا كـثير تزويق اللسان، قـد جعلت لسانك أمام قلبك. اغرب عني قبّحك الله.

فأنهضوه في قيوده، وملابسه الرثة. فلما كان الغد، رئي الجاحظ متصدّرًا في مجلس ابن أبي دؤاد، وعليـه ملابس جـديدة، وابن أبي دؤاد مـقبلٌ عليـه، وهو يقـول بانشـراح عظيم: هات حكاياتك يا أبا عثمان.

المروءة

سـأل ابن زياد أحـد الأعراب يومًـا: مـا المروءة فيكم؟!

قال: هي أربع خصـال: أن يعتزل الرجل الريبـة، فـلا يكون فـي شيء منهـا، فـإنه إذا كان مريبًا كـان ذليلاً، وأن يصلح ماله، فإنّ مَنْ أفسـد مـاله لم تكن له مروءة، وأن يقـوم لأهله بما يحـتـاجـون إليـه بـلا توان، حـتى يستغنوا به عن غيره، فإنّ من احتاج أهله إلى الناس لم تكـن له مـروءة، وأن ينظر فـيـمـا يـوافـقـه مـن الـطـعـام والشـراب فيـلزمه، فـإنّ المروءة ألاّ يختـلط على نفـسـه في مـطـعـمـه ومشربه.

اللسان الكاذب

يروى أن المهـدي العبـاسي جلس يـومًـا للفـصـل بين النـاس، فدخل عليـه رجل، وفي يـده نعـل ملفـوف بمنديل.. وقـال: يا أمير المؤمنين، هذا نعل رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، وقد أهديته لك! فقال المهدي: هاته. فرفـعه إليه فـقبله، وأمر للرجل بعـشرة آلاف درهم!

فلمـا أخـذهـا وانصـرف، قـال المهـدي لجلسـائه: أترون! إني لم أعلم قط أن رسـول الله ـ صلى الله عـليه وسـلم رأى هذا النعل، فضلاً عن أن يكون انتـعله.. ولو كذبنا ذلك الرجل، لقال للناس: أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردّها عليّ! وكان مَنْ يـصدّقه أكـثر ممن يدفع كـذبه، إذ إن شـأن العامـة الميل إلى أشكالها، والنصـرة للضعيـف على القوي وإن كـان ظالمًا. أيهـا الناس والله لقد اشترينا اللسان الكاذب لهذا الرجل، وقبلنا حـديثـه، وصـدّقنا قـوله أمـام الجميع ليكون حجة عليه.. ورأينا الذي فعلنا أنجع وأرجح!



بدون تعليق

استراحة العدد

العيب في المرآة!

مـرّ أعـرابيّ بمرآة ملقـاة على الأرض، فالتقطها، ونظر فيها، فإذا هو أشعث أغبر، سمج بغيض.. فرمى بها، وهو يقول: والله ما طرحك صاحبك إلاّ لأنّه لم ير فيك خيرًا!

نبوغ مبكر

يروى أنّ البحتريّ مـر بجماعة من الناس، فرأى بينهم صبيًا تبدو عليه مخايل الذكاء، فقال له مداعبًا: أشاعر أنت؟

قال الصبيّ: نعم! وإنّني لأشعر منك!

فقال البحتريّ: هل تستطيع أن تجيز قولي:

ليت ما بين مَنْ أحبُ وبيني..

قال الصبي: أتريد أن تقربه أم تبعده؟

قال البحتري: أقربه

فقال الصبي:

ليت ما بين من أحب وبيني
مثلُ ما بين حاجبيَّ وعَيْني

فطرب البحتري وقال: وإذا أردت أن أبعده، فماذا تقول؟

قال الصبيّ:

ليت ما بين مَنْ أُحبّ وبيني
مثلُ ما بين مُلْتقى الخافقين!

وصايا

أوصى الإمام علي بن أبي طالب ولده الحسن رضى الله عنهما، فقال: يا بني احذر من الأمور ثلاثةً، ووافق ثلاثةً، واستحِ من ثلاثة، وافزع إلى ثلاثة: احذر من الكِبْر والغضب والحرص المذموم، ووافق كتاب الله وسنة رسوله والصالحين من عباده، وليكن حياؤك من الله ومن الملائكة ومن الصالحين، وليكن فزعك إلى الله، وإلى التوبة، وإلى طلب العلم.

خير الدنيا والآخرة

قال الإمام الشافعيّ: خير الدنيا والآخرة في خمس خصال: غنى النفس، وكَفّ الأذى، وكسب الحلالَ، ولباس التقوى، والثقة بالله جل وعلا على كل حال.

الذكاء

قال فرانسيس بيكون: الذكاء كالنهر، كلما ازداد عمقًا.. قلت ضوضاؤه!!

فرص النجاح

سئل المفكر «روشيليو» يومًا: ما أفضل الفرص المتاحة للنجاح في الحياة؟

فقال: إن فرص النجاح في الحياة كثيرة جدًا، لكن الكثير من الناس لا يتبينون فرص النجاح التي تتاح لهم لغفلة منهم؛ ولأن معظم هذه الفرص يأتي في ثياب عمل شاق!!

حلم أمير

قال عبدالله بن العباس رضي الله عنهما: دعانا الوليد بن عتبة يومًا على الغداء، وهو أمير على المدينة، فأقبل الخادم بصَحْفَة بها طعام ساخن، فعثر، فوقعت الصَّحْفَة من يده، فما ردّها ـ والله ـ إلاّ ذقن الوليد، وانسكب ما فيها في حجره، فبقي الغلام واقفًا ما معه من روحه إلا ما يقيم رجليه! فقام الوليد، ودخل غرفة، وغيّر ملابسه، وأقبل علينا تبرق أساريره، واقترب من الخادم، وقال له: يا بائس! ما أرانا إلا روّعناك! اذهب، فأنت حر لوجه الله تعالى!

شعوب متفائلة!

أشار استطلاع للرأي أجراه معهد جالوب في عدد من الدول إلى أن مواطني أيسلندا وشيلي وتايوان هم أكثر شعوب العالم تفاؤلاً؛ في حين أن الهولنديين وسكان موسكو والكنديين هم أكثر الشعوب تشاؤمًا. وأكّد الاستطلاع أن اختلاف الاتجاهات القومية إلى جانب العوامل السياسية والاقتصادية له أثره في طبيعة الشعوب.

أطول رسالة في التاريخ!

هي الرسالة التي تسلّمها ألبرتو فوجيموري رئيس بيرو. الرسالة طولها 13,4 كيلومتر، وجهتها إليه 48 ألف مواطنة من بيرو في ختام برنامج وطني لمحو الأمية تعلّمن بفضله القراءة والكتابة. وذكرت مصادر رسمية أن طول الرسالة تم تسجيله في موسوعة جينس للأرقام القياسية بعد ما تفوق على الرقم القياسي السابق الذي سجلته، في ظروف مماثلة، نساء من بوليفيا كتبن رسالة طولها 7,4 كيلومتر. ولدى تسلمه الرسالة أعلن فوجيموري أن حكومته تنوي الاستمرار في خفض نسبة الأمية التي تصل إلى 6٪ ـ وقتها ـ بين البالغين، مشيرًا إلى أن مكافحة الأمية تشكل أحد الأسلحة الرئيسة لمكافحة الفقر!!

رجاء

قال الأصمعي: بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة رأيت شابًا متعلقًا بأستار الكعبة، وهو يقول:

يا من يجيب دُعا المضطرِ في الظُّلَم
يا كاشفَ الضرِّ والبلوى مع السَّقَم
قد نامَ وفدُكَ حولَ البيتِ وانتبهوا
وأنتَ يا حَيّ يا قَيّومُ لم تَنَم
أدعوكَ ربي حزينًا هائمًا قَلِقًا
فارحمْ بكائي بحقِّ البيتِ والحَرَمِ
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه
فمن يجودُ على العاصينَ بالكرمِ؟!

الأيدي أنواع!

قيل ليونس النحوي: صف لنا أيادي الناس عند الناس؟

فقال: الأيدى ثلاث: يد بيضاء، ويد خضراء، ويد سوداء. فاليد البيضاء هي الابتداء بالمعروف، واليد الخضراء هي المكافأة على المعروف، واليد السوداء هي المنّ بالمعروف!

قولة خاطئة..

قال لقمان لابنه في معرض النصح له: يابنيّ، كذب من قال: إن الشَّرَّ بالشَّرِّ يُطْفَأُ، فإنْ كان صادقًا فليوقد نارين ولينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى؟ وإنما يطفئ الخيرُ الشَّرَّ كما يُطفئ الماءُ النارَ، فكن خيِّرًا أبدًا..



يهدف الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع.

وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

همسات الندم

رمضان عبدالعال محمد
أبو النمرس، الجيزة، مصر.

ابتعد عنها وتركها.. انزوى بركنٍ قاص في حجرته الضيقة الملتهبة بأنفاسهما.. وقفت صامتةً تجفف دموعها التي انزلقتْ كسيْل منهمرٍ، بيدين مرتجفتين تفعل ذلك والسيلُ يأبى إلا أن ينحدر انحدارًا.. أخرج من درج «دولابه» علبة السجائر، في فتورٍ تناول واحدةً، السيجارة ـ رغم نفسه الشديد ـ لا تثير دخانًا، ولا يزال حجمها كما هو، لقد نسي أن يشعلها؛ فقد اعتوره قلقٌ، استبدت بلبّه هواجس.. قميصه غير منسّق؛ فزرارٌ منه قد أخطأ العين المخصصة له وراح يتلصص النظر إلى أخرى لا تليق به؛ إنه يسلك سلوك صاحبه الذي بدا وكأنه متسولٌ بين دهاليز مدينة بائسةٍ، وهي تئن.. تبكي بغزارة أمطار الشتاء، لا تدرى ماذا تفعل؟!.. لا شيء تملك سوى البكاء.. ولكن.. أيصل البكاء قيّمًا؟! ومتى رقَّ القدر لدموع شيطان؟! المكان من حولهما صامتٌ صمتًا كئيبًا، وتشاركه أشياء أُخر.. المكتب.. جدران الحجرة.. هما.. حتى عُقب سيجارته يلفظ أنفاسه الأخيرة.. الفراش يتأوه، ينتحب، وفوقه دموعها؛ صفاء، ماذا؟!! كيف؟!! لم تعد كذلك، كانت الخدود وردًا تفاحيًا، الآن غدت عسلاً زامله الماءُ فما أشد تهافت طعمه! ولبنًا اختلط بخلٍّ فامتقع لونه!.. بدا وجهها كلوحةٍ ممزقة!!.. أرادت الانصراف، تحركتْ خطوةً، اصطدمتْ بحافة السرير الذي بصق عليها دون أن يلمح اعتذارًا من عينيْها.. لم تنبسْ بكلمة وهو كذلك، وبينهما الهمسات تفوح رائحتها.

التعليق: القصة جيدة، أحسن الأخ رمضان التقاط الحدث المناسب لبناء قصة قصيرة وصاغه بتكثيف يحتاج إليه فن القصة القصيرة، وقد بدا هذا التكثيف على مستويَيْن: التكثيف في الدلالة المعنوية وهو تكثيف يجعل النص يقول كل شيء دون أن يكون بحاجة إلى الدخول في التفاصيل والاستغراق في الجزئيات والأوصاف التي تجعل الحدث بطيئًا. والتكثيف في اللغة والاقتصاد في استخدامها.

إن الومضة القصصية التي سجلها القاص ببراعة تحمل البشرى بموهبة قصصية يمكن أن تتطور إذا تمت العناية بها وصقلها، ولا سبيل إلى ذلك إلاّ بالقراءة المستمرة، قراءة كتب الأدب عامة، والفن القصصي خاصة، وحبذا لو فعل رمضان ذلك.

أرجو من الأخ رمضان خصوصًا ومن كتّاب باب «تباشير» عمومًا أن يهتموا بالنصوص التي يرسلونها، شكلاً ومضمونًا، إنهم يطالبون المجلة - وهذا حقهم - أن تعتني بما يرسلون، ولكن أليس من الطبيعي أن يعتنوا هم بنصوصهم فيرسلوها مطبوعة إن لم تكن خطوطهم مقروءة، وأن يكتبوا على وجه واحد من الورقة وما إلى ذلك من أسباب العناية.

لغة الأخ رمضان جيدة فهو لا يخطئ في النحو ولا في الإملاء وإن كانت لديَّ بعض الملاحظات على أسلوبه وبعض استخداماته. من ذلك قوله: «انزوى بركن قاصٍ...» ولو قال بعيد أو إن شاء قصي لكان أوقع. ولا أحب قوله: «لا شيء تملك سوى البكاء» فهي عبارة غير مطمئنة، ولعل فيها أثرًا لاضطراب الشخصية في هذا الموضع من القصة. وقد أعجبتني صورته: «فزرارٌ منه قد أخطأ العين....».

نرجو للأخ رمضان التقدم المستمر في أعماله القادمة.

د. محمد خير البقاعي

متابعات

الأخ محمد الفقيه، تطوان، المغرب:

لقد اخترت موضوعًا جليلاً تبارت أقلام البلغاء والعلماء في إبراز فضائله ومحاسنه، إنّه موضوع الصوم. وإذا كُنّا نشد على يديك لهذا الاختيار ولهذا الاهتمام بموضوع يهذب النفس ويسمو بالروح، فإننا لا نجد جديدًا فيما تقوله لا شكلاً ولا مضمونًا. فأنت تكرر ما جاء به الكتّاب في قضية الصوم. نرجو أن تُكثِر من القراءة في هذه المرحلة، وأن تنتظر بعض الوقت قبل أن تأخذ القلم لتكتب ما تودّ نشره. الصبر الصبر، القراءة القراءة حتى يحصل ما نسميه اليوم في مجال التربية بالتراكم المعرفي الذي يفضي إلى الكتابة الإبداعية المميزة التي تأخذ طريقها إلى النشر.

نرجو لك التطور المستمر والقراءة الواعية، ونرجو أن تصلنا منك مشاركات أخرى أكثر خصوصية وإبداعًا.

الأخ عبدالله محمد عبدالله، أم درمان، السودان:

ليس في قصتك «صليل الجسور» إلاّ السرد الذي تنتشر في جنباته الأوصاف المختلفة التي تضفي على الحدث في القصة استطالة تصبح القصة معها بعيدة من شكل القصة القصيرة المتسم بالتركيز والاقتصاد، والمعتمد مضمونًا على «المويجة» الشعورية وغير الشعورية لا على «التيار» الشعوري وغير الشعوري المسترسل.

في القصة أخطاء نحوية ولغوية وتداخل أسلوبي فيه كثير من التعابير التي أسميها «التعابير المحلية» كقولك: فمها سبحان الخالق سحيح عجوة، وأنفها عرنون. وكذلك قولك: فهو كان ود حارتها. أمّا الأخطاء النحوية فكثيرة نذكر منها قولك: تصنع خيط متواصل، والصواب كما هو واضح: تصنع خيطًا متواصلاً. وكلمة ذفرة صوابها زفرة بالزاي.

إن كثرة التعابير المحلية والأخطاء الإملائية والنحوية والاستغراق في الوصف والحدث البطيء جعل من قصتك قصة تحتاج إلى إعادة صياغة كي تصبح صالحة للنشر. أرجو أن تقرأ قصص الكتاب المتمكنين، وأن تقرأ في كتب الأدب العربي المعتمدة لتتخلى عن هذه التعابير المحلية التي تقلص مجال تلقي ما تكتبه.

الأخ مدحت يوسف قمّاني، مكتب بريد نيدة، سوهاج، مصر:

وقفنا على مشاركاتك الثلاث (لوحة، والصّحراء، وأنت عنواني) وهي تدل على أن لديك استعدادًا فطريًا جيدًا للإبداع، وموسيقى شعرك تبشّر بخير؛ لكن يبدو أنك بالفرشاة أبرع منك بالقلم؛ لأن صورك الشعرية مبعثرة ينقصها الترابط والتركيز. وأفضل أعمالك الثلاثة أقصرها، أعني «لوحة» ففيها شيء من التصوير، لولا قصر النفس ولولا أنك ختمتها بخاتمة قاتمة.

وعلى حلاوة موسيقى «أنت عنواني» وإيقاع بحر الهزج الطّروب ومع سلامة الأوزان - إلا القليل - فإنها لم تخلُ من العيوب كالإقواء (وهو رفع قافية وجرّ أخرى) فقد جاء في بعض قوافيك: سلواني، كل إنسان. ثم قلت: رحمنُ، تفنانُ، له في السحر ألوانُ. وهذا إذا قلّ كان مصيبًا، فكيف وقد وقع في طائفة صالحة من أبياتك؟

هذا وتحتاج لغتك إلى تنقيح وإغناء، فلا يقال: يَسْلَى، وإنما الصواب: يَسْلُو. وفي أبياتك أخطاء إملائية لا ينبغي أن تقع من فنان شاعر نحو: أهجتي، وقُلتي، ومرادك: أَهَجْت، وقُلْت.

واجتنب التصريح بالشّهوة، ونعت الخمر باللّذة، ووصف نفسك بالثقل وبالسّفه، وتكرار اللّعن، فليس المؤمن بطعان ولا لعّان.

ولا يتناسب هذا كله مع قولك:

أغدرٌ بعينيك اللّتين أراهما

ربيعًا جميلاً فيه همس الكواكب

فأين جمال الربيع وهمس الكواكب مما تقدم؟

اكتب ونَقِّح ونحن في انتظار أعمالٍ أفضل.

الأخ بكر هارون موسى عثمان، ص.ب 1459 مكة المكرمة:

قرأنا لك قصة في قصيدة بعنوان «الفقير العاجز». وهي طويلة بلغت ستة وأربعين بيتًا. وقد نَمّت على ملكة جيدة في النظم ونفس طويل في المعالجة، إلاّ أن فيها خضوعًا للوزن ضاعت معه اللّغة والمعاني، وكان همك الإطار فأرغمت اللغة والمضمون حتى خضعا له. وأضرّ بالأبيات أيضًا السرد المباشر، فلو لجأت إلى الخيال لإبداع صور الفقر ومعاناة الحرمان لكان في ذلك كسر لرتابة الوصف الواقعي.

أكثر من قراءة نماذج الشعر الجيّدة وتدبّر كيف تُصاغ المعاني. وما دمت سمّيتها «قصة في قصيدة» فكان عليك أن تلجأ إلى عناصر القصة من تشويق وصراع وغيره. نرجو أن نرى لك عملاً فيه تجربة متكاملة ناضجة، وفقك اللّه.

رُدُودٌ خَاصَّة

الأخوين عبدالكريم فيضي الخرابة، جامعة العلوم والتكنولوجيا، إربد، الأردن، محمد مرابطي، الشلف، الجزائر:

نظرًا إلى ما يرد إلى المجلة من رسائل كثيرة يطلب أصحابها كتبًا أو مجلات لا تتوافر لدينا، فقد أشرنا في هذا الباب تحت عنوان «إيضاحات» إلى عدم قدرة المجلة على تلبية مثل هذه الطلبات، فمعذرة لكما ولجميع القراء الأعزاء، ومرحبًا بكما صديقين للمجلة، ونحن في انتظار مشاركتكما، وسوف تصل إليكما بعض أعداد المجلة.

الإخوة في نادي آفاق للمراسلة وجمع الطوابع، سطيف، الجزائر:

يسعد المجلة أن تكونوا أصدقاء لها، وتعتذر لكم من عدم نشر إعلانكم عن ناديكم، لأن أبواب التعارف قد تسبب مشكلات لا حصر لها، و«الفيصل» تحرص على أن تكون العلاقات بين قرائها من خلال تبادل الآراء والأفكار على صفحاتها.

الأخ أحمد بشير محمود، ص.ب 858، الرياض 11421:

جميل منك أن تهتم بالتعليق على ما يُنشر في مجلتك «الفيصل»، وقد جاءت في أثناء تعليقك أفكار تستحق النظر فيها، وسوف يُحرَصُ على تلافي بعض الملاحظات التي أوردتها. أما حديثك عن الجوانب الفنية فنشكره لك، لأنك اجتهدت فيه، مع أن هناك حقائق كثيرة غابت عنك كما يفصح عن ذلك تناولك لها. عمومًا، سوف تكون ملاحظاتك محل اهتمام وعناية، والأمل أن يحذو قراء «الفيصل» حذوك، فيكتبوا إلينا بملاحظاتهم وآرائهم التي سوف تعين، إن شاء الله، على تحقيق مزيد من التطور للمجلة تحريريًا وفنيًا.

الأخ غرناطي هوارية، وهران، الجزائر:

مع تعاطف المجلة مع ما ورد في خطابك، إلا أنها تعتذر لك من عدم إمكانها فعل شيء حيال ذلك، لأن الأمر لا يدخل في مجال عملها، وهناك مؤسسات متخصصة له، سوف تجد منها الاهتمام والعناية إذا راسلتها، مع التمنيات لك بالتوفيق إن شاء الله.

الأخ إبراهيم العبدالعزيز، ص.ب 151097 الرياض:

اقترحت أسماء عدد من الكتاب والمفكرين لاستكتابهم في المجلة، ويسعدنا كثيرًا أن يصل حرص القراء إلى التنبيه على ضرورة استكتاب بعض الأقلام المتميزة في عالمنا العربي والإسلامي، ولعلك لا تعلم أن من الأسماء التي اقترحتها من يكتب أصحابها في المجلة منذ وقت بعيد، وسوف نرسل إليك بعض الأعداد التي تضم مقالاتهم، أما المجلة فهي ترحب بالكتّاب من جميع أنحاء عالمنا العربي والإسلامي، بل العالم أجمع بلا أدنى تمييز بينهم.

الأخ عبدالله يحيى عبدالله، جدة:

الإعلان عن رغبتك في تبادل المجلات مع الإخوة القراء تجدهُ في زاوية «بين القارئ والقارئ»، أما أعداد مجلة «القافلة» التي طلبتها، فهي غير متوافرة لدينا، ويمكنك مخاطبة «القافلة» على عنوانها: ص.ب 1389 الظهران 31311.

الأخت عايدة محمد، تونس:

يصعب كثيرًا أن ننشر نص الطلب الذي جاء في خطابك في زاوية بين «القارئ والقارئ» من دون ذكر عنوانك، لأن من المفترض أن من سيستجيب لطلبك، سوف يبعث به إليك على عنوانك، وبخاصة أن المجلة لا تستطيع أن تتولى ذلك، لما يرد إليها من طلبات كثيرة، يُخشى معها عدم القدرة على الوفاء بها، وهذا ما لا نريده أو نقبله.

الأخ مصطفى المرواني، ص.ب 2001، تطوان، المغرب:

تقول إن لديك كتابًا تريد أن تقوم بطبعه إحدى دور النشر، والمتبع في مثل هذه الحالة أن تتوجه إلى إحداها بملخص لموضوع كتابك حتى تقرر مدى مناسبته للنشر وفق ضوابطها والضوابط العامة للمجتمع. وحيث إن مراكز البحوث العلمية ودور النشر لا يُحصى عددها على امتداد وطننا العربي، فعليك أن تبادر إلى مخاطبتها مباشرة، ومادمت على ثقة بالمستوى الذي عليه كتابك فكرة ومضمونًا، فسوف تجد، إن شاء الله، من يتبناه، ويتحمس لنشره.

الأخ أمين المليح بن عبدالحميد، دمشق، سورية:

تضم «الفيصل» قاعدة معلوماتية ضخمة عن «الأعلام»، وهؤلاء الذين ورد ذكرهم في خطابك توجد ترجماتهم في هذه القاعدة، وسوف نوافيك بها إن شاء الله.

الأخ طاهر صديق محمد علي، ولاية كسلا، السودان:

تأخُّر وصول أعداد المجلة إلى بعض الدول العربية ـ ومن بينها السودان ـ موضع اهتمام الإدارة، وسوف يتم وضع الحلول اللازمة لها، ونتمنى لك الفوز في «مسابقة الفيصل» التي تحرص على المشاركة فيها.

بين القارئ والقارئ

أرغب من الإخوة قراء الفيصل مساعدتي في الحصول على مؤلفات تبحث في الإعجاز القرآني، كما أرغب في الحصول على بعض الكتب والتسجيلات الصوتية (أشرطة) الإسلامية.

الوليد الطيب دفع الله العركي
واد مدني، ولاية الجزيرة
وزارة المالية والتنمية الاقتصادية
قسم الحسابات ص.ب 175، جمهورية السودان.

لديّ أعداد من مجلات ثقافية وأدبية وإسلامية، ومنها على سبيل المثال: الفيصل، المجلة العربية، المعرفة، الإسراء، أود تبادلها مع إخواني من قراء الفيصل ممن لديهم الرغبة في تبادل المجلات.

عبدالله يحيى عبدالله
ص.ب 17804، جدة 21494

لديّ أعداد زائدة من «الفيصل» أرغب في إهدائها لمن يريدها، كما أرغب في التبادل الثقافي في مجالات الأدب والاقتصاد واللغة مع الإخوة الذين لديهم اهتمام بها.

رائد أحمد عبدالله
عمان الوسط ص.ب 184237
الرمز البريدي 11118- الأردن.

أرغب في بعض الكتب والمجلات العلمية والتربوية التي تزيد في تنمية معارفي في مجال التربية والتعليم.

عبدالقادر بن الزاوي
عمارة أ رقم 4 متوسطة مسلم بن الحجاج القشيري
زموري 35260، بومرداس، الجزائر.

آمل من الإخوة قراء «الفيصل» مساعدتي في الحصول على «الموسوعة العسكرية» الصادرة في بيروت عام 1980م عن «المؤسسة العربية للدراسة والنشر، على أن تكون النسخة كاملة من حرف (أ) إلى حرف (ي).

سعيد العليطي
394 قطاع 2 حي مولاي إسماعيل
سلا، المغرب.

ملحوظة:

تهدف هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ إبراهيم أبو ريان، ص.ب 1439، عمان صويلح 11910، الأردن:

عنوان مجلة سمارك:
الشركة السعودية للتسويق والتكرير (سمارك)
ص.ب 5250 جدة 21422
هاتف 6603232، 6694037، 6694673

عنوان مجلة «الفيصل» الطبية:
جامعة الملك فيصل، كلية الطب والعلوم الطبية
ص.ب 2114، الدمام، هاتف 8571625

«المجلة الطبية»:
تصدر عن وزارة الصحة
وعنوان الناشر: دار القمم للإعلام
ص.ب 61019، الرياض 11565
هاتف 4627593
فاكس 4628535

عنوان مجلة العرب:
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
ص.ب 137 الرياض 11411 هاتف 4621223، 4631010، 4631919.
فاكس: 4621223

الأخ محمد فتحي خلف عبدالعاطي، مركز مطاية، المنيا، مصر:

عنوان «دار سعاد الصباح»:
مكتب القاهرة: 2 شارع خليل أغا، جاردن سيتي
هاتف 3545895، 3549423،
فاكس 3563599
مكتب الكويت: ص.ب 2728 الصفاة، الكويت
هاتف 2453017، 2453018، 2453019، فاكس 2457954

الأخ جلال الدين محمد البوز، بانياس، الساحل، سورية:

عنوان د. يوسف القرضاوي:
جامعة قطر، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ص.ب 2713 ، الدوحة، دولة قطر
هاتف 861641

إيضاحات

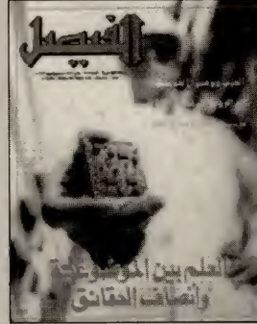
تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات للحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لا علاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ما شابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة ـ بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.



الجامعة والإعداد للمواطنة

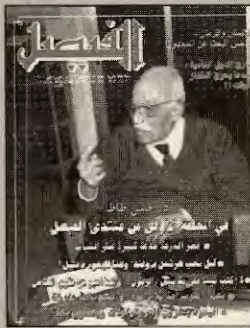
اطلعنا على المقالة الافتتاحية التي نُشرت لكم في مجلة الفيصل - العدد 248 لشهر صفر 1418هـ في زاوية «إطلالة» - تحت عنوان «الجامعة والإعداد للمواطنة»، التي استعرضتم فيها بالتحليل الواقع المعاصر وما يتطلبه من إعداد الشباب ليكونوا نافعين لمجتمعهم.

ويسرنا أن نعبر لكم عن مدى تقديرنا وإعجابنا بما أثرتموه من آراء جادة في المقالة، مع اتفاقنا مع ما طرحتموه من رؤى خاصة حول أهمية ربط النظرية بالتطبيق العملي في التعليم الجامعي، وما أشرتم إليه من التحديات التي تواجه الجامعات بسبب تدفق المعلومات وتجدد المعرفة والعلوم بشكل سريع قد تجد معه بعض الجامعات نفسها غير قادرة على استعمال هذه الإضافات، ثم عرجتم على إبراز العلاقة بين فروع المعرفة بعضها ببعض؛ الأمر الذي لا يمكن أن يسير العلم في ضوئه بمعزل عن العلوم الأخرى. ولعل دور الجامعة في الاهتمام بالبحث العلمي من الأولويات الآنية والمستقبلية، فالبحث العلمي بلا شك من أهم الخطوات العملية نحو التخطيط والتجديد والنمو، وحل المشكلات التي تساعد على التقدم والازدهار في مختلف مناحي حياة المجتمع. وفي ظننا أن ما وصلت إليه العلوم والتقنية من مستوى كان نتيجة البحث العلمي الجاد، الذي أسهم بشكل فاعل في الارتقاء بالمستوى الحضاري والثقافي للأمم.

كما أبرزتم حاجة الطالب الجامعي إلى القيم والمهارات، وضرورة أن يحصل على رؤية أكثر شمولية في دراسته ليتعمق تفكيره، وينمو إحساسه الوطني من طريق استقراء تاريخ بلاده لتترسخ لديه روح الانتماء والولاء لدينه ومليكه ووطنه، ولا يفوتنا أن ننوه بما أشرتم إليه من أهمية ترسيخ مفهوم حب العمل في نفوس الشباب الجامعي. وهنا نؤكد أن هذه الاتجاهات والميول تنمو عادة في مراحل مبكرة تسبق الجامعة، إلا أنه عند الالتحاق بالتعليم الجامعي يندمج الشباب في دراسة المواد العلمية، ويتعرضون لفهم النظريات وتحليلها، مع إتاحة الفرصة لهم للتجربة والتطبيق من خلال العروض العملية وفرق العمل مما يُكسب هؤلاء الشباب الاتجاهات المرغوبة والمهارات التي تنمو في نفوسهم، وتصبح جزءًا من طريقة تفكيرهم وسلوكهم، ولا أدل على ذلك من النماذج المشرفة من شباب هذه البلاد خريجي الجامعات الذين يعملون في مجالات شتى في الوظائف الحكومية أو في القطاع الخاص على السواء، وهؤلاء الشباب الصالحون يعتز بهم مجتمعهم، وبما يتّسمون به من روح عالية تجاه العمل والتفوق فيه.

وفي الختام نكرر تقديرنا لما طرحتموه من رؤى عميقة، ونتمنى لكم المزيد من التوفيق.

د. سهيل بن حسن قاضي
مدير جامعة أم القرى
مكة المكرمة.



وقوع الحافر على موضع الحافر

طالعتنا «الفيصل» في عددها ذي الرقم 244 في باب «مناقشات وتعليقات» بنقاش هادئ وموضوعي كشف فيه كاتبه الأستاذ إلياس قطريب عن «سرقة شعرية» وقعت من الشاعر جاك صبري شماس الذي «أخذ إحدى قصائده بألفاظها ومعانيها مع شيء من التحوير من قصيدة للشاعر المعروف محمد مهدي الجواهري». واكتفى الأستاذ قطريب بإيراد ثمانية أبيات من قصيدة الجواهري وثمانية أبيات من قصيدة شمّاس يظهر فيها الاتفاق بين القصيدتين، ويعتقد الكاتب أن هذا الاتفاق لا ينطبق عليه القول القديم: «قد يقع الحافر على الحافر».

وردّ عليه الشاعر جاك شمّاس في العدد 246 من مجلة الفيصل في الباب نفسه، محاولاً أن يكون موضوعيًا - مثلما كان القطريب

موضوعيًا - مثبتًا وجود السرقات ومعترفًا بتأثّره بالجواهري وغيره، ومؤكدًا أنه قد يقع الحافر على الحافر، وقد أورد مثالاً من التراث العربي وآخر من التراث العالمي، وذكّر بمعارضات القصيدة المشهورة «يا ليل الصبّ متى غده»، ثم ترك الأمر بعد ذلك لزملائه الأدباء وللمتلقي «إذ لا يصح إلاّ الصحيح».

وقد بدا لي أن شمّاسًا فارق الموضوعية قليلاً، فمعلوم أن المعاني مشتركة بين الناس و«ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني ممّن تقدّمهم، والصبّ على قوالب من سبقهم - كما يقول أبو هلال العسكري (ت:395هـ) - ولكن عليهم إذا أخذوها أن يكسوها ألفاظًا من عندهم ويبرزوها في معارض تأليفهم ويوردوها في غير حليتها الأولى ويزيدوا في حسن تأليفها وجودة تركيبها». وإذا عرضنا ما صنعه شماس على قول هذا الناقد القديم لم نجده زاد على أن عمد إلى أبيات الجواهري فحذف منها ألفاظًا واستبدل بها غيرها، وعكس طائفة أخرى من الألفاظ، فإذا قال الجواهري:

(سكتُّ) و(صدري) فيه تغلي مراجل
و(بعض) سكوت المرء (للمرء) قاتل

ناقضه شماس فقال:

(نطقت) و(ثغري) فيه تغلي مراجل
و(حينًا) سكوت المرء (للذات) قاتل

وبعض هذا المنحى في السّرقات يسمّيه النقادُ «العكس». فشمّاس وضع «نطقت» مكان «سكتُّ» و«ثغري» مكان «صدري» ولم يُوَفّق في الأخيرة هذه؛ لأن الذي يغلي فيه المرجل عادةً هو الصّدر سواءٌ أكان ذلك من غمّ أو غيظ أو غضب أو خلافه، أمّا الثغر فإنه إذا كان يغلي كالمرجل فذلك دليل الثرثرة. وبعدُ فإن كلمة الثغر في هذا الموضع قلقة؛ لأن الثغر إنما يوصف بالبرد والعذوبة والحلاوة، فهو إلى مواطن الرّقة واللّطافة أقرب منه إلى مواطن الغليان والفوران. وبقية البيت على هذه الشاكلة. أما بقية الأبيات فنحيل القارئ على العددين المشار إليهما من المجلة، وفيما ذُكر دليل على ما لم يُذْكَر.

ولا نريد تصنيف صنيع شماس إلى مسخ أو نسخ أو سلخ أو غيره من ألوان السرقات، ولكنّا نريد الوقوف معه عند الحقيقة التي آلمته وهي نفي «وقوع الحافر على الحافر». فالنقاد لم يستبعدوا «وقوع الحافر على موضع الحافر» فأبو عمرو بن العلاء حين سئل عن الشاعرين يتفقان في المعنى ولم يلق واحد منهما الآخر قال: «تلك عقول الرجال تَوَافَتْ على ألسنتها». وأبو الطيب المتنبّي حين سئل السؤال نفسه أجاب: «الشّعر جَادَّة، وربما وقع الحافر على موضع الحافر» - والجادة هي الطريق -. والمقرر عند النقاد أن الأخذ إذا كان ظاهرًا وكانت الألفاظ هي الألفاظ والمعاني هي المعاني فذلك وقوع الحافر على الحافر الذي يسمّونه «النَّسخ». ويمثلون له بقول الفرزدق:

أتعدل أحسابًا لئامًا حُماتها
بأحسابنا؟ إني إلى الله راجع

وقول جرير:

أتعدل أحسابًا كرامًا حماتها
بأحسابكم؟ إني إلى الله راجع

ولم يكن الفرزدق يبالي بالنقد، وكان كثير الإغارة والسطو على شعر غيره حتى أُثر عنه قوله: «خير السّرقة ما لم تُقطع فيه اليد» فهو يسرق ويدري أنه يسرق، ولا يفوت ذلك على الحذاق وإن خفي. وهذه المطابقة أو التشابه إذا وقع من غير قصد عُدَّ تواردًا، أما إذا قُصد فهو السّرقة ولا مسمّى غيرها.

هذا والناس مجمعون على أن وقوع الحافر على الحافر قد يكون في الشطر والشطرين وبعض ألفاظ البيت والبيتين، أما وقوعه في ثمانية أبيات من قصيدة واحدة كما فعل شماس، فهذا ترسُّم خُطى وقيافة أثر. وإذا كان الأستاذ شماس يريد إقناع القراء بأن ما كان منه في هذه القصيدة هو من باب التّوارد فهذا ما تأباه شهادة الحال، فالجواهري مشهور وديوانه منشور. هذا من جهة تاريخ الأدب، أما دراسة النّص فإنها تكشف بجلاء عن أن أكثر عمل شماس في هذه الأبيات أشبه بتحريك قطع الشطرنج. وهَبْ أن الخواطر تتفق في استخراج المعاني الظاهرة المتداولة - كما يقول ابن الأثير (ت:637هـ) - فكيف تتفق الألسنة أيضًا في صوغها الألفاظ؟

وقد كان للأستاذ شماس مندوحة عن كل ما ذهب إليه لو أنه قال: أنا جاريت الجواهري أو عارضته أو نقضت قصيدته، فالمجاراة والمعارضة والمناقضة معروفة في الأدب العربي من لدن التوأم اليشكري وامرئ القيس مرورًا بأقطاب النقائض جرير والفرزدق والأخطل ووقوفًا عند شوقي أبرز المعارضين في العصر الحديث، ولكنهم إنما كانوا يعمدون إلى المعاني ويلبسونها ألفاظًا مختلفة فتتقارب أو تتشابه إلى حدّ بعيد ولكنها لا تتفق وتتطابق إلاّ قليلاً.

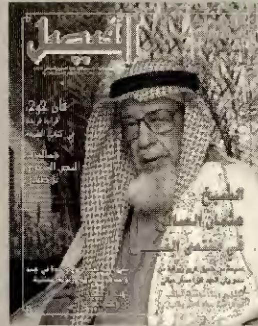
أما قصيدة «يا ليل الصبّ» التي ضربها شماس مثلاً، فهي حجّةٌ عليه؛ لأن هذه القصيدة، على كثرة من عارضها أو من جاراها أو من شطّرها أو من ضمّن بعض أبياتها واقتبس منها، حتى جمع محمد المرزوقي بن الحاج أكثر من مئة معارضة لها، فإن أصحاب هذه المعارضات جميعًا مجمعون ومعترفون بأنهم عالةٌ على الحصري القيرواني في داليّته، تفيئوا في ظلالها ونسجوا على منوالها، ولم يقدح ذلك في عمل أحدهم لاعترافهم بالفضل للمتقدّم.

هذا ويؤخذ على الأستاذ القطريب قوله: «كلا القصيدتين» والصواب «كلتا القصيدتين» كما قال تعالى: كلتا الجنتين آتت أكلها. الكهف:33. وقوله: «للتدليل على صحة دعوتي» ولعل الوجه: «صحة دَعْوَاي».

والشكر للأديبين اللذين أتاحا لنا فرصة المشاركة في هذا النقاش الممتع، والشكر موصولاً بالعرفان لمجلة الفيصل الغراء التي جعلت من صفحاتها دوحات وارفة الظلال يتفيأ فيها أدباؤنا من هجير العقم الثقافي اللاّفح في صحراء هذا الزمن الكالح.

د. إبراهيم القرشي عثمان
ص.ب 2465، الرياض 11451.

المؤازرة لا الترجمة



كعادتي وشأني دائمًا مع مجلة «الفيصل» الغراء حيثما يستقر عددها الشهري بين يديّ لا أنسى قراءة مقالة د. حسن ظاظا - في أدب التاريخ اليهودي - حيث إنه أصبح من العلامات المميزة في مجلة الفيصل بأسلوبه الشائق الممتع. غير أنه قد ساءني أن أجد لمقالته الرائعة في العدد 249 عثرات لم نعهد للدكتور ظاظا مثلها فيما سبق أن أمتعنا به من مقالات، وفي نقاط معينة من التاريخ اليهودي الطويل أفاض القرآن العظيم في بيانها جملة وتفصيلاً، فأرجو منه أن يتسع صدره لملاحظاتي في هذا الموضوع، ومنها:

أولاً: ورد في المقالة أن صعوبة نطق نبي الله موسى عليه السلام ترجع إلى أنه قضى الجزء الأكبر من حياته - أكثر من ستين عامًا - بعيدًا من مصر عند صهره نبي الله شعيب. والصواب أنه عليه السلام قد قضى إما ثمانية أو عشرة أعوام فقط عند النبي شعيب في مدين لقول الله عز وجل: *قال إنّي أريد أن أُنكحَكَ إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجُرَني ثمانيَ حججٍ فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أنْ أشقَّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين*. حتى الآية 29 من سورة **القصص**.

ثانيًا: أما صعوبة نطقه فليس في اللغة وإنما في لسانه عليه السلام. قال تعالى على لسان موسى: واحلل عقدةً من لساني. يفقهوا قولي. طه:27-28. وأما سبب صعوبة نطقه عليه السلام فترجع إلى أنه كان شديد الغضب إذا انتُهكت حرمات الله تعالى أو جادله أحد بالباطل مع علمه عليه السلام بالحق اليقين في دعوته إلى الله عز وجل، ومن شدة ذلك الغضب المحمود يضيق صدره ويعجز لسانه عن إبانة الكلام بفصاحة، فليس بسبب طول الغربة عن مصر ولا بسبب قصة التمرة والجمرة تلك. قال تعالى: *قال ربِّ إني أخافُ أن يُكذِّبون. ويضيقُ صدري ولا ينطلقُ لساني فأرسِلْ إلى هارُونَ*. **الشعراء**:12-13.

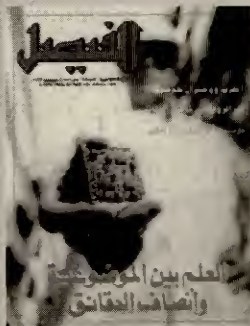
وقال د. ظاظا إنه من المحتمل أن يكون دور نبي الله هارون في الدعوة إلى الله تعالى مع أخيه موسى عليهما السلام هو الترجمة أمام فرعون وبني إسرائيل. والصواب - كما ورد في هذا المعنى في القرآن الكريم - أن دور نبي الله هارون كان لمؤازرة أخيه موسى، وحتى يتسنى لموسى أن يجد متسعًا من الوقت في أثناء الدعوة إلى الله لتسبيح الله سبحانه وتعالى وذكره أكثر فأكثر. قال تعالى: واجعل لي وزيرًا من أهلي. هارونَ أخي. اشدُدْ به أزري. وأشركهُ في أمري. كي نسبِّحك كثيرًا. ونذكرك كثيرًا. **طه**:29-34.

وكان من دور نبي الله هارون أيضًا أن ينقل كلام أخيه موسى بفصاحة وتبيان. وبين البيان والترجمة فرق كبير.

وفقكم الله تعالى وسدد خطاكم على الخير دائمًا وغفر الله لي ولكم.

ياسر أحمد ربيع
بريد قرية الدكة، مركز كوم أمبو أسوان، مصر.

الأدب النسوي: مغامرة أم إبداع؟



لا أحد يلقي سؤالاً لكي يتخلص منه ويدير له ظهره، أو لكي يحدق فيه بنظرة خرساء يائسة. وبوسعنا أن نواصل لائحة الأسئلة المعلقة فإذا لم نجد جوابًا حاسمًا، تجاوزناه برد فعل سائرين في طريق يؤدي إلى موقف جديد.

وكتاب الدكتور عبدالله الغذامي «المرأة واللغة» ينحو هذا المنحى ويتجاوزه في مداخلاته الماهرة حول دور المرأة العربية في تكوين لغة إبداعية خاصة بها، وهل أفلحت بإنشاء «كيان لغوي» كاف للتعبير عن ذاتها ومشاعرها وإحساسها، فالقضية - باعتراف

الجميع - شائكة ومعقدة، والدخول في التفاصيل والحيثيات أشبه بالسير في حقل مملوء بالألغام، يتوقع فيه المرء أن يطيح به انفجار في كل لحظة ينسف كل بحث وجهد.

وبعيدًا من اليأس والإحباط، أقول: إن المدخل لنص أنثوي أو ذكوري هو الأصالة والإبداع والمعاناة الحقيقية... أجل فلا تكفي صفة الأنوثة حتى تكون مسوّغًا لقبول النص أو رفضه، ولا يكفي أن تمر «إحداهن» بمرحلة عاطفية راكدة أو بمحنة زواج مخفق مثلاً حتى تتفجر مواهبها «الإبداعية» وتنهال على الورق لتشبعه نقدًا ومرارة وعواطف سطحية، لا يستطيع أحد أن يتعاطف معها أو يتفهمها مادامت تنبع من حالة ضياع نفسي مؤقت، ولا تحمل لمسة ولو خفية من الإبداع، لأنه ليس بالضرورة أن تخلق التجارب السيئة إبداعًا أصيلاً.

ويتجلى ذلك بصورة واضحة مع «تجليات الحداثة» التي تتوزع تحت تسميات وعناوين متعددة مثل: النثر الشعري وخلافه... حيث تصدمك بعض النصوص والمحاولات بضياعها وتشتتها وإيغالها في الصعوبة والتناقض، فإذا استفسرت أو تساءلت جاءت الشروحات لتزيد الطين بلّة، وإذا استنكرت انهالت أصوات متهمة غاضبة يدور فحواها حول عدم القدرة على مواكبة ركب الحداثة والتطور.

لقد طرح كتاب «المرأة واللغة» تساؤلات كثيرة مهمة، والملاحظ أنه في بعض فصوله يصور العلاقة بين المرأة والرجل على أنها علاقة صراع وتصادم ومعركة إثبات وجود، والأصح أن تكون علاقة تكامل وتعاون تؤطرها المودة والنية الصادقة، ويسودها التفاهم والتسامح، فالإبداع يحمل سمات إنسانية عامة مشتركة بغض النظر عن النوع والجنس.

ومع تقديرنا للباحث المبدع «الغذامي» في طرحه لموضوع مايزال ينتظر الكثير من الإجابات والتوضيحات، فإن لي ملاحظة أخيرة تتعلق باستخدام الناقد الدكتور بشير العيسوي في قراءته النقدية للكتاب المذكور لمصطلحات رنانة ابتداءً من العنوان «تثوير اللغة». فالمعتقد أن زمن شيوع هذه المفردات قد ولّى وانقضى، إلا إذا كان المقصود من نهج «التثوير» هو الحصول في النهاية على صور تذكارية لأفراد يتبادلون الابتسامات والضحكات العريضة، فمن حقنا ابتداءً من الآن الشروع في الابتسام.

د. محمد فؤاد الذاكري
ص.ب 12684، حلب، سورية.

أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم



بعدما وصلني العدد 248 من مجلة الفيصل، أخذت أتصفح أوراقه، واستوقفني موضوع دائرة المعارف «أعضاء جسم الإنسان في القرآن الكريم» للأخ موسى إبراهيم عطيه أبو رياش. وأعجبت بهذا الموضوع الطريف الذي يستحق البحث والاهتمام، وهو يحتاج إلى جهد كبير، وهذا ما بذله الباحث، فجزاه الله خيرًا، ولكن لاحظت أن ثمة أعضاء قد فاتت السيد الباحث أو تجاوزها، فاجتهدت بالبحث عنها، وبعثتها إليكم لتكون مكملة لهذا الموضوع، ولاسيما أنكم تودون القيام بنشر وإصدار دائرة المعارف مع أبواب أخرى في المجلة في كتيبات كما هي عادة مجلة الفيصل، وهذه الأعضاء هي:

1- الأزر (الظهر): قال تعالى: *هارُونَ أخي. اشْدُدْ به أزْري*. **طه**:30-31.

2- الأصابع: قال تعالى: *يَجْعَلُونَ أصَابِعَهُم في آذانِهِم مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الموت*. **البقرة**:19.

3- التراقي (أعلى عظام الصدر): قال تعالى: *كلاَّ إذا بَلَغَت التَّراقي*. **القيامة**:26.

4- الدم: قال تعالى: *وإذ أخذنا ميثَاقَكُم لا تَسْفكُونَ دمَاءكم*. **البقرة**:84.

5- الدمع: قال تعالى: *وإذا سَمِعُوا ما أُنزل إلى الرَّسول ترى أعيُنَهُم تَفيضُ مِنَ الدَّمع ممَّا عَرفُوا مِنَ الحَقِّ*. **المائدة**:83.

6- الروح: قال تعالى: *ويسألونكَ عَنِ الرُّوح قُل الرُّوحُ مِنْ أمر ربِّي*. **الإسراء**:85.

7- الساق: قال تعالى: *والتفَّت الساق بالساق*. **القيامة**:29.

8- العضد: قال تعالى: *سَنَشُدُّ عَضُدَك بأخيك ونجعَل لكما سلطانًا*. **القصص**:35.

9- العورة: قال تعالى: *... أو الطِّفلِ الَّذينَ لم يَظْهَرُوا على عَوْرات النِّساء*. **النور**:31.

10- النفس: قال تعالى: *يا أيَّتها النَّفسُ المطمئنة. ارجعي إلى ربِّك راضيةً مرضيةً*. **الفجر**:27-28.

11ـ الوازرة (النفس): قال تعالى: ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخرى وما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رسولاً. **الإسراء**:15.

هذا بالإضافة إلى بعض الحواس التي من دونها لا فائدة للعضو، وهي أمور مهمة وواجب توافرها للحاكم المسلم ولا تجوز توليته من دونها، كالبصر، والسمع، والصوت (الكلام). وهناك أيضًا الأعضاء (اللبنات الأساسية) لخلق الإنسان مثل العلقة، والمضغة، والنطفة، فهي بداية خلق الإنسان.

هذا بالإضافة إلى بعض الظواهر المرتبطة بالإنسان، إما دورية أو يومية كالشهوة عند الجنسين والمحيض عند الأنثى والمني. ولا يفوتني أيضًا أن أذكر بعض الأحاسيس والمشاعر الإنسانية، كالحب والضحك والغل والكره.

توفيق لافي على النواصرة
غور الحديثة، الكرك، الأردن.

ليقات نافذات وتعليقات نافذات وتعليقات نافذات

لماذا التناقض



على إثر قراءتي ما كُتب تحت عنوان «الأطباء والتدخين والتناقض الفاضح»، في باب «العالم قريتي» الشائق، من عدد الفيصل رقم 234، أجزمُ أن هناك صورًا أخرى للتناقض وفئات أخرى تتعامل معه وبه، ولا شك أن الأضرار هنا تفوق المنافع، هذا إن وجدت الأخيرة.

الآباء: يكونون متناقضين أمام أبنائهم، يمنعونهم مثلاً من تدخين اللفافات بينما هم يدخنون بشراهة، وربما يغلقون أجهزة الفيديو عند حضور أطفالهم أو أبنائهم المراهقين وذلك في أثناء مشاهدتهم أفلامًا مخلة بالقيم والآداب!

والمدرسون يلقنون طلبتهم دروسًا في حسن الأخلاق والبعد من السيء منها كالألفاظ النابية. وبعد انتهاء الحصة يُسمَعُ المدرسون وهم يتلفظون بألفاظ ربما لم يسمعها الطلاب من قبل، أو قد يأمرون الطلاب ذوي التصرفات والعادات السيئة بالإقلاع عنها كقصّات الشَّعر الغريبة أو التدخين أو «التفحيط» ـ هذه البدعة الجديدة!!ـ بينما نراهم ـ وهم قلّة ـ يتلقّفون كل صرعة أو موضة جديدة ويتمثلونها بحذافيرها. وربما يحضّون الطلاب ويشجعونهم على الجرأة والوقوف أمام الجمهور وعدم الرهبة من إلقاء موضوع ما.. في حين أن بعض المدرسين يتلعثمون أمام الطلاب في أثناء الشرح وتحمرُّ وجوههم ويتصبّبون عرقًا عند إلقاء كلمة بسيطة أمام مجموعة من الناس. والأمثلة غزيرة لا يمكن حصرها من أمثلة التناقض الضّار.

وهنا أقول: لماذا لا نلزم أنفسنا مبدأً صحيحًا ثابتًا لا نحيدُ عنه، نتمثّله ونُنافح عنه وندعو إليه؟ لماذا التناقض؟ علينا زرع الثقة في النفوس ـ بما أنّا من أمة الإسلام ـ بسمو ديننا وعدالته وسماحته، يجب أن نكون في كل تصرفاتنا وسلوكياتنا أمثلة يحتذي بها غيرنا، وأن نجعل أنفسنا قدوة إذا وجّهنا الآخر لفعل أو سلوك، لا بدّ أن نطبّقه نحن أوّلاً لكي لا تكون أقوالنا في واد وأفعالنا في واد آخر. لنراجع سلوكنا ولنهذّب أنفسنا ولا نكرّر الأخطاء ولا نتمادى فيها.. لا نريد أن نكون ممن قال فيهم الشاعر:

يا أيُّها الرجل المعلّم غيرهُ
هلاّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذي السقام وذي الضّنى
كيما يصحَّ به وأنت سقيمُ

إذن:

فابدأ بنفسك فانهها عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وبيت القصيد:

لا تنه عن خلقٍ وتأتي مثلهُ
عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

محمد بن أحمد بن عبدالله الزهراني
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن
ص.ب 7330،
الظهران 31261.

ليقات نافذات وتعليقات نافذات وتعليقات نافذات



وقفة مع شعراء الحداثة

لدى اطلاعي على العدد 246 استوقفتني مقالة الدكتور محمد عبدالمنعم خاطر «وقفة مع شعراء الحداثة» ونقده الهادف البناء للحداثة وشعرائها. ولا

أدري إن كان يوافقني الدكتور - جزاه الله كل خير - في التخبّط والتيه الذي حصل لأدبنا العربي الحديث حين بدا تأثره واضحًا بالتيارات الأدبية الأوربية بدعوى أنه لا بدّ لهذا الأدب أن يكون أدبًا عالميًا له أغوار وأبعاد، فظهرت الحداثة وأسرعنا حينها نطالب بأدب حداثي لأنه ليس من المعقول ألاّ يكون لدينا أدب بلا حداثة وإلا اتُّهمنا بالتخلف؛ ومن المعلوم أن الجوهر الحقيقي للحداثة هو تحطيم التراث - الذي يمثل الأغلال - والانفلات منه ولو إلى غير شيء. فالمهم أن يُحطَّم التراث والخروج بعد ذلك إلى الحرية والانعتاق؛ فأوربا حين صنعت ذلك بنفسها كان لها عذرها فالتراث عندها يُمثّل القرون الوسطى بكل خرافاتها وطغيانها وجبروتها وتعطيلها لقوى الإنسان عن العمل المثمر في واقع الأرض، فكان تحطيم التراث والانفلات منه أمرًا «معقولاً»، أما نحن - المسلمين - فحين يُحطّم تراثنا الرّباني فماذا يبقى لنا إلا الجهالة والظلام؟ وكذلك امتدّ تأثر أدبنا العربي الحديث بتيارات أخرى أذكر منها «السريالية»؛ فبعد شطحات فرويد في «العقل الباطن» و«اللا شعور» لبس أدبنا العربي الحديث أيضًا حلّة «السريالية» ولم ينسَ بالطبع أن يمسخ نفسه بـ «اللا معقول»! فيا عجبًا تخبّطت أوربا في «نهضتها» فلجأت إلى «العقلانية» المسرفة انتقامًا من الحَجْر الذي فُرض فيها على العقل عشرة قرون كاملة؛ فأدخلت العقل في كل شيء، سواء كان للعقل فيه مجال أم لم يكن، ثم وجدت - بعد عناء - أن العقل لم يحلّ لها كل مشكلاتها بل أنشأ مشكلات جديدة حين أُقحم فيما لا طاقة له به.. فقفزت إلى «اللا معقول» فرارًا من العقلانية المسرفة، أما نحن فما بالنا؟ لماذا نلجأ إلى «اللامعقول»؟

إن لدينا تراثًا عظيمًا لا يسعنا إلا الوقوف عنده والنّهل منه بقدر ما نستطيع؛ فلا نريد لشخصيتنا أن تذوب إلى هذا الحد، فلم نعد ننظر بعيوننا، وإنما نستعير عيونًا لننظر بها إلى أنفسنا، فأدبنا العربي يجب ألا يتأثر بهذه التيارات الدخيلة عليه فهو أعظم وأسمى وأرقى مما على الأرض من آداب، كيف لا؛ وهو يحمل بين طياته إرثًا عظيمًا خاطب الإنسان كله: روحه وعقله وجسمه وشمل كل جوانب الحياة؟ ويشهد على ذلك هذا الواقع المشرق الطويل الذي سطّر للبشرية أروع ما عرفته في تاريخها كله.

فهيا بنا نحافظ على أدبنا العربي من هذه اللوثات التي أُلصقت به بدعوى العالمية والتقدم، فنحن أساس التقدم. قد أكون خرجت عن الموضوع قليلاً ولكنها كلمة حق يجب أن تُقال، فعذرًا من الدكتور من هذا الإسهاب. ولن أنسى في الختام أن أشكره الشكر الجزيل لإثارة موضوعات تنير درب كل مثقف عربي باحث عن الحقيقة.

معاذ محمد زهير مُلاّ حويش
كلية الهندسة المدنية، جامعة دمشق
دمشق، سورية.

خطأ وجب ردّه إلى وجهه



عوّدتنا «الفيصل» الغراء في كل عدد التعريف بمخطوطة من مقتنيات «مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية».

وفي العدد 246 قدّمت مخطوطة «مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية» للإمام رضي الدين حسن بن محمد الصغاني، مصدرةً بقوله:

هذا كتابٌ «ارتضيته» وأستضي
بضيائه والعَقْل هذا يقتضي

والبيت من نظم المؤلف على البحر الكامل. وصياغته دالةٌ على أنه من شعر الفقهاء. وهو على هذه الصورة لا يستقيم صدرُهُ وزنًا كما أُثْبِتْ. والخطأ في فعل «ارتضيتُه» فإذا كان الخطأ في الطباعة فلا مشكلة. أما إذا كان في المخطوطة أصلاً، وكان رسم «ارتضيتُه» فيها واضحًا، فذلك خطأ بيِّن ووجب ردُّه إلى وجهه، وهو ليس من المؤلف قطعًا، وإنما هو من الناسخ لا شك في ذلك. فأخطاءُ النُّسّاخ وتصحيفاتهم مشهورة. وهذا من قبيل التصحيف. والله أعلم.

وبعد ردِّ «ارْتضيتُه» إلى «أرْتَضيْه» يصبح:

هذا كتابٌ أرتضيْه وأستضي
بضيائه والعقْلُ هذا يقتضي

وهكذا يستقيم صدر البيت وزنًا، ويتمُّ التوافق اللفظي الذي أراده الشاعر بين الألفاظ - أفعال المضارعة الثلاثة - بعد تخفيف همزة أستضيء: أرتضي، أستضي، يقتضي.

بما يشبه الجناس الناقص في نسق إيقاعي واحد. وهو هيكل صياغته، وإن كانت ثقيلة، ولكنها سر الإغراء اللفظي الذي سعى المؤلف جاهدًا لتحقيقه. كما يتحقق أيضًا «الترصيع» بهذه الأفعال، وهو فن بديعي بمنزلة السجع في النثر يزهو به شعراء تلك الفترة ويعدونه من تجليّات الإبداع.

أكرم قنُّوص
ميدان، دمشق، سورية.

من يرفض الحوار؟ ولماذا؟

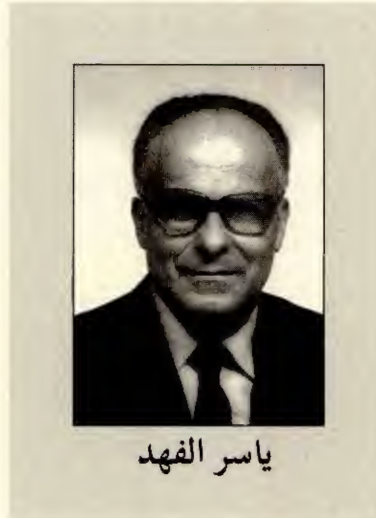
في الحياة العامة، بمختلف أشكالها ومظاهرها، أمور وقضايا كثيرة، تثير الجدل والنزاع الفكري؛ فما الطريق إلى حل مثل هذه المشكلات الخلافية، وسد الثغرات بين الأطراف المتخاصمة، والوصول إلى نقطة التلاقي والاتفاق؟ العنف، قطعًا، ليس هو الجواب.

والسبيل الوحيدة المثمرة الموصلة إلى بر الأمان، هي طريق النقاش وتبادل الرأي. وعندما يتخذ النقاش شكلاً علميًا وعقلانيًا وموضوعيًا، وأيضًا أخلاقيًا، فإنه لابد أن يقود إلى تقارب وجهات النظر والالتقاء في منتصف الطريق، أو في نقطة ما من الخط الفاصل بين وجهتي النظر المتصارعتين. ومع استمرار الحوار وتواصل الأخذ والرد، تضيق الهوة وتنكمش الفجوة، وتُقام جسور التلاقي وينفتح الباب واسعًا أمام مزيد من الاتفاق وسد ثغرات الاختلاف. وإذا كان من المفروغ منه أن الحوار هو أسلم طريق لحسم الصراعات الفكرية، فإن هناك إناسا غير قليلين يرفضون منطق الحوار، ويسعون - بدلاً من ذلك - إلى فرض آرائهم على الآخرين، وإلزامهم الإيمانَ بما يؤمنون به هم أنفسهم. ويحدث هذا في الحياة العامة، وفي الحياة السياسية، وفي الحياة الثقافية، وفي مختلف المواقف الاجتماعية.

ويتخذ هذا الفرض والإلزام أخطر أشكاله عندما يتعلق الأمر بالمجال السياسي والسلطوي. أي حينما نجد رجلاً واحدًا يفرض رأيه على جميع أبناء الأمة، ويحيلهم إلى مجرد دُمى لا حول لها ولا قوة. والآن لماذا لا يقبل المتسلطون بفكرة الحوار؟ ولماذا يسدون جميع المنافذ أمام كل نقاش حر صريح؟.

هناك سببان محتملان رئيسان لذلك، سبب يرتبط بالتربية، وبالوضع النفسي للشخصية، وسبب يتعلق بوجود مصلحة في إخفاء الحقيقة.

فهناك شخصيات تميل، بتأثير طبيعة تربيتها الأولى في الأسرة والمدرسة والمجتمع، إلى التسلط والهيمنة. وفي الحالات المتطرفة يصل الأمر إلى حد الإصابة بمرض العظمة والشعور الوهمي بالتفوق؛ مما يجعل صاحب الشخصية العُصابية يتصور أنه أكبر من أن يجادله أحد، وأعظم من أن يناقشه الآخرون. ويوصف مثل هؤلاء بأنهم مصابون بمرض (البارانويا)، أي جنون العظمة الذي يجعل المصاب به يتوهم بأن آراءه تمثل نهاية المطاف، أو أن أفكاره هي الفيصل الحاسم، وأن نظراته تشكل فصل الخطاب، وأن كل ما عداها هراء بهراء.


ياسر الفهد

وهكذا، فإن للميل إلى التسلط درجات، ففي بعض الحالات يجنح بعض الناس إلى الرغبة في احتواء الآخرين وإخضاعهم لدئرة أفكاره، دون أن يصل ذلك إلى حد المرض النفسي، وفي حالات أخرى يشتد الشعور بالعظمة والتفوق، وتشتط الرغبة في الهيمنة الكاملة على الآخرين، إلى درجة يصح معها إدراج مثل هذه الحالات ضمن دائرة العُصاب النفسي المرضي.

أما السبب الثاني للرغبة في السيطرة، فهو الأسوأ والأخطر والأكثر مدعاة للقلق. وفي هذه الحالة يرفض شخص ما النقاش، لأنه يعرف سلفا أنه على خطأ، وهو مُصرّ على الاستمرار فيه، حتى يفيد منه، فليس من مصلحته، والحال كذلك، أن يفتح باب الأخذ والرد. وبتعبير آخر فإن من يرتكب في الخفاء أفعالاً غير مسموح بها في العلن، ويحصل من جراء ذلك على مكاسب غير شرعية، لابد أن يسعى إلى إغلاق باب النقاش حتى لا ينكشف أمره، ويتعرّى ستره، وتفتضح ممارساته الخفية. إن الحاكم المستبد لا يحب المشورة في سلوكه السياسي، والبائع الغشاش يرفض الجدل حول التكاليف ونسب الربح الشرعية، والمحامي الذي يخدع وكيله لا يرحب بتوضيح النصوص القانونية، ويفضل بقاء الأمور ضمن دائرة الغموض، والسارق يتهرب عندما يسائله أحد في كيفية تجميع ثروته، والعامل الكسول غير المنتج يتفادى السؤال حول عدد ساعات العمل ومقدار الإنتاج، وبتعبير آخر، فإن كل من يمارس عملا غير مسموح به، يفضل عدم خوض أي نقاش حول ما يفعله.

وبعد؛ فإن في مجتمعنا العربي، وفي كل مجتمع آخر، صنفين من الناس، أحدهما يتقبل الحوار ولا يخشى المناظرة ويرحب بالجدل، مهما حمي وطيسه، وهو مستعد دائمًا للدفاع عن آرائه وتصرفاته بسوق الحجج وتفنيد البراهين ودحض الافتراءات.

وهذا النوع مخلص ومستقيم ومنفتح اجتماعيًا وواثق من نفسه ونظافة يده؛ لذلك تراه يفتح لك قلبه، يجادلك، ويحاول أن يقنعك ويقبل أن تقنعه، وبذلك ينفسح المجال أمام تصحيح الأخطاء والوصول إلى صيغ مشتركة مثمرة للعمل. والنوع الثاني من الناس يأبى أن يحاورك؛ إما لأنه مصاب بانحراف نفسي، وإما تلافيًا لانكشاف أفعاله الخفية غير المشروعة. وهو نوع سيئ دون ريب، وأضراره على المجتمع كبيرة وخطيرة.